المعتزلة في بغداد وأثرهم في الحياة الفكرية والسياسية

من خلافة المأمون حتى وفاة المتوكل على الله

١٩٨هـ / ٢٤٧هـ - ٨١٣م/٨٦١م

تأليف
أحمد شوقى إبراهيم العمرجى



مكتبة مدبولى

المعتزلة في بغداد وأثرهم في الحياة الفكرية والسياسية

الكتـــــــاب: **المعتزلة فى بغداد وأثرهم فى الحياة الفكرية والسياسية**

الكـــــاتب: **د. أحمد شوقى إبراهيم العمرجى**

كلية الآداب - جامعة اسيوط

الطبعـــــــة: **الأولى ٢٠٠٠**

النـــــــاشر: مكتبة مدبولى ٦ ميدان طلعت حرب ـ القاهرة

تليفون: ٥٧٥٦٤٢١ ـ فاكس: ٥٧٥٢٨٥٤

موقعنا على شبكة الأنترنت:www. madbuli. com

لـــوحة الغلاف: محمد لطفى

رقم الإيـــداع: ١٥٢٤٧ / ٩٩

الترقيم الــدولى: 7 - 297 - 208 - 977

المعتزلة فى بغداد وأثرهم فى الحياة الفكرية والسياسية

من خلافة المأمون حتى وفاة المتوكل على الله من سنة (١٩٨ ـ ٢٤٧هـ) / (٨١٣ـ ٨٦١م)

تأليف:
د . أحمد شوقى إبراهيم العمرجى
كلية الآداب - جامعة اسيوط

الناشر
مكتبة مدبولى
٢٠٠٠

الطبعة الأولى
١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م

MADBOULI BOOKSHOP　　مكتبة مدبولي

6 Talat Harb SQ. Tel.:5756421-Fax:5752854　　٦ ميدان طلعت حرب - القاهرة - ت :٥٧٥٦٤٢١-فاكس :٥٧٥٢٨٥٤

المحتويات

الموضوع	الصفحة

الموضـوع	الصفحة

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء، وبعد، فهذا موضوع يتناول المعتزلة فى بغداد وأثرهم فى الحياة السياسية والفكرية من خلافة المأمون حتى وفاة المتوكل على الله .

وترجع أهمية هذا البحث الى ما اتسمت به هذه الفترة من سمات هامة، وما حدث فيها من أحداث كان لها تأثير كبير فى الدولة الإسلامية، وقد ظهر المعتزلة فى بداية القرن الثانى الهجرى فى مدينة البصرة التى كانت فى ذلك العصر مجمعاً للعلم والأدب فى الدولة الإسلامية مشبعة الجو بآثار الثقافات الأجنبية، وكانت موضعاً يلتقى فيه أتباع الأديان المختلفة المنتشرة آنذاك.

شهدت هذه الفترة ازدياد نفوذ المعتزلة، وذلك فى عهد الخلفاء المأمون والمعتصم والواثق وقيامهم بامتحان الناس فى القول بخلق القرآن، و سمى ذلك بالمحنة.

والحق أن المعتزلة كانوا طلاباً للعلم فقربهم المأمون اليه، وآمن بمبادئهم وعمل على عقد مجالس المناظرة لهم، وأصبح المعتزلة فى عهده ذوى نفوذ كبير فى عصر الخلافة العباسية، وجلس المأمون من علمائهم مجلس التلميذ من الأستاذ، وفرض عقائد المعتزلة وامتحنهم فى ذلك.

وبعد وفاة المأمون (٢١٨هـ / ٨٣٣ م) سار المعتصم على طريقه وحمل الناس على القول بخلق القرآن.

وفى عهد الواثق (٢٢٧ / ٢٣٢ هـ / ٨٤١ ـ ٨٤٦م) تعصب للقول بخلق القرآن واستمر فى امتحان الناس، وأصبح الاعتزال المذهب الرسمى فى الدولة.

ولما تولى المتوكل على الله الخلافة سنة (٢٣٢هـ / ٨٤٦ م) قام بإجراءات بالغة الأهمية للحد من نفوذ المعتزلة حتى كانت هذه الخطوة من جانب المتوكل بداية النهاية لحركة المعتزلة. وكان لعمل المتوكل هذا اثر حسن فى نفوس المسلمين فأولوه

احترامهم وبالغوا فى الثناء عليه حتى قال قائلهم :

الخلافاء ثلاثة أبو بكر الصديق يوم الردة ، وعمر بن عبد العزيز فى رد المظالم، و المتوكل فى أحياء السنة.

وقد لعب الفكر الاعتزالى دوراً هاماً فى صياغة الفكر الإسلامى وفى التأثير فى المجتمع منذ أواخر القرن الأول الهجرى، ولم ينفك هذا التأثير بإيجابياته وسلبياته يقوى الى أن بلغ أوجه فى القرن الثالث الهجرى، و كان المعتزله يقدمون العقل على النص اذا ما بدا اختلاف بينهما.

وقد قسمت كتابى هذا الى أربعة فصول، تحدثت فى الفصل الأول عن نشأة المعتزلة كفرقة دينية، وعن الأصل التاريخى لهذه النشأة، ووضحت مبادئ المعتزلة الدينية وهى أصولهم الخمسة التى قامت عليها حركة الاعتزال، وأثر هذه الأصول فى آراء المعتزلة ثم تحدثت عن انتشار هذه المبادئ فى بغداد.

وفى الفصل الثانى تناولت بالبحث أثر المعتزلة فى الحياة السياسية مع بيان محنة خلق القرآن فى عصر المأمون وأثرها فى الحياة السياسية فى بغداد، ومحنة خلق القرآن فى عهد المعتصم، ومحنة خلق القرآن فى عهد الواثق، ثم نهاية المحنة فى خلافة المتوكل على الله، وأثر المعتزلة فى الفكر السياسى.

أما فى الفصل الثالث فقد وجهت اهتمامى الى دراسة أثر المعتزلة فى الحياة الفكرية، ووضحت موقف المعتزلة من الكتاب والسنة، ثم المعتزلة والفقهاء، وتحدثت عن المعتزلة وحركة الترجمة عن الفكر الإغريقى، ومدى تأثر المعتزلة بهذا الفكر، وانعكاس ذلك على أفكارهم، ثم وضحت أثر المعتزلة فى الحياة الأدبية، وأشهر علماء المعتزلة فى بغداد.

وخصصت الفصل الرابع لدارسة أثر المعتزلة فى العالم الإسلامى سياسيا وفكريا، ووضحت هذا الأثر فى بغداد والمشرق، وفى مصر والشام، وفى المغرب.

وقد اعتمدت فى هذا على عدد من المصادر القديمة والمخطوطات، ومن هذه

المخطوطات التى رجعت اليها. « تاريخ المحنة » لعبد الغنى الجماعيلى (ت ٦٠٠ هـ/ ١٢٠٣م) وهو مخطوط فى ثلاثة أجزاء، ومو جود بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٤٥ تاريخ، وفيه عرض شيق للمحنة منذ عهد المأمون حتى ولاية المتوكل الخلافة، وقد وصف المؤلف محنة الإمام أحمد بن حنبل وصفا شاملا دقيقاً، فرسم بذلك صورة واضحة لتاريخ المعتزلة فى تلك الفترة وموقف الخلفاء العباسيين منها.

وكذلك رجعت لمخطوط «كتاب الأوائل» لمؤلفه جلال الدين السيوطى (ت ٩١١ هـ/ ١٥٠٥م) وهذا المخطوط موجود بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٩١ تاريخ، وقد أفادنى فى دراسة المحنة ودور الخلفاء العباسيين فيها.

ورجعت أيضاً لمخطوط «طبقات الإباضية» لمؤلفه أبو العباس أحمد الدرجينى المتوفى فى منتصف القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) وهذا المخطوط موجود بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٢٥٦١ ح، وقد أفادنى فى دراسة أثر المحنة فى العالم الإسلامى سياسيا وفكريا.

وكذلك رجعت لمخطوط «السيرة وأخبار الأئمة» لمؤلفه يحيى بن أبى بكر أبو زكريا المتوفى فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى)، وهذا المخطوط موجود بدار الكتب المصرية تحت رقم ٩٠٣٠ ح، وقد أفادنى فى دراسة أثر المحنة فى المغرب.

واعتمدت فى هذا البحث على كتاب لليعقوبى وهو أحمد بن أبى يعقوب بن واضح. كان جده من موالى الخليفة المنصور، وكان اليعقوبى رحالة ومؤرخاً وجغرافيا جاب الأقطار الإسلامية وتوفى نحو سنة (٢٨٤ هـ/ ٨٩٧ م)، وكتابه فى التاريخ يعرف «بتاريخ اليعقوبى» وهو مطبوع فى مطبعة النجف الأشرف بالعراق. ويكاد اليعقوبى أن يكون معاصراً للحوادث التى يروى أخبارها فى كتابه، لهذا يعتبر كتابه مصدراً جديراً بالثقة.

وقد استفدت من هذا الكتاب فى دراسة مراحل المحنة من عهد المأمون الى عهد

المتوكل على الله، فأعطى بذلك صورة واضحة عن المحنة ودور الخلفاء فيها.

ومن أهم المصادر التى اعتمدت عليها الدراسة أيضاً كتاب الطبرى «تاريخ الأمم والملوك» لمؤلفه، الطبرى « أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى» الذى ولد فى آمل - إحدى قرى طبرستان على الشاطئ الجنوبى لبحر قزوين - وقد رحل الى مصر والشام والعراق وطلب العلم فى بغداد وفى مصر، وقد توفى الطبرى سنة (٣١٠ هـ / ٩٢٢ م) فى بغداد.

ويعد الطبرى من أشهر المؤرخين المسلمين. إذ كان حافظا لكتاب الله - عز وجل - فقيها بأحكام القرآن عالما بالسنن عارفا بأقوال الصحابة والتابعين واشتهر الطبرى بمثابرته على العمل حتى قيل إنه قضى أربعين سنة يكتب كل يوم أربعين ورقة ويعد كتابه «تاريخ الأمم والملوك» من أمهات الكتب التاريخية، وأول كتب التاريخ الشاملة فى اللغة العربية، وقد جمع الطبرى مواده من الأحاديث بالتسلسل، ومن هنها كان لتاريخ الطبرى قيمة كبرى. لأن هذا السند توثيق للأخبار المروية وتوكيد لها. وقد اعتمد المؤرخون بعده على تاريخه مثل« مسكويه» و«ابن الأثير» و«ابن خلدون» و«أبو الفداء» و«الذهبى» ويروى الطبرى فى تاريخه عن الحادثة الواحدة روايات كثيرة متأثرا بمنهجه فى تفسير القرآن، وقد غلبت عليه فى تاريخه طريقة المحدثين وأهل الحديث، وقد طبع هذا الكتاب فى أوربا وفى مصر.

ويعد كتاب «تاريخ الطبرى» من المصادر الأصلية لتاريخ الفترة موضوع البحث. لأن الطبرى يروى أحداثاً كان معاصرا لها وأخرى وصلت اليه عن طريق الرواية. ويتسم تاريخ الطبرى أيضاً بالإفاضة فى تناوله لأحداث تلك الفترة، وقد استعنت به فى تتبع التاريخ السياسى لفرقة المعتزلة منذ عهد المتوكل حيث كانت بداية النهاية لفرقة المعتزلة.

ومن المصادر الهامة التى رجعت اليها كتاب« مروج الذهب ومعادن الجوهر» للمسعودى، «على بن الحسين بن على بن عبد الله بن مسعود» المتوفى سنة (٣٤٦هـ

/ ٩٥٧م). وقد نشأ المسعودى فى بغداد وتوفى فى الفسطاط، وقد استن فى تأليف التاريخ سنة جديدة، ووضع منهجاً جديداً آلا وهو المنهج الموضوعى. فقد حاد عن منهج الطبرى وهو المنهج الحولى فى كتابة التاريخ حيث أصبحت الشعوب والملوك والأسرات والخلفاء محاور دراسة المسعودى. وقد تبعه فى هذه الطريقة بعض المؤرخين وبخاصة ابن خلدون، وكان المسعودى من المعتزلة، وتجول فى طلب العلم فطاف أكثر أجزاء العالم الإسلامى، وقضى الجزء الأخير من حياته فى بلاد الشام ومصر حيث ألف كتابه« مروج الذهب ومعادن الجوهر» وهو كتاب تاريخى جغرافى عظيم القيمة لم يكتف فيه المؤلف ببحث الموضوعات التى اعتادها المؤرخون المسلمون، بل تطرق الى تواريخ الهند والفرس والروم واليهود فأتى منها بأشياء طريفة حتى أطلق الكتاب على المسعودى اسم« هيرودوت العرب».

ومما يجدر ذكره أن المسعودى لم يتبع طريقة الإسناد للرواة فهو يمضى فى سرد الخبر أو الحادثة بدون ذكر سنده أو رواته، ويسرد النص التاريخى كأنه هو صاحبه، وقد صنع ما صنعه اليعقوبى فى مقدمة كتابه فذكر مروج الذهب الأخباريين والمؤرخين والمصنفين الذين نقل عنهم أو استفاد منهم.

ويضاف الى ما سبق أن المسعودى تعرض فى كتابه لسير الخلفاء العباسيين، وأفدت منه فى دراسة نشأة المعتزلة وأصولهم الدينية، وفى تتبع موقف الخلفاء من هذه الفرقة وفى التعرف على أهم رجالهم.

كما رجعت الى كتاب آخر للمسعودى بعنوان « التنبيه والإشراف» وقد أفادنى فى دراسة سير الخلفاء وعلاقاتهم بالمعتزلة.

ومن المصادر التى اعتمدت عليها الدارسة مؤلفات «القاضى عبد الجبار» وهو عبد الجبار بن أحمد الهمذانى شيخ المعتزلة الأكبر المتوفى سنة (٤١٥ هـ/ ١٠٢٤ م) وقد تولى القضاء بالرى، واليه انتهت الرياسة فى المعتزلة حتى صار شيخها، ومن مؤلفات القاضى عبد الجبار التى رجعت اليها كتاب « المغنى فى أبواب التوحيد

والعدل» و« شرح الأصول الخمسة» و« متشابه القرآن» و« تنزيه القرآن عن المطاعن» و« فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة» و« المحيط بالتكليف» و« المختصر فى أصول الدين»، وقد أفدت من هذه الكتب كثيرا فى الحديث عن أفكار المعتزلة وأصولهم الدينية، وفى موقف المعتزلة من الكتاب والسنة، وفى التعرف على علماء المعتزلة.

كذلك أفدت من كتابين «للنيسابورى» أبو رشيد سعيد بن محمد المتوفى سنة (٤٠٠ هـ / ١٠٠٩ م) وهو من تلاميذ القاضى عبد الجبار.

وقد أفادنى كتاب «فى التوحيد ـ ديوان الأصول» للنيسابورى فى الحديث عن معتقدات المعتزلة وموفقهم من تأويل القرآن ومن الحديث الشريف، أما الكتاب الآخر فهو «المسائل فى الخلاف بين البصريين والبغداديين»، وقد أفدت منه فى الحديث عن المعتزلة فى دور النشأة فى البصرة، ثم ارتباطهم بالخلافة العباسية فى عهد المأمون والمعتصم والواثق فى بغداد.

ورجعت أيضا فى هذه الدراسة الى مؤلفات « الأشعرى» أبو الحسن على بن إسماعيل (ت ٣٣٠ هـ / ٩٤١ م)، الذى ولد بالبصرة، والتى كانت عند نشأته بؤرة الاعتزال، فانغمس فى أفكار المعتزالة فى صدر شبابه، ثم انتقل الى مذهب السلف فى إثبات صفات الله ـ عز وجل ـ وانبرى لمناظرة المعتزلة، وألف كثيرا من الكتب فى الرد على المعتزلة بأساليبهم ومقاييسهم، ومن هذه المؤلفات كتاب «مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين» و «الإبانة عن أصول الديانة» و«اللمع فى الرد على أهل الزيغ والبدع» و« رسالة فى استحسان الخوض فى علم الكلام»، وقد أفدت من هذه لمؤلفات فى دراسة آراء ومعتقدات المعتزلة وموقف الفقهاء منها.

كذلك رجعت فى دراستى لبعض مؤلفات الجاحظ «أبو عثمان بن بحر بن محبوب الكنانى المتوفى ٢٥٥ هـ (٨٦٨ م)» وقد ولد الجاحظ بالبصرة فى خلافة المهدى، وكان صبياً فى خلافة الهادى، وكان ناضجاً وقت سلطة المعتزلة فى عصر المأمون، واتصل بما كان فى أيامه من حركة علمية وفلسفية. كما عاصر المعتزلة فى

عصر المعتصم والواثق حتى خلافة المتوكل على الله، وقد مات الجاحظ فى خلافة المهتدى بالله، وهكذا عاصر الجاحظ أحداث تلك الفترة، وتعد كتبه من المصادر الهامة فى دراسة الحياة الاجتماعية فى عصره، وقد كتب الجاحظ فى كل موضوع تقريبا حتى قيل إن كتبه «دائرة معارف» غير مرتبة على أحرف الهجاء ولا على أى أساس.

وقد أفدت من بعض مؤلفات الجاحظ مثل كتاب «الحيوان» و«البيان والتبيين» و«البخلاء» و«ورسائل الجاحظ»، وقد أفدت من هذه الكتب بصفة خاصة فى الحديث عن أدب المعتزلة، وتنوع الموضوعات فى هذا الأدب، وفى مدى تأثر المعتزلة بالفلسفة اليونانية فى مناظراتهم وآرائهم.

واستفدت من كتاب «الأغانى للأصفهانى» ابو الفرج على بن الحسين المتوفى سنة ٣٥٦ هـ (٩٦٦م) فى دراسة نشأة المعتزلة والمبادئ الدينية التى قالوا بها.

ومن الكتب التى رجعت اليها كتاب « تاريخ بغداد» للخطيب البغدادى «الحافظ أبى بكر أحمد بن على الخطيب البغدادى» المتوفى سنة ٤٥٣ هـ (١٠٧١م) وقد وضعه فى أزهى عصور الإسلام، وله مقدمة طويلة تحتوى على أصل بغداد واسمها وتاريخ بنائها وأحيائها وقصورها ودورها ومدائنها. كما كانت عليه فى أيامه، وتلى ذلك تراجم لعلماء بغداد وأدبائها وشعرائها، وقد رتب الخطيب كتابه فجعل الأعلام فيه على حروف المعجم مراعيا أوائل أسمائهم لا الأسماء التى اشتهروا بها. وقد أفادنى هذا الكتاب فى دراسة علماء المعتزلة فى بغداد والتعرف على محنة خلق القرآن، وموقف الخلفاء العباسيين منها.

أما ابن الجوزى (ابو الفرج عبد الرحمن بن على بن الجوزى) والمتوفى سنة ٥٩٧هـ (١٢٠٠م) فقد أفدت من كتبه«أخبار الاذكياء» و« أخبار الحمقى والمغفلين» و«تلبيس ابليس» وقد أفادتنى فى التعرف على أدب المعتزلة ومجادلاتهم ومجالسهم.

ويعتبر كتاب الكندى (يوسف بـن عمر) المتوفى سنة ٣٠٥ هـ (٩١٧م)، «القضاة والولاة» من المصـادر الهامة التـى اعتمـدت عليهـا، فالكندى كـان حجـة فى دراسة أحوال مـصر وأهلهـا وأعمالهـا، وكان لتتبعـه للولاة والقضاة وأحـوال البلاد أكـبر الفائدةفى معرفة أثر محنة خلق القرآن سياسياً وفكرياً فى عصره.

أمـا كـتب المقـريزى المتـوفى سنة ٨٤٥ هـ (١٤٤١م) خـاصـة كـتـاب « المواعظ والاعتبـار بذكر الخطط والآثار» فهى حـافلة بمعلومات وافرة عن نشأة المعـتزلة وأهم العقائد التى اعتقدوها والأفكار التى قالوا بها.

ومن الكتب التى رجعـت اليها كتـاب ابن الاثير (على بن أحـمد بن أبى الكرم» المتوفى سنة ٦٣٠ هـ (١٢٣٢م) وهو كتاب « الكامل فى التـاريخ» وابن الأثير يعتمد على الطبـرى، ويلاحظ أن ابن الأثيـر يحـذف الاسناد عـادة (أى يحـذف اسم الذى يروى الخبـر) وكتابه يشـبه الى حد كـبير تاريخ الطبـرى، من حيث كثـرة المعلومات ودقتها، وقد بدأه من أول الزمـان الى انتهاء سنة ٦٢٨ هـ (١٢٣٠م)، وقد أفدت منه فى دراسة المحنة فى عهود الخلفاء العباسيين المأمون والمعتصم والواثق.

واستـعانت الدراسـة كذلك بكتب الفـرق المذهبيـة، منها كتـاب « الملل والنحل» للشـهرسـتانى (أبو الفـتح محـمد بن عـبد الكريم) المتـوفى سنة ٥٤٨ هـ (١١٥٣م) وكتـاب « الفرق بين الفـرق» للبغدادى (عـبد القاهرابن طاهر المـتوفى سنة ٤٢٩ هـ (١٠٣٧م) و « التنبه والرد على أهل الأهواء والبدع «للملطى» (مـحمد بن أحمد ابو الحـسن) المتوفى سنة ٣٧٧ هـــ (٩٨٧م) و «اعتـقادات فـرق المسلمـين والمشركـين» للرازى (فخر الدين محمد بن عمر الخطيب الرازى) المتوفى سنة ٦٠٦ هـ (١٢٠٩م) و « التبصيـر فى الدين وتمييز الفرقة الناجية عن فـرق الهالكين» « للاسفراينى» (أبى المظفر عماد الدين) المتوفى سنة ٤٧١ هـ (١٠٧٨م) و« فـرق الشيعة» للنوبختى (أبى محمد الحسن بن مـوسى) المتوفى سنة ٣١٠ هـ (٩٢٢م). وقد أفدت من هذه الكتب فى دراسـة نشأة المعـتزلة والـتعـرف على آرائهم وأهم فـرقهم ومـوقف القضـاء من

المعتزلة.

كما أفدت من كتابين لياقوت الحموى (شهاب الدين أبو عبدالله الحموى الرومى) المتوفى سنة ٦٢٦ هـ (١٢٢٨م)، وقد أفادنى كتابه «معجم الأدباء» فى دراسة أهم علماء المعتزلة وأثر المحنة سياسيا وفكريا فى المشرق.

أما الكتاب الآخر فهو «معجم البلدان » ويتميز هذا لمعجم بترتيبه على حروف الهجاء وبدقته وجمعه بين الجغرافيا والتاريخ والعلم والأدب، وقد أفدت منه فى دراسة أثر المحنة فى العالم الإسلامى سياسيا وفكريا.

ومن أهم الكتب التى اعتمدت عليها الدراسة كتاب «أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم» للمقدسى (شمس الدين أبو عبد الله محمد) المتوفى سنة ٣٩٠ هـ (٩٩٩م)، وهو كتاب قيم من الناحيتين الجغرافية والتاريخية،وتبرز أهمية الكتاب فى أن المقدسى كان يعتمد فى مايكتبه على مايشاهده بنفسه فى أسفاره، وقد أفدت منه فى دراستى لأثر محنة خلق القرآن سياسيا وفكريا فى المشرق، وفى الشام، وفى المغرب أيضا.

أما المراجع الحديثة التى أمدت الدراسة بمادة علمية طيبة وغزيرة فمنها كتا «المعتزلة» لزهدى جار الله، و«عصر المأمون» «لأحمد فريد الفاعى، و«ضحى الاسلام» لأحمد أمين، و«العالم الاسلامى فى العصر العباسى «لحسن أحمد محمود، وأحمد ابراهيم الشريف.

وتبرز أهمية هذا الكتاب فى أن المقدسى كان يعتمد فى ما يكتبه على ما يشاهده

والله ولى التوفيق،،،

المؤلف

ديسمبر١٩٩٨م

الفصل الأول

نشأة المعتزلة

- تمهيد
- الأصل التاريخى لنشأة المعتزلة
- مبادئ المعتزلة الدينية
- انتشار تعاليمها فى بغداد

• تمهيد:

المعتزلة فرقة إسلامية ظهرت ظهوراً واضحاً فى بداية القرن الثانى الهجرى (الثامن الميلادى) [١].

وقد اعتنق العتزال من خلفاء بنى أمية يزيد بن الوليد[٢]، وكان يرى رأى المعتزلة، ويعتقد بصحة أصولهم الخمسة[٣]، ومروان بن محمد[٤]، الذى لقب بالجعدى نسبة الى مؤدبه[٥] الجعد بن درهم[٦].

وقد راج مذهب الاعتزال لما فيه من مظاهر البحث العقلى والاعتماد على أساليب

---

(١) زهدى جار الله: المعتزلة، ص١ ـ ٢ (مطبعة مصر، القاهرة، ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م.

(٢) هو يزيد بن الوليد بن عبد الملك، لقب بالناقص لأنه نقص، الجند من أعطياتهم، ولما ولى الخلافة دعا الناس إلى الاعتزال وحملهم عليه (ت ١٢٦هـ/ ٧٤٣م). (المسعودى: مروج الذهب، جـ٢، ص١٧٣، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، دار الكتاب اللبنانى، بيروت ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م)، السيوطى: تاريخ الخلفاء ص٢٥٢ ـ ٢٥٣ (تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، القاهرة، الطبعة الرابعة، مطبعة الفجالة الجديدة ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م).

(٣) المسعودى: المصدر السابق، والجزء والصفحة، الشهرستانى: الملل والنحل، جـ١، ص٣٣ (مطبعة صبيح، القاهرة، ١٣٤٨هـ)، السيوطى: المصدر السابق، ص٢٥٣

(٤) هو مروان بن محمد بن مروان بن الحكم، آخر خلفاء بنى أمية (ت ١٣٢هـ/ ٧٤٩م) السيوطى: المصدر السابق، ص٢٥٤

(٥) المؤدب: معلم الأدب، وهو رياضة النفس على حسن الأخلاق وفعل المكارم، بمثابة المربى والمرشد، أو معلم العلوم الأدبية، ولا يخفى أن الأمراء تعنى بانتقاء أماثل الفضلاء لتربية أبنائها على العلوم والأخلاق الفاضلة. (جمال الدين القاسمى الدمشقى: تاريخ الجهمية والمعتزلة، ص٣٧٧ (مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م).

(٦) تكلم الجعد بن درهم بخلق القرآن وتنزيه الله من الصفات، وقد تعلم منه الخليفة مروان بن محمد مذهبه فى القول بخلق القرآن، وقتل الجعد على يد خالد بن عبد الله القسرى والى العراق فى عهد هشام بن عبد الملك وذلك سنة (١١٨هـ/ ٧٣٦م)، ابن النديم: الفهرست، ص٤٧٢ (طبعة دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م)، البغدادى: الفرق بين الفرق، ص١٤، ٢٦٢، (الطبعة الأولى، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م)، الاسفراييني: التبصير فى الدين، ص١٣، ٨٢، (تحقيق: محمد زاهد الكوثرى، الطبعة الأولى، مطبعة الأنوار، القاهرة، ١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م)، جمال الدين القاسمى: تاريخ الجهمية والمعتزلة، ص٣٧ ـ ٣٩، البير نصرى نادر: فلسفة المعتزلة، جـ١، ص١١٠ (طبعة الإسكندرية).

المنطق والجدل، فمالت اليه الطباع، وكثر أنصاره، وأصبح المذهب السائد بين مذاهب المتكلمين[1].

وفى العصر العباسى تكونت للاعتزال مدرستان كبيرتان: مدرسة البصرة، ومدرسة بغداد، وكان بين معتزلى البصرة ومعتزلى بغداد خلاف كبير فى كثير من المسائل[2]، وشغلت هذه الفرقة الفكر الإسلامى ردحا طويلا من الزمن. وقد خلق المعتزلة جواً من النشاط الفكرى عم الحاضرة العباسية[3].

وللمعتزلة أسماء أطلقوها على أنفسهم، فقد أطلقوا على أنفسهم اسم المعتزلة، واشتد الخلاف فى منشأ هذا الاسم، يقول الشهرستانى[4]: «إن واصل بن عطاء[5] مؤسس هذه الفرقة حين اختلف مع أستاذه الحسن البصرى[6]، فى مسألة مرتكب الكبيرة، أدلى برأيه،

---

(١) مصطفى عبد الرازق: تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية، ص٢٨٨، (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٣٦٣هـ/ ١٩٤٤م).

(٢) ابو رشيد النيسابورى: المسائل فى الخلاف بين البصريين والبغداديين، ص٩ ـ ١٧، ٢٩، ١١٥ (طبعة معهد الإنماء العربى، الجماهيرية الليبية، الطبعة الأولى، ١٩٧٩م، تحقيق: معن زيادة، ورضوان السيد)، ابن المرتضى: المنية والأمل، جـ٢، ص١٠٥ (طبعة دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٥م، تحقيق عصام الدين محمد على)، أحمد أمين: فجر الإسلام، ص٢٩٩ (مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الرابعة عشر، ١٩٨٦م)، ضحى الإسلام، جـ٣، ص٩٦ (الطبعة العاشرة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٣٦م).

(٣) وديعة النجم: الشعر فى الحاضرة العباسية، ص٤٠ ـ ٤١ (الكويت شركة كاظمة، ١٩٧٧م).

(٤) الملل والنحل، جـ١، ص٣٣،٥٥

(٥) هو أبو حذيفة واصل بن عطاء (ت ١٣١هـ/ ٧٤٨م) أحد الأئمة البلغاء فى علم الكلام، وكان يلقب بالغزال ولم يكن غزالا، بل كان يلزم الغزاليين ليعرف المتعففات من النساء فيجعل صدقته لهن، وكان ألثغ الراء يجعلها غينا، وكان يسقط الراء من كلامه (ياقوت الحموى): معجم الأدباء، جـ١٩، ص٢٤٣ ـ ٢٤٥، مطبوعات دار المأمون، القاهرة، الطبعة الأخيرة، بدون تاريخ)، ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ٤، ص٦٠ (تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٤٨م)، ابن المرتضى: المنية والأمل، جـ١، ص٣٣ ـ ٣٤، جـ٢، ص١٥١، أحمد أمين: فجر الإسلام، ص٢٩٦، ضحى الإسلام، جـ٣، ص٩٧

(٦) هو الحسن بن أبى الحسن البصرى (ت ١١٠هـ/ ٧٤٨م) أمام أهل البصرة وسيد التابعين، وأمه مولاة لأم سلمة زوجة الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد عده المعتزلة من رجال الطبعة الثالثة من رجالهم (الحسن البصرى: رسالة فى القدر، ص٨٢ ـ ٨٨، «ضمن رسائل العدل والتوحيد، جـ١ «تحقيق: =

واعتزل مجلسـه، هو وبعض من وافقه على ذلك الرأى، فقال الحسن البـصرى:«اعتزل عنا واصل، فسمى وأصحابه بالمعتزلة».

اما الرازى فـيوضح[1]: أنهم سموا بهذا الاسم لاعتزال واصـل وعمرو حلقة أستاذهم الحسن البصرى، ويرى البغدادى[2] أن أهل السنة هم الذين دعوهـم معتزلة، لاعتزالهم قول الأمة بأسرها فى مرتكب الكبيرة من المسلمين، وتقريرهم أنه لا مؤمن ولا كافر. بلا هو فى منزلة بين منزلتى الكفر والإيمان.

يقـول المسعـودى[3]: « ان سبب هذه التسـمية، القول بالمنزلة بين المنزلتـين أى باعتزال صاحب الكبيرة عن المؤمنين والكافرين جميعاً».

وير الاسفراييني[4]: « انهم سموا معتزلة لاعتزالهم مجلس الحسن البصرى واعتزالهم قول المسلـمين، ويضيف ابن المرتـضى قوله[5]: «إن المعـتزلة هم الذين أطلقـوا هذا الاسم، وانهم لم يخالفـوا الإجماع، بل عـملوا بالمجُمع عليه، ورفـضوا المحدثات المبـتدعة». كـما يذكـر القاضى عـبد الجبار أن[6]: « كل ما ورد فى القـرآن من لفظ الاعتـزال فان المراد به الاعتزال عن الباطل، فعلم أن اسم الاعتزال مدح».

وقيل إن اسم الاعتزال يرجع الى سريان نزعـة زهد فيهم، واعتزالهم الناس[7]، ورجـح

= محمـد عمارة، طبعـة دار الهلال ١٩٧١م)، ابن قتيبـة: المعارف، ص٤٤١، (تحقيق: ثروت عكاشـة، طبعة القاهرة، ١٩٦٠م)، الشريف المرتضى: إنقـاذ البشر من الجبر والقدر، ص٢٥٧ (ضـمن رسائل العدل والتوحيـد، جـ١)، الشهرستانى: الملل والنحل، جـ١، ص٥٤، ابن المرتضى: المصـدر السابق والجزء، ص٢٥ ـ ٢٨، طاشى كبرى زارة: مصباح السعادة، جـ٢، ص٢٤، ١٦٤ (تحقيق: كامل كامل بكرى، وعـبد الوهاب ابو النـور، طبعـة دار الكتب الحـديثة، القـاهرة، ١٩٦٨م)، الزركلى: الإعـلام، جـ٢، ص٢٤٢

(١) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، ص٣٩ (تحقيق: على سامى النشار، طبعة دار النهضة المصرية، القاهرة، ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٨م).

(٢) الفرق بين الفرق، ص٩٤، ٩٨.

(٣) مروج الذهب، جـ ٢، ص١٧٤.

(٤) التبصير فى الدين، ص٤٠ ـ ٤١.

(٥) المنية والأمل، جـ١، ص٩.

(٦) الرازى: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، ص٣٩.

(٧) زهدى جار الله: المعتزلة، ص٣.

البعض أنهم نعتوا بذلك لابتعادهم عن المنازعات الناشئة بين الخوارج وخصومهم من أهل السنة والشيعة، فقد وقفوا على الحياد لا ينصرون فريقا على فريق[١].

وتسمى المعتزلة أيضاً «بالعدلية» لقولهم بعدل االله وحكمه، كما تعرف «بالموحدة» لقولهم لا قديم مع الله، وكانوا يطلقون على أنفسهم أهل العدل والتوحيد[٢]، وكان القاضى عبد الجبار اذا تحدث عنهم يستعمل هذا الاسم[٣]، والمعتزلة يفضلون هذا الاسم على غيره من الأسماء[٤].

ويلقب المعتزلة كذلك «بالقدرية» أى أن الإنسان له قدرة على أعماله، وأن الله ليس له فيها صنع ولا تقدير[٥]، غير أن المعتزلة لا يرضون بهذا الاسم[٦]، وقالوا: إنه أولى بأن يطلق على القائلين بالقدر خيره وشره من الله تعالى[٧].

---

(١) نلينو: بحوث فى المعتزلة، ص١٧٣، وما بعدها، (ضمن كتاب التراث اليونانى فى الحضارة الإسلامية، ترجمة: عبدالرحمن بدوى، طبعة دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٥م).

(٢) المقدسى: أحسن التقاسيم، ص٣٧ (طبعة ليدن، ١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م)، الشهرستانى: الملل والنحل، جـ١، ص٥٠، وما بعدها، القلقشيدى: صبح الأعشى، جـ ١٣، ص ٢٥١ (المطبعة الأميرية بالقاهرة، ١٣٣٧هـ/ ١٩١٨م)، ابن المرتضى: المنية والأمل، جـ١، ص ٣، ٢٢، أحمد أمين: ظهر الإسلام، ١٩٨٢م)، ص٧٧، ٩٦ (الطبعة الخامسة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٨٢م)،الموسوعة الفلسفية المختصرة، ص٣٢٨ ترجمة: فؤاد كامل وآخرين، مراجعة زكى نجيب محمود، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٢م).

(٣) المغنى فى أبواب التوحيد والعدل، جـ ٧، ص٣ (تحقيق: إبراهيم الإبيارى، القاهرة، ١٩٦١٢م)، شرح الأصول الخمسة، ص٣٢٨، (تحقيق: عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة بالقاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٦٥م).

(٤) المقبلى: العلم الشامخ، ص٣٠٠ (طبعة القاهرة، ١٣٣١هـ/ ١٩١٢م).

(٥) البغدادى: الفرق بين الفرق، ص٩٤، ابن المرتضى: المصدر السابق والجزء، ص١٤.

(٦) الأشعرى: الإبانة عن أصول الديانة، ص١١٥ (دار الكتاب العربى، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م)، الشهرستانى: الملل والنحل، جـ ١، ص٥٠، حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسى، جـ٢، ص٥ (الطبعة العاشرة، ١٩٨٣م، مكتبة النهضة المصرية).

(٧) رفض المعتزلة اسم القدرية تخلصا من وصمة لقب المجوسية، إذ كان النبى صلى الله عليه وسلم قد قال: (القدرية مجوس هذه الأمة) (البيهقى: مناقب الإمام الشافعى، جـ١، ص٤١٣ (دارالتراث، مصر ١٣٩١هـ)، ابن قتيبة الدينورى: تأويل مختلف الحديث، ص٩٦، ٩٨ (القاهرة، ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م)، الأشعرى: المصدر السابق والصفحة، الشهرستانى: المصدر السابق، والجزء، ص٢١، ابن المرتضى: المنية والأمل، جـ ١، ص١٨.

ومن أبرز الأسماء التي سمي بها المعتزله انفسهم «اهل الحق»، لانهم كانوا يقولون بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر [١]، وأنهم على حق وغيرهم على باطل[٢].

ولكن أشهر هذه الأسماء اثنان: أهل العدل والتوحيد، وأهل الاعتزال، الأول أطلقوه هم على أنفسهم ورضوا به اسما لهم، والثاني فرض عليهم ولزمهم فاضطروا الى قبوله، وراحوا يدافعون عنه ويثبتون فضله[٣].

وأطلق الغير عليهم اسم «الجهمية» [٤]، وذلك لموافقتهم هذه الفرقة فى نفى الصفات، والقول بخلق القرآن، وقولهم إن الله لا يرُى فى الآخرة[٥]، وقد أطلق أئمة الأثر عليهم هذا الاسم[٦]، ولكن المعتزلة رفضوا هذه التسمية وتبرأوا منها[٧]، لأن الجهمية تقول بالجبر[٨]، وقد أرسل واصل بن عطاء الى جهم بن صفوان من يناظره ويدمغ حجته[٩].

---

(١) المقبلي: العلم الشامخ، ص٣٠٠، على سامى النشار، نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام، جـ١، ص ٤٥٩ (الطبعة الثالثة، دار المعارف، ١٩٦٥م).

(٢) زهدى جار الله: المعتزلة، ص٦.

(٣) المقبلي: المصدر السابق، والصفحة، زهدى جار الله: المرجع السابق، ص١٠ ـ ١١.

(٤) عرفوا بالجهمية نسبة الى رئيسهم جهم بن صفوان (ت١٢٨هـ/ ٧٤٥م)، وهو من الجبرية، وكان صاحب مجادلات ومخاصمات فى مسائل الكلام: انظر: (البغدادى: الفرق بين الفرق، ص١٩٩ ـ ٢٠٠، الاسفراييني: التبصير فى الدين، ص٦٣ ـ ٦٤، الشهرستاني: الملل والنحل، جـ١، ص٥٠، الرازى: اعتقادات فرق المسلمين، ص ٦٨، جمال الدين القاسمي: تاريخ الجهمية والمعتزلة، ص١٠ وما بعدها، أحمد أمين: فجر الإسلام، ص ٢٨٦ ـ ٢٨٧، ظهر الاسلام، جـ ٤، ص٩).

(٥) الشهر ستاني: المصدر السابق، والجزء والصفحة، ابن المرتضى: المنية والأمل، جـ١، ص٥.

(٦) من الأئمة: أحمد بن حنبل، والبخارى، وابن تيمية، وابن قيم الجوزية (القاسمى الدمشقى: المرجع السابق، ص ٦٠ وما بعدها،أحمد أمين: المرجع السابق، ص٢٨٧)،

(٧) قال بشر بن المعتمر، أحد كبار شيوخ الاعتزال متبرأ من الجهمية:

فنحن لا ننفك نلقى عـــارا ∴ نفـــر من ذكـــرهم فـــرارا
ننفيهم عـنا ولسنا منهـــم ∴ ولا هـم منا ولا نرضـــاهم
إمـامهم جهـــم، ومـــا لجهم ∴ وصحب عمرو ذى التقى والعلم؟

(الخياط: الانتصار، ص١٣٤، القاهرة ١٩٢٥م).

(٨) البغدادى: المصدر السابق والصفحة، الاسفراييني: المصدر السابق، جـ١، ص٦٣ ـ ٦٤، الشهرستاني: المصدر السابق، جـ١، ص٩١ ـ ٩٢، جمال الدين القاسمى الدمشقى: المرجع السابق، ص١٠، أحمد أمين: المرجع السابق، ص٢٨٦ ـ ٢٨٧.

(٩) القاضى عبد الجبار: فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، ص ٢٦٧ (تحقيق: فؤاد سيد، طبعة الدار التونسية للنشر، ١٩٧٤م)، ابن المرتضى: المصدر السابق، جـ١، ص ٣٥

وينسبهم البعض الى الخوارج ويدعوهم «مخانيث الخوارج»، وذلك لأن المعتزلة كانوا يوافقون الخوارج في تخليد مرتكب الكبيرة في النار مع قولهم إنه ليس بكافر[1].

كما أطلق عيهم اسم «النُفاة» و «المُعَطلة»، وذلك لنفيهم صفات البارى وتعطيلها[2]، ومن معانى التعطيل أيضاً، تعطيل ظواهر الكتاب والسنة عن المعانى التى تدل عيها[3]، واسم «الوعيدية»[4]، وهذا الاسم آت من قول المعتزلة بالوعد والوعيد، وهو أحد الأركان التى يقوم عليها الاعتزال، ومعناه أن الله تعالى صادق فى وعده ووعيده، وأنه لا يغفر الذنوب الا بعد التوبة[5]، وذكر خصومهم أسماء أخرى مقتصرة على فرقة من فرقهم أو مشتقة من عقيدة ثانوية من عقائدهم[6].

---

(١) نسب بعضهم واصلا وعمرو بن عبيد إلي الخواج فقال:

برئت من الخوارج لست منهم .·. من الغزال منهم وبن باب

ومن قوم اذا ذكروا علينا .·. يردون السلام على السحاب

(البغدادي: الفرق بين الفرق، ص٩٨ ـ ٩٩، ٢٢٤، المبرد: الكامل، جـ٢، ص١٤٢، ١٤٣ (مكتبة المعارف، بيروت، بدون تاريخ)، الاسفراييني: التبصير في الدين، ص٤١، أحمد أمين: ظهر الإسلام، جـ٤، ص٦٠ ـ ٦١

(٢) الأشعري: الابانة عن أصول الديانة، ص ٧٨ ـ ٨٥، ابن قيم الجوزية: مختصر الصواعق المرسلة، جـ١، ص١٩٢، ٢٣١ ـ ٢٣٢ (مكة المكرمة، ١٣٤٨هـ/ ١٩٢٩م).

(٣) الشهرستاني: نهاية الإقدام فى علم الكلام، ص١٢٣ (اكسفورد، ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م).

(٤) البغدادي: المصدر السابق، ص١٧٧

(٥) الخياط: الانتصار، ص١٢٦

(٦) من هذه الأسماء مايلي:

١ـ الثنوية: لقولهم الخير من الله والشر من العبد.

٢ـ الحرقية: لقولهم الكفار لا يحرقون إلا مرة.

٣ـ المفنية: لقولهم بفناء الجنة والنار.

٤ـ الواقفية: لقولهم بالوقف فى خلق القرآن.

٥ـ اللفظية: لقولهم ألفاظ القرآن مخلوقة.

٦ـ الملتزمة: لقولهم الله تعالى فى كل مكان.

٧ـ القبرية: لانكارهم عذاب القبر.

٨ـ الواردية: لقولهم لا يدخل المؤمنون النار وإنما يردون عليها.

(المقريزى: الخطط، جـ٣، ص ٢٨٨، طبعة بولاق سنة ١٢٧٠هـ)، زهدى جار الله، المعتزلة، ص٢.

الأصل التاريخى لنشأة المعتزلة

اختلف مؤرخوا الفرق حول الأصل التاريخى لنشأة المعتزلة، فيذهب البعض[1]، الى أن ظهورها كان على يد واصل بن عطاء، بعد اعتزاله مجلس الحسن البصرى، ثم انضم اليه عمرو بن عبيد[2]، ومن وافقهما على رأيهما فى مرتكب الكبيرة، وبذلك تكونت فرقة المعتزلة.

ويضيف الشهرستانى قوله[3]: «إنه دخل رجل على الحسن البصرى فقال: يا إمام الدين لقد ظهرت فى زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبائر، فكيف تحكم لنا بذلك اعتقادا؟ فتفكر الحسن فى ذلك، وقبل أن يجيب قال واصل بن عطاء: « أنا لا أقول إن صاحب الكبيرة مؤمن مطلق ولا كافر مطلق، بل هو فى منزلة بين المنزلتين، ثم قام واعتزل الى اسطوانة من اسطوانات المسجد يقرر ما أجاب به على جماعة من أصحاب الحسن، فقال الحسن: اعتزلنا واصل، فسمى وأصحابه معتزلة».

أما البغدادى[4] فيذكر أنه: « لما ظهرت فتنة الأزارقة[5] بالبصرة والأهواز، اختلف

---

(١) البغدادى: الفرق بين الفرق، ص ٩٨، الشريف المرتضى: أمالى المرتضى، جـ١، ص١٦٧، الاسفراييني: التبصير فى الدين، ص٤٠ ـ ٤١، الشهرستانى: الملل والنحل، جـ١، ص٥٥، ياقوت الحموى: معجم الأدباء، جـ١٩، ص٢٤٦، ابن المرتضى: المنية والأمل ، جـ١، ص٨، ابو المحاسن النجوم الزاهرة، ج١، ص٣١٤ (طبعة دار الكتب، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م)، القاسمى الدمشقى: تاريخ الجهمية والمعتزلة، ص٥٨.

(٢) هو عمرو بن عبيد بن ثابت، كان شيخ المعتزلة والمقدم فيها حسن الأدب واللسان، وكان الخليفة العباسى أبو جعفر المنصور يحترمه ويطلب منه الموعظة (ت١٤٥هـ/ ٧٦٢م)، (الشريف المرتضى: المصدر السابق، جـ١، ص١٧٠، المسعودى: المصدر ص٢٢، ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ٣، ص١٣٠ ـ ١٣٢، ابن المرتضى: المصدر السابق، جـ١، ص٣٨ ـ ٣٩.

(٣) المصدر السابق والجزء والصفحة.

(٤) الفرق بين الفرق، ص٩٨.

(٥) الأزارقة: أصحاب أبى راشد نافع بن الأزرق الذين خرجوا مع نافع من البصرة الى الأهواز، واستولوا عليها وعلى كورها وما وراءها من بلاد فارس وكرمان فى أيام عبد الله بن الزبير وقتلوا عماله بهذه النواحى. (البغدادى: المصدر السابق، ص٦٢ ـ ٦٦، الاسفراييني: التبصير فى الدين، ص٢٩ ـ ٣٠، الشهرستانى: الملل والنحل، جـ١، ص١٢٧ ـ ١٢٨).

الناس عند ذلك فى أصحاب الذنوب، خرج واصل بن عطاء عن قول جميع الفرق، وزعم أن الفاسق فى هذا الأمة لا مؤمن ولا كافر، وجعل الفسق منزلة بين منزلتى الكفر والإيمان، فلما سمع الحسن البصرى من واصل بدعته هذه طرده من مجلسه، فاعتزل عند سارية من سوارى مسجد البصرة، وانضم اليه عمرو بن عبيد، فقال الناس: إنهما اعتزلا قول الأمة وسمى أتباعهما من يومئذ معتزلة».

وكيفما كان الأمر فقد ربطت تلك الروايات ظهور الاعتزال بواصل بن عطاء والحسن البصرى وعمرو بن عبيد[1]، ولا شك أنه تتوفر فيها من عناصر الصحة خاصة مايفيد أن هذه الفرقة ظهرت فجأة، وليس لها ارتباط بزمن سابق فى واقعه وأحداثه.

ويرى بعض المؤرخين والباحثين القدامى[2]، والمحدثين[3] أن روح المعتزلة كان لها جذور فى أحداث الفتن التى وقعت منذ حرب الجمل، وراج اسم الاعتزال منذ بدأت الفتنة، فقد جاء فى تاريخ الطبرى ما نصه[4]: «لما رجع الأحنف بن قيس من عند على لقيه هلال بن وكيع بن مالك بن عمرو فقال: ما رأيك؟ قال: الاعتزال».

ويتحدث الحسن النوبختى[5] (ت ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م) موضحاً مواقف المسلمين بعد

---

(١) تنسب بعض الروايات كلمة الاعتزال الى عمرو بن عبيد، وتجعله بدلا من واصل بن عطاء، وأنه هو الذى اعتزل مجلس الحسن البصرى وليس واصل بن عطاء. (القاضى عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة، ص١٣٨، الشريف المرتضى: أمالى المرتضى، جـ١، ص١٦٧، الحصرى: زهر الآداب، ج١، ص١٠٢، «تحقيق: على محمد البجاوى، الطبعة الأولى، ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٣م، مطبعة دار إحياء الكتب العربية (عيسى الحلبى)»، السمعانى: الانساب، ورقة ٣٩٨ «نشر: د.س مرجليوث، اعادت طبعه بالأوفست مكتبة المثنى ببغداد، ١٩٧٠م»، ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، جـ١، ص٢١٠ ـ ٢١١.

(٢) النوبختى: فرق الشيعة، ص٥ (مشورات دار الأضواء، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م)، الطبرى: تاريخ الطبرى، جـ٤، ص٥٠٤ (طبعة دار المعارف، ١٩٦٩م، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم)، الملطى: التنبيه والرد، ص٤١ (تحقيق: محمد زاهد الكوثرى مكتبة نشر الثقافة الإسلامية، القاهرة، ١٩٤٩م)،

(٣) أحمد أمين: فجر الإسلام، ص٢٩٥، على سامى النشار: نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام، جـ١، ص٤٠٠، ٤٠٥، فؤاد سيد: مقدمة تحقيق كتاب «طبقات المعتزلة» للقاضى عبد الجبار، ص١٢ وما بعدها، نلينو: بحوث فى المعتزلة، ص٤٧ ـ ٤٨، (دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٩م).

(٤) المصدر السابق والجزء والصفحة.

(٥) المصدر السابق والصفحة.

مقـتل عثمـان، فيقـول: « ... وفرقة منهم اعـتزلت مع سعـيد بن مالك، وهو سـعد بن أبى وقاص، وعبـد الله بن عمر بن الخطاب، ومحـمد بن سلمة الأنصارى، وأسـامة بن زيد بن حارثة الكلبى، مولى رسـول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وامتنعوا عن محـاربته والمحاربة معه بعـد دخولهم فى بيعته والـرضاء به فسموا مـعتزلة، وصاوروا أسلاف المعـتزلة الى آخر الأبد». وهذه الرواية تثبت أن معتزلة الفتنة هم أسلاف لمعتزلة واصل بن عطاء.

ويورد الملطى (ت ٣٧٧ هـ / ٩٨٧ م) رواية أخـرى متـحدثا عـمن فارق الحسـن بعد مبايعة معـاوية فيقول[١]: «... عندما بايع الحسن بن على ـ عليـه السلام ـ معاوية، وسلم له الأمر، اعتزلوا الحسن ومعاوية وجـميع الناس، وذلك أنهم كانوا من أصحاب على ولزموا منازلهم ومساجدهم، وقالوا: نشتغل بالعلم والعبـادة، فسموا بذلك معتزلة، والأصول التى عليها خمسة».

ويتضـح من ذلك أن الملطى يتحـدث عن معتزلة الفتنة ومعتـزلة واصل بن عطاء كما لو كانوا فرقة واحدة.

ومما يوضح أن الاعـتزال الواصلى له صلة باعـتزال الفتنة قـول الملطى[٢] إنه: «كـــان بالبصرة أول ظهور الاعتزال لأن أبا حذيفة واصل بن عطاء، جاء به من المدينة».

ويعتـبر كل من النوبختى والملطى من أقـدم من كتب فى الفرق، مما يعطى قـيمة كبـيرة لرأييهما.

ويُرجع المعـتـزلة أصولهـم الى النبى ـ صلى الله عليـه وسلم ـ ، إذ يذكـرون أن واصل وعمرو قـد أخذا مذهب الاعتزال عن أبى هاشم عـبد الله، وأخذه هذا عن أبيه مـحمد بن الحنفــيـة، وهذا عن والده على بـن أبى طالـب، وأخـذه على عـن النبى ـ صلى الله عـليـه وسلم[٣]، وهذا يوافق ما رواه محمد بن الحنفية[٤]. وقد سأل أبو هاشم عن مبلغ علم أبيه

(١) التنبيه والرد، ص٤١.
(٢) التنبيه والرد، ص٤٢.
(٣) ابو القاسم البـلخى: فضل الاعتـزال، ص٦٨ (ضمن رسائل العـدل والتوحـيد جـ١)، القاضى عـبد الجبار: شرح الأصول الخمسة، ص١٣٨، الشريف المرتضى: آمالى المرتضى، جـ١، ص١٦٣، ١٦٥، ابن المرتضى: المنية والأمل، جـ١، ص١٢، المقريزى: الخطط، جـ٣، ص٢٨٣.
(٤) الملل والنحل، جـ١، ص٥٧.

محمد بن الحنفية، فقال: إذا أردتم معرفة ذلك فانظروا الى أثره فى واصل بن عطاء[١].

والمعتزلة يروون فى كتبهم أن: مذهبهم أقدم فى نشأته من واصل بن عطاء، وقد ذكروا أبا بكر وعمر وعثمان وعلى - رضى الله عنهم - فى الطبقة الأولى من طبقات أئمتهم[٢]، ويذكرون الحسن والحسين أبناء على بن أبى طالب فى رجال الطبقة الثانية، وينسبون اليهم القول بالعدل والتوحيد[٣]، ويعدّون الحسن البصرى فى الطبقة الثالثة من أئمتهم[٤]، فإن كان واصل قد انشق عن الحسن البصرى فى مسألة مرتكب الكبيرة فلا يمنع ذلك أن يكون قد تبعه فى الأصول الأخرى كنفى القدر[٥]، وقد ذكر المعتزلة أن له آراء فى العدل والتوحيد[٦].

ويربط بعض الباحثين المحدثين بين معتزلة واصل والفئة التى سميت بهذا الاسم قبل مدرسة الحسن البصرى بزمن طويل، والتى وقفت موقف الحياد من مشكلة على ومعاوية لأنها لم تتبين وجه الحق فى أى الجانبين[٧]، وقد اعتزلوا الناس وأطلق عيهم هذا الاسم لعدم موافقتهم على انتقال الخلافة الى معاوية، وابتعدوا عن المجتمع السياسى، ولجأوا الى العبادة[٨].

والواقع أن نشأة المعتزلة لم تكن مستقلة عن الصراع السياسى الذى كان قائماً فى العصر الأموى حول الإمامة، وأن الخلاف الذى وقع بين واصل وأستاذه الحسن البصرى

---

(١) البلخى: المصدر السابق، ص٦٥، ابن المرتضى: المصدر السابق، والجزء، ص٢٧.

(٢) ذكر المعتزلة أقوالا لأبى بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم تدل على أنهم قالوا بالعدل وأنكروا الجبر.(عبد الجبار: فضل الاعتزال، ص٢١٥، ابن المرتضى: المنية والأمل، جـ١، ص١٧ - ٢٠).

(٣) القاضى عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة، ص١٣٨، ابن المرتضى: المصدر السابق، جـ٩ ص٢٢ - ٢٣.

(٤) القاضى عبد الجبار: فضل الاعتزال، ص٢١٥ - ٢٢٩، ابن المرتضى: المصدر السابق، جـ١، ص٢٥.

(٥) زهدى جار الله: المعتزلة، ص١٤.

(٦) الحسن البصرى: رسالة فى القدر، ص٨١ -٩٣ (ضمن رسائل العدل والتحيد، جـ١، تحقيق: محمد عمارة).

(٧) أحمد أمين: فجر الإسلام، ص٢٩٠.

(٨) النشار: نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام، جـ١، ص٤٠٥.

حول مرتكب الكبيرة هو خلاف ذو أصل سياسى مهما بدا فى طابع دينى عقائدى، وقد ظهر اسم المعتزلة سياسيا فى حروب على وأصحاب الجمل وفى حروب على ومعاوية، لكنه لم يستخدم للدلالة على طائفة معينة(١). ومن ثم فإن المعتزلة المتكلمين انما هم امتداد المعتزلة السياسيين، الذين وقفوا موقف الحياد فى النزاع بين أنصار على ومعاوية، ثم بين انصار ذرية على والخلفاء الأمويين فيما بعد(٢).

وكيفما كان الأمر فإن الاعتزال مذهب ذو مبادئ لا مجرد انفصال من مجلس الى آخر، وأنه معنى من المعانى وليس حركة جسمية، وأن إطلاقة على مدرسة واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد كان إحياءً للاسم القديم لا ابتكاراً، وأن انتقال واصل بن عطاء أو عمرو بن عبيد من حلقة إلى أخرى أو من سارية الى سارية أخرى فى المسجد ليس بالأمر الذى تتكون به فرقة دينية.

---

(١) النشار: نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام، جـ١، ص٤٠٠، أبو الوفاء التفتازانى: علم الكلام وبعض مشكلاته، ص٤٧ ـ ٤٨.

(٢) فؤاد سيد: مقدمة تحقيق كتاب «فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ص٢٥، الفونسوا نلينو: بحوث فى المعتزلة، ص١٩١ (ضمن كتاب التراث اليونانى فى الحضارة الإسلامية، ترجمة عبد الرحمن بدوى، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٥م).

مبادئ المعتزلة الدينية

للمعتـزلة مبادئ وأصول خمـسة يكادون أن يشتركـوا فيها جميعاً ، من خالفهم فيها فليس منهم، ومن وافقـهم فهو منهم[1]، ولا يستحق أحد اسم الاعتـزال حتى يجمع القول بهـذه الأصول وهى: التـوحيـد، والعدل، والوعـد والوعيـد، والمنزلة بين المنزلتيـن، والأمر بالمعــروف والنهى عن المنكر[2]، قـال القاضى عـبد الجبار: «إن المكلف إذا عـرف هذه الأصول، يلزمه معرفة الفقه والشرع»[3].

وكانت هذه الأصول وليدة المناقشات التى كانت تقوم بينهم وبيـن مخالفيهم، فالتوحيد للرد على المشبهـة والمجسمة[4]، والعدل كان للرد على الجهمـية والوعد والوعيد للرد على المرجـئة[5]، والمنزلة ردوا بها على الخوارج، وخلاف المعتزلة مع الإمامية[6]، دخل فـى باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر[7].

---

(١) ابن حـزم: الفصل فى الملـل والأهواء والنحل، جـ٢، ص٨٩، أحمـد أمـين: ضحى الاسـلام، جـ٣، ص٢١ ـ ٢٢.

(٢) الخياط: الانتصار، ص١٢٦، الأشعرى: مقالات الإسلاميين، جـ١، ص٣٣٧ ـ ٣٣٨، البلخى: البدء والتـاريخ، جـ٥، ص١٤٢ (طبـعة ١٨٩٩م، طبع فـى مدينة شـالون بمطبـعـة برطرند، أعـادت طبعـه بالأوفست مكتبة المثنى ببـغداد)، المسعـودى: مروج الذهب، جـ٣، ص٢٢١، الملطى: التنبيه والرد، ص٤١، القاضى عبد الجبـار: شرح الأصول الخمسة، ص١٢٣، (تحقيق: عبد الكريم عـثمان، مطبعة مكتبة وهبة بالقاهرة، ١٩٦٥م، الطبعة الأولى).

(٣) القاضى عبد الجبار: المصدر السابق والصفحة.

(٤) قالوا بجـواز رؤية الله فى الدنيا، وأن معـبودهم جسم ولحم ودم وله جوارح وأعـضاء من يد ورجل ورأس ولسان وعـينين، وكذلك سائر الصـفات وهو لا يشبـه شيئـا من المخلوقات، ولا يشبـهه شئ (الشهرستانى: الملل والنحل، جـ١، ص١١٢).

(٥) كانوا يقولون: لا تضر مع الإيمان معصية، كمـا لا ينفع مع الكفر طاعة، وقالوا: بتأخير حكم الكبيرة الى يوم القيـامـة، فـلا يقـضى عليـه بحكم مـا فى الدنيـا من كـونه من أهل الجـنة أو من أهل النار. (الاسفراييني: التبصير فى الدين، ص٥٩، الشهرستانى: المصدر السابق والجزء، ص١٤٥).

(٦) هم الذين قـالوا بامامـة على بن أبى طالب بعد النبى صلى الله عليه وسلم. (النـوبختى: فـرق الشيـعة، ص١٧، الاسفراييني: التبصير فى الدين، ص٢١، وما بعدها، الشهرستانى: الملل والنحل، جـ٢، ص٢).

(٧) البلخى: البـدء والتاريخ، جـ٥ ص١٢٤، القاضـى عبد الجـبار، شرح الأصـول الخمـسة، ص١٢٤، محـمد أبوزهرة: أبو حنيـفة ص١٦٦ (طبع دار الفكر العربى، الطبـعة الثـانية ١٣٦٩ هـ/ ١٩٤٧م) الشافعى، (دار الفكر العربى، ١٩٧٨م)، محمد عمارة: المعتزلة ومشكلة الحرية، ص٤٣.

وتعتبر هذه الأصول الخمسة ملجؤهم وأصل مذهبهم مع اختلافهم في الفروع(١)، ويرى بعض الباحثين المحدثين أن الإيمان بهذه الأصول مجتمعة قد ميز المعتزلة كفرقة عن سواهم من المذاهب والفرق والمدارس(٢)، وقد سمى المعتزلة بهذه الأصول(٣).

١.التوحيد:

ويقصد المعتزلة بالتوحيد نفى الصفات القديمة، والدفاع عن وحدانية الله عز وجل(٤)، ووجهوا جهدهم الى تركيز حقيقة التوحيد فى النفوس، فقالوا بوحدة الذات والصفات، أى أن ذات الله وصفاته شئ واحد، وأنكروا أن يكون لله تعالى صفات غير ذاته(٥).

ومضمون فكرتهم عن نفى الصفات: أن الله واحد من كل وجه، وهذا يعنى أن صفاته ليست زائدة على ذاته، حى بالذات، قادر بالذات(٦)، لا يشاركه غيره فيما يستحق من الصفات نفيا وإثباتا(٧)، فمن أثبت معنى صفة قديمة فقد أثبت إلهين(٨).

وكان المعتزلة يعدون أنفسهم أعمق الطوائف إيمانا بوحدانية الله وأرشدهم دفاعاً عن هذه العقيدة وتحمسا لها(٩)، وقالوا: من خالف التوحيد ونفى عن الله تعالى ما يجب إثباته، وأثبت ما يجب نفيه فانه يكون كافرا(١٠).

ومن أصول التوحيد عندهم أن الله ذات فقط، وكل ما يطلق عليه من صفات، ما هو

(١) الملطى: التنبيه والرد، ص٤٢، محمد ابو زهرة: الشافعى، ص١٢٠

(٢) محمد عمارة: المرجع السابق، ص٤٤

(٣) راجع أسماء المعتزلة، ص١٥ وما بعدها من هذا البحث.

(٤) الأشعرى: الإبانة عن أصول الديانة، ص٨٧، القاضى عبد الجبار، المصدر السابق، ص١٢٨، القلقشيدى: صبح الأعشى، جـ١٣، ص٢٥١.

(٥) الشهرستانى: المصدر السابق، جـ١، ص٥١، الرازى: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، ص٦٠.

(٦) الأشعرى: الإبانة عن أصول الديانة، ص٩٧.

(٧) القاضى عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة، ص١٢٨.

(٨) الأشعرى: مقالات الإسلاميين، جـ١، ص٢٣٨، الشهرستانى: الملل والنحل، جـ١، ص٤٦. ٥١، الغزالى: الاقتصاد فى الاعتقاد، ص٦٠ (الطبعة الأولى، مطبعة حجازى، القاهرة، بدون تاريخ)، أبو ريدة: إبراهيم بن سيار النظام، ص٨٠ (القاهرة ١٩٤٦م).

(٩) الخياط: الانتصار، ص١٣، ٤١ ـ ٤٢، ابن المرتضى: المنية والأمل، جـ١، ص٤٩.

(١٠) القاضى عبد الجبار: المصدر السابق، ص١٢٥.

الا وجه لذات واحدة، بسيطة لا قسمة فيها، ولا كثرة[١]، ويرى الشهر ستانى: (أن القول بنفى الصفات لما بدأه واصل كان غير ناضج، فهو قد شرع على قول ظاهر، وهو الاتفاق على استحالة وجود إلهين قديمين أزليين، أما المعتزلة الذين خلفوه فقد أخذوا يطالعون كتب الفلاسفة فتوسعوا فى هذه المسألة[٢]، وقد وافق المعتزلة الفلاسفة على هذا القول[٣].

واستبدل بعض المعتزلة لفظ «الصفات» كمعمر بن عباد السلمى[٤]، واستعمل بدلها كلمة«المعانى» وسمى هو واتباعه «أصحاب المعانى»[٥]، كما استبدل أبوهاشم الجبائى[٦]لفظ «الصفات» ودعاها «أحوالا» وقال: إذا قلنا أن الله عالم أثبتنا لله حالة خاصة هى العلم وهى وراء كونه ذاتا، واذا قلنا أن الله قادر أثبتنا لله حالة خاصة هى القدرة وهى وراء كونه ذاتاً، وهكذا فى سائر الصفات[٧].

وأجمعت المعتزلة على أن الله واحد ليس كمثله شئ، وليس بجسم، وليس بذى جهات، ولا يحيط به مكان، ولا يجرى عليه زمان، ولا يوصف بشئ من صفات الخلق

---

(١) ابن المرتضى: المصدر السابق، ج٢، ص١١٧.

(٢) الشهرستانى: المصدر السابق، جـ١، ص٥٣.

(٣) الشهرستانى: نهاية الاقدام، ص١٠٠.

(٤) كان معمر عالما عدلا ومن أعظم المعتزلة مرتبة، وقد اتصل بالفلسفة اليونانية وعده المعتزلة من رجال الطبقة السادسة من رجالهم (ت٢٢٠هـ/ ٨٣٥م). (البغدادى: الفرق بين الفرق، الشهرستانى: الملل والنحل، جـ١، ص٧٢، ابن المرتضى: المنية والأمل، جـ١، ص٥٠، جـ٢، ص١٦٧، على سامى النشار: نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام، جـ١، ص٥٧٩ وما بعدها، إبراهيم مدكور: فى الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه، جـ٢، ص٢٤٢.

(٥) الشهرستانى: المصدر السابق، جـ١، ص٧٣، ابن المرتضى: المصدر السابق، جـ٢، ص١٦٨.

(٦) هو أبو هاشم عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب الجبائى (٣٢١هـ/ ٩٣٣م)، كان هو وأبوه من كبار المعتزلة، وله مصنفات فى الاعتزال، وتبعته فرقة سميت باسمه (البهشمية)، نسبة الى أبى هاشم، وعده المعتزلة من رجال الطبقة التاسعة من رجالهم. (ابن النديم: الفهرست، ص٢٤٧، القاضى عبد الجبار: فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، ص٢٨٦، البغدادى، المصدر السابق، ص١٦٩، الخطيب البغدادى: تاريخ بغداد، جـ١١، ص٥٥ (دار الكتاب العربى، بيروت، لبنان)، الاسفراييني: المصدر السابق، ص٥٣، الشهرستانى: المصدر السابق، جـ١، ص٨٣، ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ٢، ص٣٥٥، ابن المرتضى: المصدر السابق، جـ١، ص٧٩ ـ ٨٠، جـ٢، ص١٧٦، إبراهيم مدكور: المرجع السابق، جـ٢، ص٤٣).

(٧) الشهرستانى: المصدر السابق، جـ١، ص٨٥، ابن المرتضى: جـ٢، ص١٧٦ ـ ١٧٧.

الدالة على حدوثهم، وليس بمحدود، ولا والد ولا مولود، لا تدركه الأبصار، ولا تحيط به الأوهام، لا تلحقه المضار، ولا يصل اليه الأذى والآلام، ولا يجوز عليه الفناء ولا يلحقه العجز والنقص[١]، وأن شيئاً من الحواس لا يدركه فى دنيا ولا فى آخرة، وأنه قديم وكل ما سواه محدث[٢]، وقد سبق الأشياء كلها بنفسه، واستغنى عنها بذاته، فلا قديم إلا هو، لا تحيط به العقول، ولا تتصوره الأوهام، يعلم ما يكون قبل أن يكون، ويعلم ما كان وما سيكون وما لا يكون لو كان كيف يكون[٣].

ولما كان المعتزلة يعتقدون بوحدانية الله عز وجل، وأن القدم أخص وصف لذاته الكريمة[٤]، فإنهم حاربوا كل مذهب وكل قول يرون أنه يتعارض مع مبدأ الوحدانية[٥].

وأثار المعتزلة مسألة رؤية الله بالأبصار[٦]، وكان نفيهم للرؤية نفى استحالة[٧]، وقالوا: نرى الله بقلوبنا، ذلك لأن الرؤية بالقلب بمعنى العلم، و لاتستلزم الجسمية فى المرئى[٨]، وقال القاضى عبد الجبار: «أنه لا أحد يدعى أنه يرى الله سبحانه الا من يعتقده جسماً مصوراً بصورة مخصوصة، أو يعتقد فيه أنه يحل فى الأجسام[٩]، وكفر المعتزلة من يثبت الرؤية على سبيل المقابلة، أو على اتصال شعاع الرائى بالمرئى[١٠]، لأن القول برؤية الله تعالى هدم للتنزيه وتشويه لفكرة الله، وتشبيهه والمُشبِّه كافر بالله[١١].

وأجمع المعتزلة على نفى الجهة من الله تعالى، لأنهم اعتقدوا أن إثباتها يوجب إثبات

---

(١) الأشعرى: مقالات الإسلاميين، جـ١، ص٢٣٥ ـ ٢٣٦.

(٢) ابو القاسم البلخى: فضل الاعتزال، ص٦٣.

(٣) الشريف المرتضى: إنفاذ البشر من الجبر والقدر، ص٢٦٥ (ضمن رسائل العدل والتوحيد، جـ١).

(٤) الشهرستانى: الملل والنحل، جـ١، ص٥١، نهاية الإقدام، ص٢٠١

(٥) زهدى جار الله: المعتزلة، ص٦١، محمد عمارة: المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية، ص٥٠.

(٦) الأشعرى: المصدر السابق، جـ١، ص٢٣٨، الشهرستانى: المصدر السابق، جـ١، ص٥١.

(٧) الشهرستانى: نهاية الإقدام، ص٣٥٦.

(٨) الاشعرى: المصدر السابق، ج١، ص٢٨٩، الإبانة عن أصول الديانة، ص٣٨ ـ ٣٩.

(٩) المغنى فى أبواب التوحيد والعدل، جـ٤، ص٩٨ (تحقيق: محمد مصطفى حلمى، أبوالوفا التفتازانى: طبعة القاهرة، ١٩٦٥م)، شرح الأصول الخمسة، ص٢٣٣.

(١٠) البغدادى: الفرق بين الفرق، ص١٥٢.

(١١) ابن المرتضى: المنية والأمل، جـ٢، ص١٣٢.

المكان والجسمية[1]، وأوّلوا كل الآيات الدالة على الجهة، وعلى الأعضاء، وعلى مشابهة المخلوقات، وكذلك فعلوا مع الآيات التى تدل على الجسمية كإثبات الوجه واليدين[2].

واتفق المعتزلة على أن كلام الله مخلوق[3]، وذلك لنفى وجود أى قديم سوى الذات الإلهية، ومقاومة لما كان النصارى يفشونه بين المسلمين، من القول بقدم الكلام إثباتا لألوهية المسيح الذى هو كلمة الله القديمة[4]، ولأن القول بقدم كلام الله، يجعله من صفاته، والمعتزلة ترد جميع الصفات للذات[5]، وقالوا: إن القرآن يتقدم بعضه على بعض فلا يجوز أن يكون قديما، إن القديم ما لا يتقدمه غيره[6].

وكان بدء المحنة بالقول بخلق القرآن سنة (٢١٨ هـ / ٨٣٣ م) الى أن أفضت الخلافة العباسية الى المتوكل على الله فأمر سنة (٢٣٤ هـ / ٨٤٨ م) بترك النظر والمباحثة والجدال وترك ما عليه الناس فى أيام الخلفاء المأمون والمعتصم والواثق من القول بخلق القرآن[7]، وهذا أبرز أمر فى تاريخ المعتزلة لما اتصل به من أحداث تاريخية واجتماعية وسياسية.

٢.العدل:

وهو الأصل الثانى من أصولهم وأهمها، و كان المعتزلة يفخرون به، ويسمون أصحاب

(١) الاشعرى: مقالات الاسلاميين، جـ٢، ص٢٣٦، ٢٨٦.

(٢) الزمخشرى: الكشاف، جـ١،ص٢٢٠ (مطبعة مصطفى الحلبى، القاهرة، ١٣٨٥هـ) أحمد أمين: ضحى الإسلام، جـ٣، ص٢٦.

(٣) الأشعرى: الإبانة عن أصول الديانة، ص٤١ وما بعدها، القاضى عبد الجبار: المغنى فى أبواب التوحيد والعدل، جـ٧، ص٣، (تحقيق: إبراهيم الأبيارى، طبع القاهرة)، الاسفراييني: التبصير فى الدين، ص٣٧، الشهرستانى: الملل والنحل، جـ١، ص٥١، ابن المرتضى: المصدر السابق والجزء ص١١٧، الموسوعة الفلسفية المختصرة، ٣٢٨.

(٤) القاضى عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة، ص٢٩١، الشهرستانى: المصدر السابق، جـ١، ص٦٨، البير نصرى: فلسفة المعتزلة، جـ١ ص١١٠، أحمد محمود صبحى: فى علم الكلام، جـ١، ص١٢٩ - ١٣٠ (الطبعة الرابعة، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية ١٩٨٢م).

(٥) ابن المرتضى: المنية والأمل، جـ٢، ص١١٩.

(٦) القاضى عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة، ص٥٣١.

(٧) الطبرى: تاريخ الطبرى، ج٩، ص١٩٠، القاسمى الدمشقى: تاريخ الجهمية والمعتزلة، ص٦٩.

العدل والتوحيد[١] وأهل العدل والعدلية[٢]، والعدل على مذهب أهل الاعتزال، هو ما يقتضيه العقل من الحكمة، وهو إصدار الفعل على وجه الصواب والمصلحة[٣].
وقالوا: إن الله يسير بالخلق الى غاية، وإن الله يريد خير ما يكون لخلقه[٤]، وأن أفعال الله كلها حسنة، وأنه لا يفعل القبيح ولا يخل بما هو واجب عليه[٥]، ويعنون أيضاً بالعدل، نفي القدر، والقول بأن الإنسان موجد أفعاله تنزيهاً لله عن أن يضاف له الشر[٦].
يقول القاضي عبد الجبار: «من خالف العدل وأضاف الى الله القبائح من ظلم وكذب وإظهار المعجزات على الكذابين، وتعذيب أطفال المشركين بذنوب آبائهم والإخلال بالواجب فإنه يكفر»[٧].

وقالوا: إن الحكيم لايفعل فعلاً إلا لحكمة وغرض، ولما تقدس الله تعالى عن الانتفاع تعيّن إنما يفعل لينفع غيره[٨]، وأن العدل من صفات الله والظلم والجور منفيان عنه[٩]، وأن الله تعالى لا يحب الظم ولا يحب الفساد[١٠]، والعدل يتحقق في الزمان، والله لم يزل عادلاً، ولكنه يطبق عدله عند ظهور الشر من الكائن العاقل، المحدث، المختار لأفعاله[١١].

ومعنى هذا أن كل فعل من أفعاله الله تعالى لا يخلو من الصلاح والخير[١٢]فالله لا

---

(١) الشهرستاني: الملل والنحل، جـ١، ص٥٠، أحمد أمين: ضحى الإسلام، جـ٣، ص٤٤، محمد عمارة: المعتزلة ومشكلة الحرية، ص٧٤.
(٢) ابن المرتضى: المصدر السابق، جـ١، ص٤، ابن قيم الجوزية: الصواعق المرسلة، جـ١، ص ١٨٥ ـ ١٨٦
(٣) الشهرستاني: المصدر السابق، جـ١، ص٤٩، ابن المرتضى: المصدر السابق، جـ٢، ص ١٤٨
(٤) الأشعري: الإبانة عن أصول الديانة، ص٩٧ ـ ٩٨، أحمد أمين: المرجع السابق، جـ٣، ص٤٥.
(٥) القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، ص١٣٢.
(٦) البغدادي: الفرق بين الفرق، ص٩٤ ـ ٩٥، القلقشيدي: صبح الأعشى، جـ١٣، ص٢٥١.
(٧) المصدر السابق، ص١٣٤.
(٨) الشهرستاني: نهاية الإقدام، ص٣٩٧، ابن المرتضى: المنية والأمل، جـ٢، ص١١٤.
(٩) الخياط: الانتصار، ص٢٣، ٢٧، أحمد أمين: ضحى الإسلام، جـ٣، ص٤٥.
(١٠) ابو القاسم البلخي: فضل الاعتزال، ص٦٣، الاشعري: الإبانة عن أصول الديانة، ص١١٠، المسعودي: مروج الذهب، جـ٣، ص٢٢١، الشهرستاني: المصدر السابق والصفحة، حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام السياسي، جـ١، ص٤٣٠.
(١١) ابن المرتضى: المصدر السابق، جـ٢، ص ١١٧ .
(١٢) الشهرستاني: المصدر السابق، ص٣٩٧، ٤٠٠.

يفعل بعباده إلا ما فيه صلاحهم[١]، وأنه أحسن نظراً لعباده منهم لأنفسهم [٢].

وموقف المعتزلة من مسألة العدل، يرتكز على تعريفهم لله بأنه ذات كاملة، فهو لا يفعل إلا الأصح لعباده، ويطبق عداله على من يستحقه[٣]، وجميع ما يفعله الله بغيره عدل[٤]، يقول الخياط: «إن الله هو الممرض المسقم لمن أمرضه، وإن أحداً لم يمرض نفسه ولم يسقمها، وهو المعيب للنبات والزرع من قحط وجدب، ولكن ذلك كله لا يعد من قبله شراً أو فساداً، فليس كل ما تكرهه النفس قبيحا، وإنما القبيح ما كان ضرراً خالصا أو عبثاً، وذلك كله من الله محال»[٥].

وقد أدى ذلك الى نظريتين مشهورتين هما: نظرية الصلاح والأصلح، ونظرية الحسن والقبح العقليين[٦]. وليس الأصلح هو الألذ، وانما هو أجود فى العاجلة، وأصوب لأجل الآجلة[٧]. ونظرية المعتزلة فى الحسن والقبح، أنهم رأوا أن الحسن والقبح فى الأعمال ذاتيان، فجميع الأعمال الحسنة من عدل وصدق وشجاعة فيها نفسها صفة جعلتها حسنة، والأعمال الحسنة من عدل وصدق وشجاعة فيها نفسها صفة جعلتها حسنة، وجميع الأعمال القبيحة من ظلم وكذب فيها ذاتها صفة جعلتها قبيحة[٨].

ويعد تقرير حرية إرادة الإنسان من أهم ما عرف عن المعتزلة، وليس بين فرق المسلمين من أقر هذه الحرية على نحو من الصراحة والوضوح كما فعل المعتزلة[٩]. فوجهة نظر

---

(١) البغدادى: الفرق بين الفرق، ص١١٥ ـ ١١٦.

(٢) القاضى عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة، ص١٣٤.

(٣) ابن المرتضى: المنية والأمل، جـ٢، ص١١٧.

(٤) الأشعرى: الإبانة عن أصول الديانة، ص١١٤.

(٥) الانتصار، ص٨٠.

(٦) ابن المرتضى: المصدر السابق والجزء ص١١٣ ـ ١١٤، أحمد أمين: ضحى الإسلام، جـ٣، ص١٤١، محمد أبو زهرة: ابن حزم، ص١٤٤ (دار الفكر العربى، ١٣٧٣هـ/ ١٩٤٥م)، الشافعى ص١٢٣ (دار الفكر العربى، ١٩٧٨م)، إبراهيم مدكور: فى الفلسفة الإسلامية، جـ٢، ص١٠٣.

(٧) القاضى عبد الجبار: المصدر السابق، ص٥٠٧، الشهرستانى: نهاية الإقدام، ص٥٠٤.

(٨) القاضى عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة، الغزالى: المستصفى من علم الأصول، جـ١، ص٥٥ ـ ٥٦ (الطبعة الأولى، المطبعة الأميرية ببولاق)، الشهرستانى: الملل والنحل، جـ١، ص٦٦، أحمد أمين: ضحى الإسلام، جـ٣، ص٤٧.

(٩) الأشعرى: الإبانة عن أصول الديانة، ص٩٧، أحمد محمود صبحى: فى علم الكلام، جـ١، ص١٤٨.

المعتزلة فيها أن الاستطاعة قبل الفعل، وهى قدرة عليه وعلى ضده، وهى غير موجبة للعقل، وأنكروا بأجمعهم أن يكلف الله عبدا ما لم يقدر عليه[١]، ولابد من كون القادر على الشئ قادر على ضده فى الجنس[٢].

وأن قدرة الله وإرادته لا تؤثر على قدرة العبد وإرادته، ولا يصح محاسبة الإنسان على أفعاله إلا إذا كان قادراً على فعلها أو الامتناع عنها[٣]، ولا يجوز أن يعذب الله العباد على طولهم وقصرهم وألوانهم وصورهم، لأن هذه الأمور فعله وخلقه فيهم[٤].

وقالوا: إن الناس هم الذين يقدرون أكسابهم، وأنه ليس لله عز وجل فى أكسابهم، ولا فى أعمال سائر الحيوانات صنع ولاتقدير[٥]، وأن أفعال العباد ليست مخلوقة فيهم وإنما هم المحدثون لها[٦]، وأن من قال بأن الله سبحانه خالقها ومحدثها فقد عظم خطؤه[٧].

وتمسك المعتزلة بحرية إرادة الإنسان حتى لا ينسب الشر الخلقى الناتج عن علاقة الإنسان كالظلم الى الله[٨]، واتفقوا على أن العبد خالق لأفعاله خيرها وشرها، مستحق على ما يفعله ثواباً وعقاباً فى الدار الآخرة[٩]، والرب منزه أن يضاف اليه شر وظلم، لأنه

---

(١) الأشعرى: مقالات الإسلاميين، جـ١، ص٣٠٠.

(٢) القاضى عبد الجبار: المغنى، جـ١٣، ص٢٠٦ (تحقيق: أبو العلا عفيفى، القاهرة، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م).

(٣) القاضى عبد الجبار: المصدر السابق، جـ١٤، ص٦٠ (تحقيق: مصطفى السقا، مصر، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م).، على سامى النشار: نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام، جـ١، ص٤٨٢.

(٤) يقول الشريف المرتضى: لو كان الكفر والفجور فعل الله تعالى، لم يجز أن يعذبهم على ذلك، ولا ينهاهم عنه، ولا يأمرهم بخلافه (إنفاذ البشر من الجبر والقدر، ص٢٧٨ ـ ٢٧٩ «ضمن رسائل العدل والتوحيد، جـ١»).

(٥) البغدادى: الفرق بين الفرق، ص٩٤، ابن المرتضى: المنية والأمل، جـ١، ص١٤.

(٦) القاضى عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة، ص٣٢٣ الرازى: فرق المسلمين، ص٣٨، محمد الخضرى: تاريخ الأمم الإسلامية، ص٢٧ (مطبعة الاستقامة بالقاهرة، بدون تاريخ).

(٧) القاضى عبد الجبار: المغنى، جـ٦، القسم الثانى، ص٤١، (تحقيق: الأب قنوانى، وزارة الإرشاد القومى، مصر، بدون تاريخ).

(٨) الشريف المرتضى: انقاذ البشر من الجبر والقدر، ص٢٧٩، أحمد محمود صبحى: فى علم الكلام جـ٢، ص١٤٩.

(٩)قال المعتزلة: وأما حجة العقول على أن الله لم يفعل أفعال العباد. أنا وجدنا من أفعال العباد ما هو ظلم وعبث وفساد، وفاعل الظلم ظالم، وفاعل العبث عابث، وفاعل الفساد مفسد، فلما لم يجز أن يكون الله مفسدا، علمنا أنه لا يفعل الظلم ولا العبث ولا الفساد. (الشريف المرتضى: المصدر السابق، ص٢٧٨ ـ ٢٧٩).

لو خلق الظلم كان ظالماً، كما لو خلق العدل كان عادلا[1]، ولو كان الكافر مجبرا على كفره لكان أمره بالإيمان تكليفا له بما لا يطيق[2]، والعباد يفعلون ما أمروا به، ونهوا عنه، بالقدرة التى خلقها لهم وركبها فيهم، فيطيعوا أو يتركوا المعاصى[3].

وقد أثارت مسألة خلق الأفعال عند المعتزلة وخصومهم مسائل عديدة منها

مسألة التولد[4]، يقول الشهر ستانى: « وبشر بن المعتمر هو الذى بالتولد وأفرط فيه، فقال: كل ما تولد من فعلنا مخلوق لنا[5]، وقال أبو الهذيل العلاف[6]: «إن كل ما تولد من فعله مما يعلم كيفيته فهو من فعله، فالألم الحادث عن الضرب من فعله، أما الألوان والطعوم والبرودة والحرارة فكلها من فعل الله»[7] وقال ثمامة بن الأشرس: إن الأفعال المتولدة لا فاعل لها، والمعرفة متولدة من النظر وهى فعل لا فاعل له كسائر المتولدات[8].

وكان النظام يرى أن : الإنسان لا يفعل إلا الحركة، ولا يفعل الإنسان الحركة إلا فى نفسه، فأما فى غيره فلا، فإذا حرك يده فذلك فعله، أما إذا رمى حجراً فتحرك الى فوق أو

---

(١) الأشعرى: الإبانة عن أصول الديانة، ص١١٠ ـ ١١١، القاضى عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة ص٣٤٥، الشهرستانى: الملل والنحل، جـ١، ص٥٢، ابن المرتضى: المصدر السابق، جـ٢، ص١٤٩ وما بعدها.

(٢) القاضى عبد الجبار: المغنى، جـ٦، القسم الثانى، ص٣٤١ ـ ٣٤٩.

(٣) ابو القاسم البلخى: فضل الاعتزال، ص٦٣.

(٤) قال ابن حزم: تنازع المتكلمون فى معنى عبروا عنه بالتوالد،فقالت طائفة: ما تولد من ذلك عن فعل إنسان أوحى فهو فعل الإنسان أو الحى واختلفوا فيما تولد من غير حى فقالت طائفة: هو فعل الله، وقالت طائفة ما تولد من غير حى فهو فعل الطبيعة، وقال آخرون: كل ذلك فعل الله عزو وجل (الفصل فى الملل والأهواء والنحل، جـ ٥، ص٣٧، «مكتبة صبيح، مصر ١٣٤٨هـ»).

(٥) الملل والنحل، جـ١، ص٧٠ ـ ٧١.

(٦) هو محمد بن الهذيل العلاف، لقب بالعلاف لأن داره فى البصرة كانت في العلافيين، وكان الخلفاء ـ المأمون والمعتصم والواثق ـ يقدمونه ويعظمونه، و كان أحمد بن أبى دؤاد من تلامذته (ت سنة ٢٣٥هـ/ ٨٤٩م)، (الملطى: التنبيه والرد، ص٤٣ ـ ٤٤، الشهرستانى: الملل والنحل، جـ١، ص٥٧، ابن المرتضى: المنية والأمل، جـ١، ص٤٣ ـ ٤٤).

(٧) الاشعرى: مقالات الإسلاميين، جـ٢، ص٨٧.

(٨) الشهرستانى: المصدر السابق والجزء، ص٧٧، ابن المرتضى: المصدر السابق جـ٢، ص١٧١.

الى تحت، فتحرك الحجر ليس فعل الإنسان، وإنما هو من فعل الله[١].

وترتبط فكرة التولد بمبدأ الجزاء والمسئولية، فموضوع التولد مثل من أمثلة التعمق الذى امتاز بـه المعتزلة، هو يعنى إثبـات القدرة والارادة والاستطاعة للإنســان، ونسبة أفعـاله اليه، ومن ثم اعتبار الجزاء من ثواب أو عقاب جزاءً لما قدمته يد الإنسان المكلف من أعمال.

٣.الوعد والوعيد:

الوعد هو: كل خيـر يتضمن إيصال نفع الى الغـير أو دفع ضرر عنه فى المستـقبل، أما الوعيد: فهـو كل خير يتضمن ايصـال ضرر الى الغير، أو تفويت نفع عنه فى المسـتقبل[٢] ويعنى هذا المـبدأ من مـبادئ المـعتـزلة أن الله وعـد المطيعـين بالثواب وتوعـد العصـاة بالعقاب، وأنه يفعل ما وعد به وتوعـد عليه لا محالة، ولا يجوز عليه الخلف والكذب[٣]، أى من أحسن عملاً فيجازى بالحسان إحـسانا، ومن أساء يجازى بالإساءة عذابا أليما[٤]، وقد قصد المعـتزلة الأثر النفسى الذى يحدثه مبدأ الوعد والوعـيد، (فإذا علم المذنب أى مرتكب الـكبيرة أنه لا يعـاقب على ذنبه، بل عـفى عنه لم ينزجر عن الذنـب بل كان ذلك تقريراً له على ذنبه وعدم التوبة عنه، وكان أغراءً للغير عليه)[٥].

وقد وافق واصل بن عطاء وعـمر بن عبيـد الخوارج فى تأبيد صاحب الكبـيرة فى النار مع قولهما بأنه موحد وليس بمشرك ولا كافر[٦].

وقالت المعتزلة: ان المـعاصى تنقسم الى صغائر وكبائر، والكبيرة ماأتـى فيها وعيد، وقالوا: إن الكبائر شر بعضها يصل الى حـد الكفر، فمن شبه الله أو جوَّره فى حكمه، أو كذبه فى خـبره فـقد كـفر[٧]، ويقول الشـهرستـانى حينما قـررهذا الأصل من أصولهم:

---

(١) الأشعرى: مقالات الإسلاميين، جـ٢، ص٨٨، الشهرستانى: الملل والنحل، جـ٢، ص٦٢ ـ٦٣.

(٢) القاضى عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة، ص١٣٤ ـ ١٣٥،

(٣) القاضى عبد الجبار: المصدر السابق، ص١٣٥ ـ ١٣٦.

(٤) الأشعرى: الإبانة عن أصول الديانة، ص ١٠٩ ـ ١١٠.

(٥)الإيجى: المواقف، جـ٢، ص٤٤٦ (طبعة بولاق القاهرة، ١٩١٣م).

(٦)البغدادى: الفرق بين الفرق، ص٩٨.

(٧) الاشعرى: مقالات الإسلاميين، جـ١، ص ٣٣٢ ـ ٣٣٦، أحمد أمين: ضحى الإسلام، جـ٣، ص ٦٢ ـ ٦٣.

«واتفقوا على أن المؤمن إذا خرج من الدنيا على طاعة وتوبة استحق الثواب والعوض، والتفضل معنى آخر وراء الثواب، وإذا خرج من غير توبة عن كبيرة ارتكبها استحق الخلود في النار، لكن يكون عقابه أخف من عقاب الكفار، وسموا هذا النمط وعدا ووعيداً»(١).

وقد عبر عن هذا المعنى القاضي عبدالجبار في قوله(٢): «إن المكلف إذا عرف أنه مستحق الذم والعقاب على المعاصي، ومستحق المدح والثواب على الطاعات، كان ذلك أقرب الى اختيار الطاعات واجتناب المعصية كما عرف من النفع والضرر فيهما».

ورتبوا على ذلك أنه لا عفو عن كبيرة من غير توبة(٣)، وأن الله لا يغفر لمرتكب الكبائر الا بالتوبة، وأنه صادق في وعده ووعيده(٤).

ولما كانت الشفاعة يوم القيامة تتعارض مع إنجاز الوعيد، وتحول دون عقاب من توعدهم الله بالعقاب(٥)، فإنهم أنكروها وتأولوا الآيات الواردة في ثبوتها، وتمسكوا بالآيات الواردة في نفيها(٦)، وقالوا: إن ما يناله الإنسان باستحقاق منه، وان أسمى المنازل منزلة هو الاستحقاق(٧).

قال القاضي عبد الجبار: «من خالف في الوعد والوعيد، وقال: إنه تعالى ما وعد المطيعين بالثواب ولا توعد العاصين بالعقاب فإنه يكون كافرا(٨)، وأصل الوعد والوعيد متفرع عن أصل العدل، إذ تقتضي العدالة الإلهية أن تثيب الأخيار وأن تعاقب الأشرار»(٩).

---

(١) الملل والنحل، جـ١، ص٥٢.

(٢)المغني، جـ١٢، ص٤٩٢ (تحقيق إبراهيم مدكور، القاهرة، ١٩٦٢م).

(٣) الأشعري: الإبانة عن أصول الديانة، ص٢٠ ـ٢١.

(٤) الاسفراييني: التبصير في الدين، ص٣٩.

(٥) زهدي جار الله: المعتزلة، ص٥١ ـ٥٢.

(٦) الأشعري: المصدر السابق، ص١٣٩ ـ ١٤٠، ابن حزم: الفصل جـ٤، ٥٣ ـ ٥٤.

(٨) المسعودي: مروج الذهب، جـ٣، ص٢٢١، حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي، جـ١، ص٤٣٠.

(٨)القاضي عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة، ص, ١٢٥

(٩) القاضي عبد الجبار: المغني جـ١٢، ص٤٩٣، محمد عمارة: المعتزلة ومشكلة الحرية، ص٦٥، أحمد محمود صبحي: في علم الكلام، جـ١، ص١٥٧

ويمكن تلخيص النظرة المعتزلية الى اليوم الآخر: أنه استحقاق وأعواض، استحقاق الإنسان على طاعته الثواب وعلى معصيته العقاب، وأعواض لغير المكلفين كالأطفال والحيوانات[1]، والرق عند القاضى عبد الجبار لا يمكن أن يحسن عقلاً، ولا أن يكون عدلاً، على أن الله يغمر لهم عوضاً عما كابدوا، وإلا لم يكن منه أن يبيحه[2]، والتعويض يكون على ضربين. اما بانتصاف المظلوم من الظالم أو يدفع البدل عن الفعل الشاق، نحو استعمال الأجير وغيره[3].

ويوضح المعتزلة أن عوض البهائم أنفع لها الى الحد الذى لو أدركت البهيمة واطلعت على ما تستحقه من عوض لتمنت لأجله تكرار الذبح حالا بعد حال[4]، ويصف «جولد تسهير» هذه النظرة الأخلاقية للحيوان لدى المعتزلة: «أنها حماية للحيوان فى صورة إنسانية»[5].

وقد أجمع المعتزلة على أنه لا يجوز أن يؤلم الله الأطفال فى الآخرة، ولا يجوز أن يعذبهم[6]، إذ لا يعذب الا من يستحق العذاب، أما من لم يتوجه اليهم التكليف أو الخطاب بأمر أو نهى ـ أطفال مسلمين أو مشركين ـ فالله منزه عن تعذيبهم[7].

وحقيقة الوعد والوعيد تعنى أن من أطاع الله دخل الجنة ومن عصاه دخل النار، وأن يجازى من أحسن بالإحسان، ومن أساء بالسوء.

---

(١) الأشعرى: مقالات الإسلاميين، جـ ١، ص٣١٩، ٣٢، أحمد محمود صبحى: فى علم الكلام، جـ١، ص١٥٧.

(٢) المغنى، جـ٦، ق١، ص١١، جـ١٣، ص٤٦٥ (تحقيق: أبو العلا عفيفى، القاهرة، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م).

(٣) القاضى عبد الجبار: المصدر السابق، جـ١٣، ص٤٧٠، جـ١٢، ص٢٨٦.

(٤) القاضى عبد الجبار: المصدر السابق، جـ١٣، ص٤٥٦.

(٥) العقيدة والشريعة فى الإسلام، ص٩٤ (ترجمة: محمد يوسف موسى وآخرين، طبع القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٤٦م).

(٦) الأشعرى: مقالات الإسلاميين، جـ١، ص٣١٩.

(٧) القاضى عبد الجبار: المختصر فى أصول الدين، ص٢٢٢ ـ ٢٢٣، (ضمن رسائل العدل والتوحيد، جـ١).

٤. المنزلة بين المنزلتين:

يقول القاضى عبد الجبار[1]: « المنزلة بين المنزلتين هى العلم بأن لصاحب الكبيرة اسم بين الاسمين، وحكم بين الحكمين، وقد جعل واصل بن عطاء الفسق منزلة بين منزلتى الكفر والايمان[2]، اذ قال: «أنا لا أقول أن صاحب الكبيرة مؤمن مطلق ولا كافر مطلق، بل فى منزلة بين المنزلتين، لا مؤمن ولا كافر[3].

ويرى المسعودى[4] أن هذا الأصل نقطة البدء فى تكوين المعتزلة فيقول: « وأما القول بالمنزلة بين المنزلتين فهو أن الفاسق حسب ما ورد التوقيف بتسميته، وأجمع أهل الصلاة على فسوقه، وبهذا الباب سميت المعتزلة وهو الاعتزال».

ويقول الاسفراييني[5]: «ومما اتفقوا عليه من فضائحهم قولهم: إن حال الفاسق الملى منزلة بين المنزلتين، لا هو مؤمن ولا هو كافر، وإن هو خرج من الدنيا قبل أن يتوب يكون مخلدا فى النار».

وفى إطار هذا الأصل كان الخلاف مع المرجئة من جانب، و الخوارج من جانب آخر[6]، وذهب المعتزلة أيضاً الى القول بأن مرتكب الكبيرة الذى لم يتب يكون مآله فى الآخرة التخليد فى النار، وان يكن فى درجة أخف من درجة الكفار[7].

ويقول الخياط[8]: «فوجب أن صاحب الكبيرة ليس بمؤمن بزوال أحكام الإيمان عنه فى كتاب الله، ووجب أنه ليس كافرا بزوال أحكام الكفر عنه، ووجب أنه ليس بمنافق بزوال أحكام المنافقين عنه فى سنة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ، ووجب أنه فاسق فاجر

---

(١) شرح الأصول الخمسة، ص١٣٧.

(٢) البغدادى: الفرق بين الفرق، ص٩٨، الرازى: اعتقادات المسلمين، ص٤٠، القاسمى: تاريخ الجهمية والمعتزلة، ص٥٨.

(٣) الشريف المرتضى: أمالى المرتضى، جـ١، ص١٦٧، الشهرستانى: الملل والنحل، جـ١، ص٥٥.

(٤) مروج الذهب، جـ٣، ص٢٢٢.

(٥) التبصير فى الدين، ص٣٨.

(٦) القاضى عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة، ص١٢٣، محمد عمارة: المعتزلة ومشكلة الحرية، ص٦٥، أحمد محمود صبحى: علم الكلام، جـ١، ص١٦١.

(٧) الشهرستانى: الملل والنحل، جـ١، ص٥٦.

(٨) الانتصار: ص١٦٥، ١٦٧.

لاجماع الأمة على تسميته بذلك وبتسمية الله فى كتابه».

وقد جعل المعتزلة فكرة المنزلة بين المنزلتين خطة للاعتدال فى الأمور، والتوسط بين المتطرفين[١]، ويرى البعض أن: مبدأ المنزلة بين المنزلتين هو الخطوة الأولى فى ظهور المعتزلة وتميزها كاستمرار فى ميدان الفكر والنظر[٢].

وهذا المبدأ هو سبب للخلاف بين الحسن البصرى وواصل بن عطاء، ذلك الخلاف الذى تبلورت على أثره مدرسة المعتزلة كمدرسة مستقلة ورثت كل تقاليد القائلين بالعدل والتوحيد فى تراث المسلمين[٣].

٥. الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر:

وهذا هو الأصل الخامس من أصول المعتزلة، ويرى المعتزلة أنه لا خلاف فى وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر[٤]، وأن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، بالقلب إن كفى، وباللسان إن لم يكف القلب، وباليد إن لم يغننا اللسان وبالسيف ان لم تكف اليد[٥]، لقوله تعالى: «وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفيئ الى أمر الله»[٦]، فالله أمر بإصلاح ذات البين أولا، ثم بعد ذلك بما يليه الى أن انتهى الى المقاتلة[٧].

يقول ابن حزم[٨]: «ذهب المعتزلة الى أن سل السيوف فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واجب إذا لم يكن دفع المنكر إلا بذلك».

---

(١) زهد جار الله: المعتزلة، ص٥٦، محمد عمارة: المرجع السابق، ص٦٨.

(٢) نلينو: بحوث فى المعتزلة، ص١٩١ .

(٣) الشهرستانى: الملل والنحل، جـ١، ص٣٣، ٥٥، محمد عمارة: المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية، ص٦٦.

(٤) يقول القاضى عبد الجبار: الأمر هو: قول القائل لمن دونه فى الرتبة افعل، والنهى: هو قول القائل لمن دونه لا تفعل، والمعروف: هو كل فعل عرف فاعله حسنه أو دل عليه، والمنكر: هو كل فعل عرف فاعله قبحه أو دل عليه. (شرح الأصول الخمسة، ص١٤١ ـ ١٤٢، ١٤٥).

(٥) الاشعرى: مقالات الإسلاميين، جـ١، ص٣٣٧، جـ٢، ص١٤١ ـ ١٤٢، أحمد أمين: ضحى الإسلام، جـ٣، ص٦٤ ـ ٦٥.

(٦) سورة الحجرات، آية: ٩.

(٧) القاضى عبد الجبار: المصدر السابق، ص١٤١ ـ ١٤٤.

(٨) الفصل فى الملل والأهواء والنحل، جـ٤، ص١٣٢.

وكان المعتزلة يعتقدون (أنه لا فرق فى باب المناكير بين أن تكون من أفعال القلوب وبين أن تكون من أفعال الجوارح فى أنه يجب النهى عنها، إذ النهى عنها وجب لقبحها، والقبح يعمها)[1].

وقد حكى الأصفهانى [2] أن عبد الكريم بن أبى العوجاء كان يفسد الأحداث بالبصرة فقال له عمرو بن عبيد: قد بلغنى أنك تخلو بالحدث من أحداثنا فتفسده وتدخله دينك، فإن خرجت من مصرنا وإلا قمت فيك مقاماً أتى فيه على نفسك، فلحق بالكوفة. فدل عليه محمد بن سليمان فقتله وصلبه.

ونرى واصل بن عطاء أنه فى ثبوت ما يشهد على إلحاد بشار بن برد، يقول[3]: «أما لهذا الأعمى الملحد المكنى بأبى معاذ من يقتله؟».

وتعاون واصل واتباعه من معتزلة البصرة أمثال عمرو بن عبيد على طرده من مدينتهم، وكان الخوف قد بلغ من بشار، فبارحها وظل غائباً عنها حتى توفى عمرو بين عبيد خليفة واصل سنة ١٤٥ هـ (٧٦٢ م)[4].

وهذا المبدأ هو الذى جعلهم يضطهدون مخالفيهم ويقسون عليهم. لاعتقادهم أنهم بمخالفتهم قد أتوا منكرا[5]، ويقول القاضى عبد الجبار[6]: «ولهذا نباهى بالحسين بن على على سائر الأمم، فنقول: لم يبق من ولد الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلا سبطا واحدا، فلم يترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر حتى قتل فى ذلك».

وهذا المبدأ هو الذى جعل للمعتزلة موقفا فعالاً فى الدولة، وجعل لهم سلطانا على الناس يوم أتيح لهم ذلك.

---

(١) القاضى عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة، ص١٤١ ـ ١٤٤.
(٢) الأغانى، جـ٣، ص٩٩٣ (تحقيق: إبراهيم الإبيارى، طبعة الشعب، ١٣٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م).
(٣) الجاحظ: البيان والتبيين، جـ١، ص١٦ (مكتبة الخانجى)، تحقيق: عبد السلاتم هارون، ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م، المبرد: الكامل فى اللغة والأدب، جـ٢، ص١٤٤ (مكتبة المعارف، بيروت، بدون تاريخ)، الاصفهانى: المصدر السابق والجزء، ص٩٩٢، الشريف المرتضى: آمالى المرتضى، جـ١، ص١٤٠، الحصرى: زهر الآداب وثمرة الألباب، جـ٢، ص٤٧٣ (تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت لبنان، الطبعة الرابعة، ١٩٧٢م)، ياقوت الحموى: معجم الأدباء، جـ١٩، ص٢٤٥.
(٤) الجاحظ: المصدر السابق والجزء، ص٢٥، أحمد أمين: ضحى الإسلام، جـ٣ ، ص٦٧.
(٥) زهدى جار الله: المعتزلة، ص٥٢ ـ ٥٣.
(٦) شرح الأصول الخمسة، ص١٤٣.

انتشار تعاليمها فى بغداد

ظلت البصرة مركزا لحركة الاعتزال كلها رغم تعدد شيعها حتى قامت العاصمة بغداد وازدهرت، واستقر بعض رجال تلك الحركة فيها[1]، وقد أخذ معتزلة بغداد الاعتزال عن معتزلة البصرة، حيث خرج بشر بن المعتمر الى البصرة، فلقى بشر بن سعيد، وأبا عثمان الزعفرانى، وهما صاحبا واصل بن عطاء فأخذ عنهما الاعتزال، وحمل الاعتزال والأصول الخمسة الى بغداد[2].

وفى عهد الخليفة أبي جعفر المنصور (١٣٧ ـ ١٥٨ هـ/ ٧٥٤ ـ ٧٧٥ م) رفع المعتزلة رؤوسهم، وذلك لأن عمراً بن عبيد كان صديقا للمنصور قبل أن تؤول اليه الخلافة، وكان المنصور يحترمه ويخضع له، ويطلب منه الموعظة لزهده[3]، وفى تلك الأثناء كان المعتزلة يعلمون الكلام فى مسجد المنصور ببغداد[4]. وعلى الرغم من صلات الخليفة المنصور بفكر المعتزلة واختلافه الى حلقاتهم، إلا أننا نجد المعتزلة يناصرون ابراهيم بن عبدالله بن الحسن ابن أبي طالب حين خرج من البصرة ومعه المعتزلة والزيدية لمحاربة الخليفة المنصور[5].

---

(١) السيوطى: تاريخ الخلفاء، ص٢٦٢، معن زيادة: مقدمة كتاب «المسائل فى الخلاف بين البصريين والبغداديين لأبى سعيد النيسابورى ص٩ (معهد الإنماء العربى، ليبيا، الطبعة الأولى، ١٩٧٩م).

(٢) الملطى: التنبه والرد، ص٤٢ ـ ٤٣، على سامى النشار: نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام، جـ١، ص٤٥٩.

(٣) ابن قتيبة الدينورى: عيون الأخبار، جـ٢، ص٣٣٧ (الطبعة الأولى، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٨م)، الشريف المرتضى: أمالى المرتضى، جـ١، ص٧٠، الحصرى: زهر الآداب، جـ١، ص١٠٣، الخطيب البغدادى: تاريخ بغداد، جـ١٢، ص١٦٦ ـ ١٦٩، ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ٣، ص١٣١، ابن المرتضى المنية والامل، جـ١، ص٤١، السيوطى: المصدر السابق، ص٢٦٥، ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، جـ١، ص٢١١، (دار المسيرة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية).

(٤) حسن أحمد محمود: العالم الإسلامى، ص٢٦١.

(٥) ابو القاسم البلخى: فضل الاعتزال، ص١١٧، الأشعرى: مقالات الإسلاميين، ج١، ص١٥٤، البغدادى: الفرق بين الفرق، ص٢٣١، ابن المرتضى: المنية والأمل، جـ١، ص٤١ ـ ٤٢.

ونهى الخليفة هارون الرشيد(١٧٠ ـ ١٩٣ هـ / ٧٨٦ ـ ٨٠٨ م) عن المجادلة وأمر بحبس المتكلمين[١]، وقد بلغه عن بشر المريسى[٢] القول بخلق القرآن، فقال: لئن ظفرت به لأضربن عنقه[٣]، كما قام الخليفة الرشيد بحبس بشر بن المعتمر(ت ٢١٩ هـ / ٨٣٤ م) ، فكان ينظم فى السجن شعراً فى العدل والتوحيد والوعيد، فألهج الناس بنشدها فى كل مجلس ومحفل[٤]، حتى قالت حاشية الرشيد له فى ذلك: ان بشراً فى سجنه أخطر مما كان حرا[٥].

لم تبلغ تعاليم الاعتزال مبلغها من القوة والانتشار فى العصر العباسى الأول إلا فى عهد الخليفة المأمون (١٩٨ ـ ٢١٨ هـ / ٨١٣ ـ ٨٣٣م) [٦] واشتهر المأمون بالحرص على الدين ومتابعة الملحدين والزنادقة[٧].

وقد تتلمذ المأمون على يد شيوخ المعتزلة، أمثال: ثمامة بن الأشرس، ويحيى بن المبارك، وبشر بن غياث المريسى، وأبى الهذيل العلاف وقد كانوا من رءوس المعتزلة[٨].

ولما كان المعتزلة فى وقت المأمون طلابا للعلم والفلسفة فإنه قربهم اليه، واستطاب

(١) الطبرى: تاريخ الطبرى، جـ ٨، ص٢٣٠ وما بعدها، ابن المرتضى: المصدر السابق والجزء، ص٥١، السيوطى: تاريخ الخلفاء، ص٢٨٣ وما بعدها.

(٢) هو بشر بن غيات المريسى (ت٢١٩هـ/ ٨٣٤م). شيخ المعتزلة، وكان يدعو الى القول بخلق القرآن وقد أخذ الفقه عن القاضى أبى يوسف الحنفى، إلا أنه اشتغل بالكلام. (ابن خلكان: وفيات الاعيان، جـ١، ص٢٥١، الحافظ بن كثير: البداية والنهاية، جـ١٠ ص٢٨١ (الطبعة الرابعة، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)، طاش كبرى زادة: مفتاح السعادة، جـ٢، ص١٦٧.

(٣) السيوطى: المصدر السابق، ص٢٨٤.

(٤) الملطى: التنبيه والرد، ص٤٣، القاضى عبد الجبار: فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، ص٢٦٥، ابن المرتضى: المصدر السابق والجزء، ص٤٩.

(٥) الخياط: الانتصار، ص١٩٤، الملطى: المصدر السابق، ص٤٣، البير نصرى نادر: فلسفة المعتزلة، جـ١، ص٢٦ ـ ٢٧.

(٦) الطبرى: تاريخ الطبرى، جـ ٨، ص٥٢٧ وما بعدها، السيوطى: المصدر السابق، ص٣٠٦ وما بعدها.

(٧) السيوطى: تاريخ الخلفاء، ص٣٠٦ ـ ٣٠٧، الدورى: العصر العباسى الأول، ص ٢٢٢ (بغداد، الطبعة الأولى).

(٨) ابو المحاسن: النجوم الزاهرة، جـ٢، ص١٨٧، ٢٢٥، الشهرستانى: الملل والنحل، جـ١، ص٧٨، ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١٠، ص٢٧٥، أحمد فريد الرفاعى: عصر المأمون، جـ١، ص٣٦٧ ـ ٣٦٨

مجالسهم فأدى به ذلك الى الإيمان بمبادئهم والدخول فى مذهبهم[١]، وهو الذى شغف بالعلم ومجد الرأى، وقد التف حوله رجالهم، و جلس هو منهم مجلس التلميذ[٢].

وقد عمل المأمون على عقد مجالس للمناظرة، وذلك لإزالة الخلاف بين المتناظرين فى المسائل الدينية التى كانت مصدر جدل ونزاع، وكان مجلسه للمناظرة كل يوم ثلاثاء[٣].

وكان المأمون يميل الى الأخذ بمذهب المعتزلة، فقرب أتباع هذا المذهب اليه، ومن ثم أصبحوا ذوى نفوذ كبير فى قصر الخلافة ببغداد، ووافق المأمون المعتزلة فيما ذهبوا اليه من أن القرآن مخلوق وعمد الى تسخير قوة الدولة فى إرغام الناس على القول بخلق القرآن[٤].

ويروى البغدادى أن الخليفة المأمون قد تلقى مبادئ الاعتزال على يد ثمامة بن الأشرس[٥]، وقد أراد المأمون أن يستوزره فاستعفاه من ذلك[٦]، ويرجع الفضل أيضاً فى انتشار الاعتزال ببغداد الى الإعجاب بشخصية المرودار الزاهدة وفصاحته وقدرته على الوعظ وحسن القصص، ومن أجل هذا سمى «راهب المعتزلة»[٧].

عاصر العلاف الحركة الفلسفية المشهورة بحركة النقل والترجمة، وناقش وجادل فى حضرة الخلفاء، والمأمون بالذات[٨].

---

(١) زهدى جار الله: المعتزلة، ص١٦٢، محمد ابو زهرة: ابن حنبل «حياته وعصره»، ص٤٤ ـ ٤٥

(٢) السيوطى: المصدر السابق، ص٣٠٦ ـ ٣٠٨، عبد الحكيم بلبع: أدب المعتزلة، ص١٤٣ (الطبعة الثالثة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة).

(٣) أبو حنيفة الدينورى: الأخبار الطوال، ص٤٠١ (تحقيق عبد المنعم عامر، ١٩٥٩م، أعادت طبعة بالأوفست ـ مكتبة المثنى ببغداد)، المسعودى: مروج الذهب، جـ٢، ص٣٤٠ (دار الكتاب اللبنانى، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م، تحقيق: محيى الدين عبد الحميد)، السيوطى: المصدر السابق، ص٣٢٧، على إبراهيم: التاريخ الإسلامى العام، ص٤٠٧ (القاهرة، ١٩٧٢م)، حسن إبراهيم تاريخ الإسلام السياسى، جـ٢، ص٢٤١

(٤) الطبرى: تاريخ الطبرى، جـ٨، ص٦٣١ ـ ٦٤٩، ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ١، ص ٤٨ ـ ٦٧

(٥) الفرق بين الفرق، ص١٥٧

(٦) الزركلى: الأعلام، جـ٢، ص٨٦

(٧) القاضى عبد الجبار: طبقات المعتزلة، ص٢٧٧، الشهرستانى: الملل والنحل، جـ١، ص٥، المقريزى: الخطط، جـ٢، ص٣٤٦، ابن المرتضى: المنية والأمل، جـ١، ص٦٠، أحمد أمين: ضحى الإسلام، جـ٣، ص١٤٦

(٥) ابن النديم: تكملة الفرسهت، ص١ ـ ٢، الشهرستانى: المصدر السابق والجزء ص٥٧، على سامى النشار: نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام، جـ١، ٤٩١

وكانت أيضاً سيرة جعفر بن مبشر وجعفر بن حرب، وهما من رؤساء المعتزلة سبباً في انتشار الاعتزال في بغداد[1].

عنى المأمون بالفلسفة وعلوم الأوائل، و مهر فيها، واجتمع عليه جمع من علمائها، فجره ذلك الى القول بخلق القرآن[2]، وكان مجلسه عامراً بالمتكلمين، فغلب عليه حب المعقولات، وأمر بترجمة كتب اليونان، وأحضر المترجمين من البلاد، فترجمت واشتغل الناس بها، فغلب على مجلسه جماعة من الجهمية[3]. واستطاعوا أن يقنعوه بأفكارهم، فقبلها واستحسنها، ودعا الناس اليها وعاقب المخالفين لها، ونتيجة لذلك ارتفع شأن المعتزلة في عهده لأنه أيدها واعتنق مبادئها[4].

أما الرجل الذى لعب دوراً كبيراً فى بلاد الخلفاء، واستطاع بنفوذه، لديهم أن يجعلهم يحملون الناس فى كل مكان على الإيمان بمذهب المعتزلة فهو القاضى أحمد بن أبى دؤاد الأيادى[5] الذى بدأ فى خدمة العباسيين فى سنة ٢٠٤ هـ (٨١٩م)، واتصل أمره بالخليفة المأمون عن طريق يحيى بن أكثم[6]، والذى قربه الى الخليفة وزكاه[7].

---

(٢) الخياط: الانتصار، ص٨١ ـ ٨٢، ابن المرتضى: المصدر السابق، جـ١، ص٦٤، أحمد أمين: المرجع السابق، جـ٣، ص ١٤٨ ـ ١٤٩

(٢) السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، جـ٢، ص٥٦ (تحقيق عبد الفتاح الحلو، ومحمود الطناحى، الطبعة الأولى، مطبعة الحلبى ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤م).

(٣) اسم من اسماء المعتزلة، انظر ص١٩ من هذ البحث

(٤) ابن قيم الجوزية: الصواعق المرسلة، جـ١، ص٢٣١، زهدى جار الله: المعتزلة، ص١٦٣، عصام الدين عبد الرؤوف: الدولة العباسية، ص ١٣٨ (نشر مكتبة نهضة الشرق، جامعة القاهرة، ١٩٨٥م، المطبعة التجارية بالقاهرة).

(٥) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، جـ١، ص٦٣ ـ ٦٨، الحصرى: زهر الآداب، جـ٣، ص٩٥٢، القاسمى الدمشقى: تاريخ الجهمية والمعتزلة، ص٦٤، باتون، أحمد بن حنبل والمحنة، ص ٩٨

(٦) هو القاضى يحيى بن أكثم أبو محمد المروزى (ت٢٤٢هـ/ ٨٥٧م)، كان فقيها مجتهدا، ولاه المأمون قضاء البصرة سنة ٢٠٢هـ/ ٨١٧م وهو ابن إحدى وعشرين سنة ثم القضاء ببغداد، وعزله المعتصم عن القضاء، ثم رده المتوكل إليه ثم عزلة سنة ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م، وأخذ أمواله. (الخطيب البغدادى: تاريخ بغداد، جـ٤، ص١٩٧ ـ ١٩٨، ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ٥، ص١٩٧ ـ ٢١٢، ابن المرتضى: المنية والأمل، جـ١، ص٥٦، ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، جـ٢، ص١٠١، القاسمى الدمشقى: تاريخ الجهمية والمعتزلة، ص٦٤، الزركلى: الأعلام، جـ٩ ص١٦٧

(٧) ابن خلكان: المصدر السابق، جـ١، ص٦٦، القاسمى الدمشقى: المرجع السابق والجزء والصفحة، باتون: المرجع السابق والصفحة.

وفى ذلك يقول أحمد بن أبى دؤاد: « كنت أحضر مجلس القاضى يحيى بن أكثم مع الفقهاء، فجاءه رسول المأمون، وقال له: يقول لك أمير المؤمنين، انتقل الينا وجميع من معك من أصحابك فحضرت مع القوم، وتكلمنا بحضرة المأمون، فأقبل المأمون ينظر الىّ إذا شرعت فى الكلام، ويتفهم ما أقول ويستحسنه، ثم قال: لا أعلمن ما كان لنا من مجلس الا حضرته فقلت: نعم يا أمير المؤمنين»[١].

وقال له المأمون يوماً: (اذا استجلس الناس فاضلاً فمثل أحمد، فقال أحمد: بل اذا استجلس الناس خليفة فمثل أمير المؤمنين، الذى يفهم عنه، ويكون أعلم بما يقوله منه)[٢] وكان ابن أبى دؤاد اول من افتتح الكلام مع الخلفاء، بيد أنه كان لا يبدؤهم حتى يبدؤوه[٣]، وكان داعية الى القول بخلق القرآن[٤].

وكانت مسألة خلق القرآن هى المسألة التى أولاها المعتزلة عنايتهم فى زمن المأمو ن لكثرة القول والجدل فيها، ولأنها تبنى على أكبر أصل من أصولهم، وهو التوحيد، وعدم تعدد صفات الله تعالى[٥].

وقد لعب معتزلة بغداد الدور الأكبر فى استعداء الدولة على المخالفين واعتبار مسألة خلق القرآن أصلاً من أصول العقيدة، تفرض على الناس فرضا[٦].

ولم تتضح معالم اعتناق المأمون لمبادئ المعتزلة إلا فى الفترة الاخيرة من حياته الواقعة بين سنتى ٢١١ ـ ٢١٨ هـ / ٨٢٦ ـ ٨٣٣م) [٧]، ففى سنة ٢١١ / ٨٢٦ م أمر المأمون

(١) ابن خلكان: المصدر السابق، جـ١، ص٦٦، القاسمى الدمشقى: المرجع السابق، ص٦٤، محمد الخضرى: تاريخ الأمم الإسلامية ص٢٣٣ (المكتبة التجارية الكبرى بمصر، مطبعة الاستقامة بالقاهرة، بدون تاريخ.

(٢) ابن خلكان: المصدر السابق والجزء، ص٦٤، الصفدى: الوافى بالوفيات، جـ٧، ص٢٨١ (تحقيق إحسان عباس، نشرفرانز شتايز بفيسبادن، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م).

(٣) ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ١، ص٦٣، ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، جـ٢، ص٨٧

(٤) الصفدى: الوافى والوفيات، جـ٧، ص٢٨١، الزركلى: الأعلام، جـ١، ص١٢٠

(٥) الطبرى: تاريخ الطبرى، جـ ٨، ص٦٣١، الشهرستانى: الملل والنحل، جـ١، ص٧٦، أحمد أمين: ضحى الإسلام، جـ٣، ص١٦٥

(٦) الطبرى: المصدر السابق والجزء والصفحة، أحمد محمود صبحى: فى علم الكلام، جـ١، ص٢٦٦

(٧) الطبرى: المصدر السابق، جـ ٨، ص ٦١٨، السبكى: طبقات الشافعية الكبرى، جـ٢، ص٥٧، ابن الجوزى: مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان، جـ٦، ص٢٣٥ (مخطوط) بدار الكتب المصرية تحت رقم (٥٥١) تاريخ، السيوطى: تاريخ الخلفاء، ص ٣٠٨

منادياً ينادي أن: برئت الذمة ممن ذكر معاوية بخير، أو فضله على أحد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن أفضل الخلق بعد رسول الله، على بن أبى طالب[1]، أعلن المأمون ذلك لميله الى المعتزلة، فالمعتزلة يصفون معاوية بالبغى ومنازعة الأمر أهله، وعدم جدارته بالإمامة الصحيحة، بل يتطرف بعضهم فيحكم عليه بالكفر[2].

وقد أعلن المأمون اعتناقه مباءئ المعتزلة سنة ٢١٢هـ / ٨٢٧ م، حيث أظهر القول بخلق القرآن، وتفضيل على بن أبى طالب على أبى بكر وعمر [3]، «فاشمأزت منه النفوس، وكادت الفتنة تعم البلاد، ولم يتم له من ذلك ما أراد فكف عنه الى سنة ٢١٨هـ/ ٨٣٣ م»[4].

ولكن أحداً من قبل لم يفكر في أن تتخذ هذه المسألة المسماة «بالمحنة» المبدأ الرسمى للدولة حتى جاء المأمون، وسميت هذه المسألة «بالمحنة» وظلت موضع اهتمام الدولة من سنة ٢١٨ ه (٨٣٣م) الى سنة ٢٣٤ هـ (٨٤٨م)[5]،

على أن المأمون وإن أظهر القول بخلق القرآن سنة ٢١٢ هـ / ٨٢٧م، فإنه كان فى المرحلة السابقة على ذلك يعتنق مذهب المعتزلة، لكنه لم يظهر هذا الرأى ويعلنه الا فى هذا العام[6].

---

(١) الطبرى: المصدر السابق والجزء والصفحة، ابن الجوزى: المصدر السابق. الجزء والصفحة، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، جـ٢، ص٢١٠، ابن المرتضى:المنية والأمل، جـ١، ص٥٦، السيوطى: المصدر السابق والصفحة.

(٢) الأشعرى: مقالات الإسلاميين، جـ٢، ص١٤٥، القاضى عبد الجبار: فضل الاعتزال، ص١٤٣، أحمد أمين: فجر الإسلام، ص٢٩٤ (الطبعة الرابعة عشر، ١٩٨٦، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة)، ضحى الإسلام، جـ٣، ص١٥٣

(٣) الطبرى: تاريخ الطبرى، جـ٨، ص٦١٩، المسعودى: مروج الذهب، جـ٢، ص٣٥٦، ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١، ص٢٦٦، ابو المحاسن: النجوم الزاهرة، جـ٢، ص٢٠٣، طاش كبرى زاده: مصباح السعادة، جـ٢، ص١٦٩

(٤) السبكى: طبقات الشافعية الكبرى، جـ٢، ص٥٧، السيوطى: تاريخ الخلفاء، ص ٣٠٨، ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، جـ٢، ص٢٧

(٥) الطبرى: المصدر السابق، جـ ٨، ص٦٣١، الخطيب البغدادى: تاريخ بغداد، جـ٢، ص٣٤٤، السيوطى: المصدر السابق، ص ٣٠٨، أحمد أمين: المرجع السابق والجزء ص١٦٣

(٦) السبكى: المصدر السابق، جـ١، ص٣٢٦ (تحقيق: أحمد رفعت البدراوى، دار المعرفة، بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٣٨٩هـ/ ١٩٧٠م)

وقد مرت هذه المسألة فى عهد الخليفة المأمون فى ثلاث مراحل، الأولى: مرحلة الاقتناع الشخصى دون محاولة إظهاره للناس [١]، والثانية:اظهار المأمون القول بخلق القرآن ونشره بين الناس دون أن يضطرهم الى القول به سنة ٢١٢هـ ٨٢٧م[٢]، والثالثة: محاولة فرض هذا الرأى على الناس بالقوة سنة ٢١٨هـ / ٨٣٣م، وهى المرحلة التى بدأت قبيل وفاته[٣].

وهنا نلاحظ أن المأمون قد تردد فى المرحلة الأولى فى إعلان القول بخلق القرآن، وكان يميل الى الرأى القائل بأن الدولة لا شأن لها بما يعتقده الناس متأثراً فى ذلك بقاضى قضاته السنى يحيى بن أكثم، ويزيد بن هارون[٤]،فيحيى بن أكثم يقول للمأمون عندما هم يلعن معاوية «والرأى عندى أن تدع الناس على ما هم عليه،ولا تظهر لهم أنك تميل إلى فرقة من الفرق، فإن ذلك أصلح فى السياسة، وأحرى فى التدبير[٥]، أما عن يزيد بن هارون فيروى أن المأمون قال: (لولا مكانة يزيد بن هارون لأظهرت القول بخلق القرآن، فقال بعض جلسائه: ومن يزيد بن هارون حتى يتقيه أمير المؤمنين! فقال المأمون: انى أخاف إن أظهرته أن يرد علىّ فيختلف الناس وتكون فتنة وأنا أكره الفتنة)[٦].

---

(١) ابن الوردى: تتمة المختصر فى أخبار البشر، جـ١، ص٣٢٦، القرمانى: كتاب أخبار الدول وآثار الأول، ص١٥٣، (عالم الكتب، بيروت، بدون تاريخ).

(٢) ابن الوردى: المصدر السابق والجزء، ص٣٢٧، السبكى: طبقات الشافعية الكبرى، جـ٢، ص٥٦، طاش كبرى زاده: مصباح السعادة، جـ٢، ١٦٩

(٣) اليعقوبى: تاريخ اليعقوبى، جـ٣، ص١٩٤ (مطبعة الغرى، النجف ١٣٥٨هـ)، الطبرى: تاريخ الطبرى، جـ٨، ص٦٣١، ابن الأثير: الكامل، جـ٥، ص٢٢٢ (دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م)، ابو الفداء: المختصر فى أخبار البشر جـ٢، ص٣٠، (دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، بدون تاريخ) ابن الوردى: المصدر السابق والجزء، ص٣٢٩

(٤) هو يزيد بن هارون بن زادان الواسطى (ت ٢٠٦هـ/ ٨٢١م) وهو مولى لبنى سليم، وكان أبوه يخدم فى مطبخ زياد بن أبيه وعبيد الله بن زياد ومصعب بن الزبير والحجاج بن يوسف، وهو من أهل الحديث وقد سمع منه الحديث الإمام أحمد بن حنبل، وقد مات فى خلافة المأمون. (المسعودى: مروج الذهب، جـ٢، ص ٣٥١، ابن الجوزى: مناقب الإمام أحمد بن حنبل، ص٣٠٩ (الطبعة الأولى، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٤٩هـ)، طاش كبرى زاده: المصدر السابق والجزء، ص٢٣٢، أحمد أمين: ضحى الإسلام، جـ٣، ص١٦٤).

(٥) ابن المرتضى: المنية والأمل، جـ١، ص٥٧، أحمد أمين: ضحى الإسلام، جـ٣، ص١٥٢

(٦) تقى الدين المقدسى: كتاب المحنة، جـ١، ص٣٠ مخطوط بدار الكتب المصرية رقم (٣٤٥) تاريخ، باتون: أحمد بن حنبل والمحنة، ص٩٦، أحمد أمين: المرجع السابق والجزء والصفحة.

وفى تلك الأثناء مات يزيد بن هارون سنة ٢٠٦هـ/ ٨٢١م، وعزل يحيى بن أكثم عن منصب قاضى القضاة، وتولى مكانه أحمد بن أبى دؤاد، واستقر رأى المأمون على حمل الناس على القول بخلق القرآن سنة ٢١٨هـ/ ٨٣٣م[١].

امتحن المأمون العلماء بخلق القرآن، وكتب فى ذلك الى نائبه على بغداد «وبالغ فى ذلك وقام فى هذه البدعة قيام متعبد بها فأجاب أكثر العلماء على سبيل الإكراه وتوقفت طائفة، ثم أجابوا وناظروا فلم يلتفت الى قولهم[٢]، وكانت لكتب المأمون الى نائبه أثر كبير فى نشر الاعتزال فى بغداد[٣].

وبعد وفاة الخليفة المأمون، عمل الخليفة المعتصم(٢١٨ ـ ٢٢٧ه/ ٨٣٣ ـ ٨٤١م)[٤] على حمل الناس على القول بخلق القرآن وامتحنهم فى ذلك، وأمر المعلمين أن يعلموا الصبيان ذلك، وكان المعتصم وفياً لأخيه المأمون فى حياته وبعد مماته بحيث لو عاش المأمون لما اختلفت سياسته عن سياسة أخيه[٥].

ولما توفى المعتصم وخلفه الواثق (٢٢٧ ـ ٢٣٢ه / ٨٤١ ـ ٨٤٦ م)[٦] تعصب للقول بخلق القرآن عن علم وعقيدة[٧]، وكان المعتزلة قد بلغوا أوج قوتهم، ولذلك حملوا الخليفة الواثق على التمادى فى المحنة[٨].

---

(١) المسعودى: مروج الذهب، جـ٢، ص٣٥١، ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، جـ٢، ص٢٩، أحمد أمين: المرجع السابق، جـ٣، ص١٦٤ ـ ١٦٥

(٢) ابن العماد الحنبلى: المصدر السابق والجزء، ص٣٩

(٣) الطبرى: تاريخ الطبرى، جـ٨، ص٦٣١ ـ ٦٤٤، ابو المحاسن: الجهمية والمعتزلة، جـ٢، ص٢١٩ ـ ٢٢٢، القاسمى الدمشقى: تاريخ الجهمية والمعتزلة، ص٦٥ ـ ٦٧، باتون: المرجع السابق، ص١٠٠ ـ ١٠٨، أحمد فريد الرفاعى: عصر المأمون، ص٥ ـ ١٥، أحمد أمين، المرجع السابق والجزء، ص ١٦٨ ـ ١٧٧

(٤) السيوطى: تاريخ الخلفاء، ص٣٣٤ ـ ٣٣٥، عصام الدين عبد الرؤوف: الدولة العباسية، ص١٤٢

(٥) حسن أحمد محمود: العالم الإسلامى، ص١٤١

(٦) الطبرى: تاريخ الطبرى، جـ٩، ص١٢٣ وما بعدها، السيوطى: المصدر السابق، ص٣٤٠ ـ ٣٤٦

(٧) السبكى: طبقات الشافعية الكبرى، جـ٢، ص٦٠، أحمد أمين: ضحى الإسلام، جـ٣، ص١٨١، محمد الخضرى: تاريخ الأمم الإسلامية، ص٢٥٣

(٨) الطبرى: المصدر السابق والجزء، ص١٣٥ ـ ١٣٩، زهدى جار الله: المعتزلة، ص١٧٦

ونتيجة لسياسة الخلفاء، المأمون، والمعتصم، والواثق، انتشر مذهب الاعتزال فى مدينة بغداد وسائر الدولة العباسية، بل دخل الاعتزال بيوت عامة الناس، واعتنقه الكثير، حتى النساء العجائز[١]، وأرباب الحرف[٢].

ويبدو أن الدولة حرصت على أن تجعل الاعتزال مذهباً رسميا فيما يلقى من الدروس فى معاهد التعليم، فينشأ الجيل الجديد مشرباً بعقائد الاعتزال.

ولقد كان الاعتزال فى البصرة مذهباً نظرياً، أما فى بغداد فقد كان عملياً متأثراً بالدولة، قريبا من الخلفاء[٣]، وأن تأثر الاعتزال بالفلسفة اليونانية كان أظهر فى مدرسة بغداد منه فى مدرسة البصرة، لقوة حركة الترجمة فى بغداد، ولأن بلاط الخلفاء كان ملتقى رؤساء المسلمين برؤساء المفكرين من أهل الديانات الأخرى[٤]، وقد أخذ البغداديون كثيراً من المسائل التى عرض لها البصريون فوسعوا مدى بحثها، واستفادوا مما نشر من آراء الفلاسفة كمسألة تحديد الشئ ومسألة الجوهر والعرض[٥].

وما إن نشأت مدرسة بغداد حتى تسلل النسيع الى الاعتزال وأطلق على معتزلة بغداد (متشيعة المعتزلة) تمييزاً لهم عن معتزلة البصرة[٦]. وفى هذا الصدد يقول الملطى: إن أئمة معتزلة بغداد زيدية[٧]، قد أخذت الزيدية من واصل بن عطاء القول بجواز إمامة المفضول

(١) التنوخى: نشوار المحاضرة، جـ١، ص٢٧٤ (تحقيق عبود الشالجى، بيروت، لبنان، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م).

(٢) الجاحظ: الحيوان، جـ٥، ص٥٣

(٣) ابن المرتضى: المنية والأمل، جـ٢، ص١٠٣ ـ ١٠٥، أحمد أمين: ضحى الإسلام، جـ٣، ص١٥٩

(٤) ابو سعيد النيسابورى: المسائل فى الخلاف بين البصريين والبغدادين ص٢٨ وما بعدها، أحمد أمين: المرجع السابق والجزء، ص١٦٠

(٥) ابو سعيد النيسابورى: المصدر السابق، ص٦١ ـ ٦٢، ٣٣٣ أحمد أمين: المرجع السابق والجزء والصفحة.

(٦) الخياط: الانتصار، ص٩٧ ـ ٩٩، زهدى جار الله: المعتزلة، ص٢٠٦، أحمد محمود صبحى: فى علم الكلام، جـ١، ص٢٦٥

(٧) التنبيه والرد، ص٣٩

مع قيام الأفـضل، فقد كان على بن أبى طـالب أفضل الصحابة الا أن الخـلافة فوضت الى أبى بكر لمصلحـة ما رأوها وقـاعدة دينيـة راعوها من تسكـين ثائرة الفتنة، وتطيـيب قلوب العامة[1]، وقد شايع المأمون الزيدية على أساس صلتهم بالمعتزلة[2].

(١) الشهرسـتانى: الملل والنحل، جـ١، ص١٦٠، صابر طعـيمة: دراسات فى الفـرق، ص٣٣ (مكتبة دار المعارف ـ الرياض ـ المملكة العربية السعودية ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م).
(٢) حسن أحمد محمود: العالم الإسلامى، ص١٤٠ ـ ١٤١

الفصل الثانى

أثر المعتزلة فى الحياة السياسية

- محنة خلق القرآن فى عصر المأمون وأثرها فى الحياة السياسية فى بغداد
- محنة خلق القرآن فى عهد المعتصم
- محنة خلق القرآن فى عهد الواثق
- نهاية المحنة فى خلافة المتوكل على الله
- أثر المعتزلة فى الفكر السياسى

محنة خلق القرآن في عصر المأمون وأثرها في الحياة السياسية في بغداد

ظهرت مسألة خلق القرآن ـ كما ذكرنا ـ في آخر الدولة الأموية على لسان «الجَعْد بن درْهَم» [١] (ت ١١٨ هـ/ ٧٣٦م)، وظلت تنمو ويدور حولها الجدل وتتسع فيها المناظرة الى عهد المأمون، ولكن لم يفكر أحد قبل المأمون في أن يتخذ هذه المسألة المذهب الرسمي للدولة[٢].

أما القول بخلق القرآن فهو ينبع أساساً من الأصل الأول لأصول المعتزلة الخمسة، وهو التوحيد[٣]، بما يتضمنه من التأكيد على التفرد الكامل للذات العلية بالقدم[٤]، ولما كان المعتزلة يدافعون عن وحدانية الله، فقد وجدوا في القول بأن القرآن غير مخلوق ما يتعارض مع وحدانية الله تعالى، لأن الشئ إذا كان غير مخلوق أصبح قديماً أزلياً والقدم والأزلية من صفات الله وحده[٥].

---

(١) البغدادي: الفرق بين الفرق ص١٤، ٢٦٢، الاسفراييني: التبصير في الدين ص١٣، ٨٢، ابن نباته: سرح العيون ص١٦٢، القلشندى: صبح الأعشى جـ١٣ ص٢٥٢، السيوطي: الأوائل (مخطوط) بدار الكتب المصرية برقم ٣٩١ (تاريخ) ص٥٠، تاريخ الخلفاء ص٢٥٤، جمال الدين القاسمي: تاريخ الجهمية والمعتزلة ص ٣٦ ـ ٣٧

(٢) الطبري: تاريخ الطبري جـ ٨ ص٢٣٠ وما بعدها، الأشعري: مقالات الإسلاميين جـ١ ص١٥٤، البغدادي: المصدر السابق ص٢٣١، الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد جـ٧ ص٦١، ابن كثير: البداية والنهاية جـ١٠ ص٢٨١ (الطبعة الرابعة ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان)، ابن المرتضى: المنية والأمل جـ١ ص٥١، السيوطي: تاريخ الخلفاء ص٢٨٣ ـ ٢٨٤، طاش كبرى زادة: مفتاح السعادة جـ٢ ص١٦٧، باتون: أحمد بن حنبل والمحنة ص٩٢، أحمد أمين: ضحى الإسلام جـ٣ ص١٦٣

(٣) القاضي عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة ص ١٢٨ وما بعدها.

(٤) الشهرستاني: الملل والنحل جـ١ ص ٦٨، زهدي جار الله: المعتزلة ص ٧٨، محمد عمارة: المعتزلة ومشكلة الحرية ص٦١

(٥) الأشعري: الأبانة عن أصول الديانة ص٤١ وما بعدها، الاسفراييني: التبصير في الدين ص٣٧، ابن المرتضى المصدر السابق جـ٢ ص١١٧، أحمد أمين: المرجع السابق والجزء ص ١٦٥، زهدي جار الله: المعتزلة ص ٧٨، البير نصري نادر: فلسفة المعتزلة جـ١ ص١١٠، أحمد محمود صبحي: في علم الكلام جـ١ ص١٢٩ ـ ١٣٠

وقد خشى المعتـزلة أن يقلد المسلمون، حين يعتقدون بقدم كلام الله المـسيحيين، إذ يعتقدون بقـدم كلمة الله ـ أقنوم الابن ـ ومن ثم ألوهية المسيح، وتوهـموا أن القول بقدم القرآن يتـرتب عليه أن يحل القـرآن فى نفوس المسلمـين مكانة المسـيح من النصارى، إذ كلاهما: القرآن والمسيح كلمة الله[1].

ومن ثم فإن قولهم بخلق القرآن جاء رداً على ركن من أركان المـسيحية، وهو الاعتقاد بأن المسيح هو كـلمة الله الأزلية[2]، ولعل مما يؤيد ذلك قول الخليفـة المأمون فى كتابه الثالث الى إسحاق بن إبراهيم: (وضاهوا به قول الـنصارى فى ادعائهم فى عيسى بن مريم أنه ليس بمخلوق، إذ كان كلمة الله)[3].

تركز الاعـتزال زمن المأمـون فى مسألة خلق القـرآن التى أطلق عليهـا «المحنة» وظلت هذه المسألة موضع اهتمام الدولة من سنة ٢١٨هـ (٨٣٣م) الى سنة ٢٣٤ هـ (٨٤٨م)[4].

استقر رأى المأمـون على حمل الناس على القول بخلق القرآن سنة ٢١٨هـ / ٨٣٣ م، فكتب الى إسحق بـن إبراهيم، نائبه على بغداد كـتاباً مطولاً بدأه بالسـبب الذى ألجأه الى حمل الناس على ذلك، وفيـه يأمره بامتحان الـقضاة فى القرآن، وأعلمه أن أمـير المؤمنين غير مستعين فى عملة ولا واثق فيما قلده الله واستحفظه من أمور رعيته بمن لا يوثق بدينه

(١) القاضى عـبد الجبار: شرح الأصـول الخمـسة ص٢٩١، البيـر نصرى نادر: أهـم الفـرق الإسلامـية السياسية والكلامية ص٥١ ـ ٥٢، أحمد محمود صبحى: فى علم الكلام، جـ١، ص١٢٩ ـ ١٣٠

(٢) القاضى عبد الجبـار: المصدر السابق والصفحة، البير نصرى نادر: فلسـفة المعتزلة جـ١، ص١١٠، محمد عمارة: المعتزلة ومشكلة الحرية ص٦١، الإسلام فى المستقبل ص٧٧

(٣) الطبرى: تاريخ الطبرى جـ٨ ص ٦٣٥، باتون: أحمد بن حنبل والمحنة ص١١، أحمد أمين: ضحى الإسلام جـ٣ ص ١٦٣، البير نصرى نادر: المرجع السابق، ص٥٦

(٤) استعمل اسم المحنة فيمـا لقيه الأنبياء من العذاب فصبروا، وفيما لقـيه الشيعة من العذاب أيضا، ثم اشتهر استعماله فى اختبار العلماء بالقول بخلق القرآن وما لقوه من عذاب فى ذلك. انظر: (الطبرى: المـصدر السـابق والجـزء ص٦٣١، الخطيب البـغدادى: تاريخ بـغداد جـ٢ ص٣٤٤، ابن الأثيـر: الكامل جـ٥ ص٢٢٢ (دار الفكـر، بيروت ١٩٧٨م / ١٣٩٨هـ)، جـمـال الدين القـاسـمى: تاريخ الجهمية والمعتزلة ص٦٩

وخلوص توحيده ويقينه(١).

كانت خطوة المأمون الأولى مقصورة على امتحان القضاة فى القرآن فلا يتولى أحكامه إلا من وثق به، وهو لا يثق الا بمن قال«القرآن مخلوق» لأنه فى نظره برهان صحة عقله وصحة إيمانه(٢).

وقد أرسلت صورة من هذا الكتاب الى الولايات الإسلامية، وأمر الولاة أن يفعلوا بقضاتهم كما فعل والى بغداد بقضاتها(٣).

وكان المأمون يرى أن الواجب عليه تصحيح عقائد الناس الفاسدة، ولا سيما إذا تغلغل الفساد إلى أصل من أصول الدين، كالإشراك مع الله فى القدم شيئاً آخر مثل القرآن(٤). وأن القاضى أو الشاهد لايوثق بقضائه ولا بشهاته إذا كانت عقيدته غير صحيحة، فمن اعتقد قدم القرآن قد ضعف توحيده، وساءت عقيدته، وصار لا يؤتمن على شهادة ولا حكم(٥).

وكانت خطوة المأمون الأولى مقصورة على هذا، فلا تعذيب، ولكن لا يتولى أحكامه الا من وثق به، وهو لا يثق إلا بمن قال: إن القرآن مخلوق. لأنه فى نظره برهان صحة عقله وإيمانه، فمن لم يكن كذلك، يعزل إن كان قاضيا ولا تقبل شهادته أن تقدم للشهادة(٦).

---

(١) الطبرى: تاريخ الطبرى، جـ٨، ص٦٣١ ـ ٦٣٣، تقى الدين المقدسى: «كتاب المحنة» (مخطوط) بدار الكتب المصرية تحت رقم (٣٤٥) (تاريخ) جـ١ ص٣١ ـ ٣٢، الدميرى: حياة الحيوان الكبرى جـ١ ص٧٢ (المطبعة الخيرية، مصر ١٣٠٩هـ)، السيوطى: تاريخ الخلفاء ص ٣٠٨ ـ ٣٠٩، جمال الدين القاسمى: تاريخ الجهمية والمعتزلة، ص٦٥ ـ ٦٧

(٢) اليعقوبى: تاريخ اليعقوبى جـ٣ ص١٩٤ (مطبعة الغرى، النجف، العراق ١٣٥٨هـ)، الطبرى: المصدر السابق والجزء والصفحة، باتون: أحمد ابن حنبل والمحنة ص١٠٠ ـ ١٠٣، أحمد أمين: ضحى الإسلام جـ٣، ص١٦٩

(٣) أبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ٢ ص٢١٩، أحمد أمين: المرجع السابق والجزء والصحفة.

(٤) الطبرى: المصدر السابق والجزء ص٦٣٢، السبكى: طبقات الشافعية جـ٢ ص ٣٨، أبو المحاسن: المصدر السابق والجزء والصفحة، أحمد أمين: المرجع السابق والجزء ص ١٦٨

(٥) الطبرى: المصدر السابق والجزء ص٦٣٣ ـ ٦٣٤، السبكى: المصدر السابق والجزء ص٣٩

(٦) الطبرى: تاريخ الطبرى جـ٨ ص٦٣١ ـ ٦٣٤، السبكى: طبقات الشافعية جـ٢ ص ٣٨ ـ ٣٩، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ٢ ص٢١٩، أحمد أمين: ضحى الإسلام جـ٣ ص ١٦٨ ـ ١٦٩

ثم كتب المأمون بعد ذلك إلى إسحق بن إبراهيم أن يرسل إليه سبعة من كبار المحدثين وهم: محمد بن سعد الواقدى، وأبى مسلم يزيد بن هارون، ويحيى بن معين، وزهير بن حرب أبو خيثمة، وإسماعيل بن داود، وإسماعيل بن أبى مسعود، وأحمد الدّوْرقى، فلما حضروا امتحنهم المأمون، وسألهم جميعا فى خلق القرآن فأجابوا أن القرآن مخلوق فأعادهم إلى بغداد، وأمر إسحق بن إبراهيم أن يجمع الفقهاء والمشايخ من أهل الحديث فى داره وأن يقول أمامهم هؤلاء السبعة بمثل ما قالوا به أمام المأمون، ففعلوا وأخلى سبيلهم[1].

وأساءت إجابة هؤلاء السبعة إلى أحمد بن حنبل. لأنه كان يرى أنهم لو ثبتوا وتوقفوا لانقطع أمر المحنة، ولما سمع بها أحد فى بغداد، ولكف المأمون عنهم وهاب ايذاءهم، ولكن الباعث الحقيقى لاجابتهم هو خوفهم من القتل[2].

ولاشك أن المأمون أراد بعمله هذا أن يحمل هؤلاء المحدثين على القول بخلق القرآن فينقاد الناس لهم، ويتبعون قولهم وتنقطع الفتنة.

ثم أصدر المأمون بعد ذلك كتاباً ثالثاً لإسحق بن إبراهيم يتضمن الأمر بالتوسع فى امتحان الناس وتقرير أن من لا يقول بخلق القرآن لا يصلح لتولى عمل ما[3].

جمع إسحق بن إبراهيم كثيراً من الفقهاء والحكام والمحدثين منهم أبا حسان الزيادىّ، وبشر بن الوليد الكندىّ، وعلى بن أبى مقاتل، والفضل بن غانم، والذّيال بن الهيثم، والحسن بن حماد (سجّادة) وعبيد الله بن عمر (القواريرى)، وأحمد بن حنبل، وغيرهم،

---

(٢) الطبرى: المصدر السابق والجزء ص٦٣٤، ابن الأثير: الكامل جـ٥ ص٢٢٢ ـ ٢٢٣، السبكى: المصدر السابق والجزء ص٣٩، أبو المحاسن: المصدر السابق والجزء والصحفة، السيوطى: تاريخ الخلفاء ص٣٠٩ ـ ٣١٠، باتون: أحمد بن حنبل والمحنة ص١٠٨ ـ ١٠٩، أحمد أمين: المرجع السابق والجزء ص١٧٠

(٣) السبكى: المصدر السابق والجزء والصحفة، السيوطى: المصدر السابق ص٣١٠، باتون: المرجع السابق ص١٠٩، أحمد أمين: المرجع السابق والجزء ص١٧٠ ـ ١٧١

(١) الطبرى: تاريخ الطبرى جـ٨ ص٦٣٤ ـ ٦٣٧، السبكى: طبقات الشافعية جـ٢ ص٣٩، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ٢ ص٢١٩، باتون: أحمد بن حنبل والمحنة ص١١٠ ـ ١١٣، أحمد أمين: ضحى الإسلام جـ٣ ص١٧١ ـ ١٧٥

وقرأ عليهم كتاب المأمون هذا مرتين حتى فهموه[١]. وامتحنهم رجلاً رجلاً، فقال لبشر بن الوليد: ما تقول فى القرآن؟ فقال بشر: القرآن كلام الله، قال إسحق: لم أسألك عن هذا، أمخلوق هو؟ قال بشر: الله خالق كل شئ، قال إسحق: هل القرآن شيئ؟، قال: هو شيئ، قال إسحق: فمخلوق هو؟ قال: ليس بخالق، قال إسحق: لم أسألك عن هذا، هل هو مخلوق؟ قال بشر: هو كلام الله وإن أمرنا أمير المؤمنين بشئ سمعنا وأطعنا[٢].

ثم قال إسحق لأبى حسان الزيادىّ: هل القرآن مخلوق؟ قال أبو حسان: القرآن كلام الله، والله خالق كل شئ، وما دون الله مخلوق، وأمير المؤمنين إمامنا، وقد سمع ما لم نسمع، وعلم ما لم نعلم، وإن أمرنا أطعنا، وان نهانا انتهينا وإن دعانا أجبنا، قال إسحق: هل القرآن مخلوق؟ قال أبو حسان: أن أخبرتنى أن أمير المؤمنين أمرك أن أقول: قلت ما أمرتنى، فإنك الثقة المأمون. قال إسحق: ما أمرنى أن أبلغك شيئاً، وانما أمرنى أن أمتحنك[٣].

ثم قال إسحق لأحمد بن حنبل: ما تقول فى القرآن؟ قال أحمد: هو كلام الله. قال إسحق: أمخلوق هو؟ قال أحمد: هو كلام الله لا أزيد عليها. قال: ما معنى أنه تعالى سميع بصير؟ قال أحمد: هو كما وصف نفسه[٤].

ثم قال إسحق بن إبراهيم لابن البكاء الأكبر: ما تقول فى القرآن ؟ قال: القرآن مجعول، لقوله تعالى: (انا جعلناه قرآنا عربيا)[٥]، والقرآن محدث لقوله: (ما يأتيهم من

---

(١) الطبرى: المصدر السابق والجزء ص٦٣٧، أبو المحاسن: المصدر السابق والجزء والصفحة، باتون: المرجع السابق ص١١٣ ـ ١١٤

(٢) الطبرى: المصدر السابق والجزء ص ٦٣٨، السبكى: المصدر السابق والجزء ص٤٠، أبو المحاسن: المصدر السابق والجزء، ص٢٢٠، باتون: المرجع السابق، ص١١٥، أحمد أمين: المرجع السابق والجزء، ص١٧٣ ـ ١٧٤

(٣) الطبرى: تاريخ الطبرى، جـ٨، ص ٦٣٨، السبكى: طبقات الشافعية، جـ٢، ص٤٠، باتون: المرجع السابق ص١١٥ ـ ١١٦، أحمد أمين: ضحى الإسلام جـ٣ ص١٧٤

(٤) الطبرى: المصدر السابق والجزء ص٦٣٩، السبكى: المصدر السابق والجزء والصحفة، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، جـ٢، ص٢٢١، السيوطى: تاريخ الخلفاء ص٣١٠، باتون: المرجع السابق ص١١٦ ـ ١١٧، أحمد أمين: المرجع السابق والجزء ص١٧٤ ـ ١٧٥

(٥) سورة الزخرف، آية:٣

ذكر من ربهم محدث)[1]، قال إسحق: فالمجعول مخلوق؟ قال: نعم، قال إسحق: فالقرآن مخلوق؟ قال: لا أقول مخلوق، ولكنه مجعول[2].

ولما فرغ إسحق من امتحانهم كتب مقالة كل رجل منهم إلى المأمون، فجاءه الجواب ـ هو الكتاب الرابع ـ وكله عنف وتقريع لهؤلاء المحدثين والفقهاء، فقد رأى المأمون أن أجوبتهم لا تدل على عقل، لا تقر فى صراحة، ولا تنكر فى صراحة، وبعضهم يسلم بالمقدمات وينكر النتائج، فيقول: القرآن مجعول، والمجعول مخلوق، ولا يرضى أن يقول القرآن مخلوق[3].

وأمر المأمون إسحق بن إبراهيم أن يستدعى بشر بن الوليد، فأن أصر على عدم القول بخلق القرآن، يضرب عنقه ويرسل برأسه إليه، وان تاب يشهر توبته ويمسك عنه، وأمره أيضا أن يفعل ذلك مع إبراهيم بن المهدى، أما غير هذين فلم يأمر بضرب أعناقهم[4]، ولكنه عرّض بهم، وذكر أفعالهم ومخازيهم ليبين أن امتناعهم ليس عن دين ولكن عن تصنع[5].

وقال المأمون عن «الذيّال بن الهيثم» أنه كان يسرق الطعام من الأنبار، ووصف «أحمد بن يزيد المعروف بأبى العوام» بأنه صبى فى عقله لا فى سنه، وأنه سيحسن الجواب فى القرآن إذا أخذه التأديب، ثم إن لم يفعل كان السيف من وراء ذلك، أما «أحمد بن حنبل» اجابته تدل على جهله، وعاب على «الفضل بن غانم» أنه اغتنى فى مصر من منصبه فى أقل من سنة، ومحمد بن حاتم وابن نوح وأبو معمر فأنهم مشاغيل بأكل الربا عن الوقوف على حقيقة التوحيد، واستمر المأمون يعدد لكل رجل عيوبه[6].

---

(١) سورة الانبياء، آية:٢

(٢) الطبرى: المصدر السابق والجزء والصفحة، أبو المحاسن: المصدر السابق والجزء والصفحة، باتون: أحمد بن حنبل والمحنة ص١١٧ ـ ١١٨، أحمد أمين: المرجع السابق والجزء ص١٧٥

(٣) الطبرى: تاريخ الطبرى، جـ٨، ص٦٣٧ ـ ٦٤٠، أحمد أمين: ضحى الإسلام، جـ٣، ص١٧٥

(٤) الطبرى: المصدر السابق والجزء ص٦٤١ ـ ٦٤٢، السبكى: طبقات الشافعية جـ٢ ص٤١ ـ ٤٢، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ٢ ص٢٢١

(٥) الطبرى: المصدر السابق والجزء ص٦٤٠ ـ ٦٤١، أحمد أمين: المرجع السابق والجزء، ص١٧٦

(٦) الطبرى: المصدر السابق والجزء ص٦٤١ ـ ٦٤٤، أبو نعيم الأصبهانى: حلية الأولياء جـ٩ ص١٩٢ ـ ١٩٤ (دار الكتاب العربى، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثالثة ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م)، السبكى: المصدر السابق والجزء والصفحة، أبو المحاسن: المصدر السابق والجزء ص٢٢١ ـ ٢٢٢، أحمد أمين: المرجع السابق والجزء والصفحة.

ولم يكتف المأمون بذلك، بل طلب إلى إسحق إعادة امتحانهم فمن تاب منهم أشهر أمره وأمسك عنه، ومن أصر على عدم القول بخلق القرآن منهم حمله إليه مع من يقوم بحفظه وحراسته فى طريقه حتى يسلمه إلى أمير المؤمنين ليمتحنه بنفسه[1].

ومما يذكر أن المأمون أسرع بإرسال هذا الكتاب غير منتظر اجتماع البريد، فجمعهم إسحق مرة ثانية، وكانوا نحو ثلاثين قاضياً ومحدثاً وفقيهاً، فأعاد امتحانهم وقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين، فأقروا جميعاً بأن القرآن مخلوق إلا أربعة أصروا على موقفهم السابق وهم: أحمد بن حنبل، ومحمد بن نوح، والحسن بن حماد (سجادة)، وعبيد الله بن عمر (القواريرى)[2]. فأمر بهم إسحق بن إبراهيم فشدوا فى الحديد، فلما أصبحوا أعاد امتحانهم فاعترف «سجادة» بخلق القرآن فأطلقه، وبعد يوم آخر أجاب «القواريرى» بأن القرآن مخلوق فأخلى سبيله[3]. أما الأثنان الباقيان: أحمد بن حنبل، ومحمد بن نوح، فقد أصرا على رأيهما فُشَّدا فى الحديد ووجها إلى طرسوس[4]، للمأمون[5]،وكتب إسحق كتاباً إلى المأمون يخبره بأشخاصهما، وكتب كتاباً آخراً يذكر فيه أن القوم الذين أجابوا لم يجيبوا عن عقيدة، وانما أجابوا عن تأويل، وقد تأولوا أنهم مكرهون وليس على المكرَه حرج[6].

---

(١) الطبرى: تاريخ الطبرى جـ٨ ص٦٤٤، ابن الجوزى: مناقب الإمام أحمد ابن حنبل ص٣١٠ (الطبعة الأولى، مطبعة السعادة، القاهرة ١٣٤٩هـ)، السبكى: طبقات الشافعية الكبرى جـ٢ ص٤٢، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ٢ ص٢٢٢، السيوطى: تاريخ الخلفاء ص٣١١ ـ ٣١٢

(٢) الطبرى: المصدر السابق والجزء والصفحة، ابن الجوزى: المصدر السابق والصفحة، السبكى: المصدر السابق والجزء والصفحة، أبو المحاسن: المصدر السابق والجزء والصفحة، السيوطى: المصدر السابق ص٣١٢، باتون: أحمد بن حنبل والمحنة ص١٢٣، أحمد أمين: ضحى الإسلام جـ٣ ص١٧٦

(٣) الطبرى: المصدر السابق والجزء والصفحة، السبكى: المصدر السابق والجزء والصفحة.

(٤) طرطوس: هى مدينة بثغور الشام بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم، (ياقوت معجم البلدان جـ٤ ص ٢٨، طبعة دار احياء التراث العربى، بيروت، لبنان).

(٥) الطبرى: المصدر السابق والجزء والصحفة، بان الجوزى: المصدر السابق والصحفة، تقى الدين المقدسى: كتاب المحنة (مخطوط) جـ١ ص٣٤، السبكى: المصدر السابق والجزء والصحفة، السيوطى: المصدر السابق، ص٣١٢

(٦) الطبرى: المصدر السابق والجزء والصفحة، السبكى: المصدر السابق والجزء والصفحة، السيوطى: تاريخ الخلفاء، ص٣١٢، باتون: أحمد بن حنبل والمحنة، ص١٢٧، أحمد أمين: ضحى الإسلام جـ٣ ص١٧٧

بعث المأمون كتاباً خامسا، وقد أنكر فيه دعوى التقية[1] التى تعلل بها الفقهاء فى القول بخلق القرآن، وأعلن أن هؤلاء أخطاوا التأويل، وليس الآية: (الا من أكره وقبله مطمئن بالإيمان)[2] منطبقة عليهم، انما عنى الله بهذه الآية من كان معتقد الكفر مظهر الإيمان، فأما من كان معتقدا الشرك مظهر الإيمان فليست الآية له[3].

كما أرسل إسحق بن إبراهيم واحداً وعشرين كانوا قد امتنعوا عن الأقرار بخلق القرآن فبلغهم وهم بالرَّقة[4] وفاة المأمون، فأعادهم وإليها إلى والى بغداد، فأخلى سبيل أكثرهم[5].

فأما محمد بن نوح فقد مات وهو عائد إلى بغداد بعد موت المأمون، ففك عنه قيده وصلى عليه ابن حنبل[6].

وكان ممن ثبت على مذهبه فى الامتحان أثناء خلافة المأمون: عفان بن مسلم أبو عثمان (ت ٢٢٠هـ/ ٨٣٥م) الذى قطع عنه كل من الخليفة المأمون وإسحق ابن إبراهيم، عامله فى العراق، الرزق الذى كان يجرى عليه، حيث كان يعطى ألف درهم فى كل شهر، وقد عرض عليه القول بخلق القرآن فامتنع، وكان من أصحاب أحمد بن حنبل المقربين إليه النافذى الكلمة عنده[7].

---

(١) التقية: لغة الخوف والحذر والكتمان، وهى كتمان وستر الاعتقاد وترك مظاهرة المخالفين بما يعقب ضررا فى الدين والدنيا، وترك فرائض الدين فى حالة الأكراه أو التهديد بالأيذاء، وهى إحدى عقائد الشيعة الرئيسية، (محمد أحمد الخطيب: الحركات الباطنية فى العالم الإسلامى ص٤٦ مكتبة الأقصى، عمان ـ الأردن، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م)، عبد الله سلوم السامرائى: الغلو والفرق الغالية فى الحضارة الإسلامية جـ٣ ص١٦٧ (طبع الدار العربية، بغداد، الطبعة الثانية، ١٩٨٢م).

(٢) سورة النحل، آية ١٠٦

(٣) الطبرى: المصدر السابق والجزء ص٦٤٤ ـ ٦٤٥، باتون: المرجع السابق ص١٢٣ ـ ١٢٧، أحمد أمين: ضحى الإسلام جـ٣ ص١٧٧

(٤) الرقة: مدينة مشهورة على الفرات فى الجانب الشرقى منه (ياقوت: معجم البلدان جـ٣ ص٥٩).

(٥) الطبرى: المصدر السابق والجزء ص٦٤٥، باتون: المرجع السابق، ص ١٢٨، أحمد أمين: المرجع السابق والجزء والصحفة.

(٦) السبكى: طبقات الشافعية الكبرى جـ٢ ص٤٣، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ٢ ص٢٢٢، ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب جـ٢ ص٢٩، باتون: المرجع السابق والصفحة، أحمد أمين: المرجع السابق والجزء والصفحة.

(٧) السبكى: المصدر السابق والجزء والصفحة، باتون: المرجع السابق ص١٢٩ ـ ١٣٠

تركزت رياسة المعارضة فى أحمد بن حنبل فكان زعيمها، ولذلك لم يخل المأمون سبيله كما أخلى غيره[1]، وكان أن مات المأمون سنة (٢١٨هـ-٨٣٣م) وانتهى دوره فى المحنة[2].

ومما يجدر ذكره أن المأمون ركز اهتمامة فى مسألة خلق القرآن على امتحان القضاة والمحدثين وسائر العلماء دون النظر إلى العامة[3]، لأن العامة لا نظر لهم ولا استدلال، أما العلماء فهم أرباب النظر والاستدلال، وفى مقدورهم أن يفرقوا بين الله وبين خلقه[4].

ولقد أصبح هذا الامتحان الدينى أداة سياسية فى يد الخلافة العباسية، استخدمتها فى جميع الولايات، لإظهار من يدينون بالطاعة والولاء للخليفة العباسى[5].

---

(١) ابن خلكان: وفيات الأعيان جـ١ ص ٤٨، ابن كثير: البداية والنهاية جـ١٠ ص٣٣٠، الدميري: حياة الحيوان جـ١ ص٧٣، أحمد فريد الرفاعي: عصر المأمون جـ١ ص٣٩٧، أحمد أمين: ضحى الإسلام جـ٣ ص١٧٧

(٢) الطبرى: تاريخ الطبري جـ٨ ص٦٥٠، السيوطى: تاريخ الخلفاء ص٣١٣، القرماني: أخبار الدول ص١٥٣ (عالم الكتب، بيروت، بدون تاريخ).

(٣) العامة هى خلاف الخاصة، وتعود تسميتهم بهذا الاسم إلى كثرتهم وعدم إحاطة البصر بهم، وأهم فئات العامة: الخدم والجند والعمال والتجار والباعة والدلالون واللصوص والفلاحون (بدرى محمد فهد: العامة فى بغداد فى القرن الخامس الهجري ص١١ - ٩٤، مطبعة الإرشاد ببغداد ١٩٦٧م).

(٤) الطبري: المصدر السابق والجزء ص٦٣١ - ٦٤٥، جمال الدين القاسمي: تاريخ الجهمية والمعتزلة ص٦٥ - ٦٦، زهدي جار الله: المعتزلة ص ٧٨ - ٧٩

(٥) الطبري: المصدر السابق والجزء والصفحة، عبد المنعم ماجد: العصر العباسي الأول جـ١ ص٣٦٧

محنة خلق القرآن فى عهد المعتصم

اقتدى المعتصم (٢١٨هـ - ٢٢٧هـ) (٨٣٣م - ٨٤١م) بأخيه فى حمل الناس على القول بخلق القرآن وتقريب المعتزلة عملاً بوصية أخيه المأمون الذى أوصاه بحمل الناس بعده على القول بخلق القرآن، وأن يعتمد على أحمد بن ابى دؤاد فى جميع أموره، فكان مما أوصاه به «وخذ بسيرة أخيك فى القرآن، وأبو عبد الله أحمد بن أبى دؤاد لا يفارقك، أشركه معك فى المشورة فى كل أمرك فأنه موضع ذلك»[١].

وقد بدأ المعتصم خلافته بأن أسند إلى المعتزلة بعض مناصب الدولة واعتمد عليهم فى إدارة شئونها، فعين أحمد بى أبى دؤاد قاضياً للقضاة[٢]، وأصبح تأثير هذا القاضى على المعتصم يفوق ما كان له من تأثير على المأمون، وكان من نتيجة ذلك أن حرص المعتصم على تأييد الاعتزال والاستمرار فى المحنة[٣].

وهنا نلاحظ أن القاضى أحمد بن أبى دؤاد بذل جهده فى نشر الاعتزال فهو الذى كان يمتحن العلماء ويدعوهم إلى القول بخلق القرآن[٤]. وعلاوة على ذلك فقد استغل السلطة التى تمتع بها فى عهد المعتصم فى الترغيب تارة والترهيب أخرى. حتى قيل إنه كتب إلى أحد رجال المدينة يقول: «إن بايعت أمير المؤمنين فى مقالته - يعنى خلق القرآن - استوجبت منه المكافأة وان امتنعت لم تأمن مكروهه»[٥].

---

(١) الطبرى: المصدر السابق والجزء ص ٦٤٨ - ٦٤٩، ابن الأثير: الكامل جـ٥ ص٢٢٦، ابن كثير: البداية والنهاية جـ١٠ ص٢٨٠، أحمد أمين: ضحى الإسلام جـ٣ ص١٧٧، زهدى جار الله: المعتزلة ص٢٧١، محمد الخضرى: تاريخ الأمم الإسلامية ص٢١٦، حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام السياسى جـ٣ ص٢٤٠ (الطبعة الحادية عشرة ١٩٨٤م، مكتبة النهضة المصرية).

(٢) الخطيب البغدادى: تاريخ بغداد جـ٤ ص١٤٢، ابن خلكان: وفيات الأعيان جـ١ ص٦٧

(٣) الخطيب البغدادى: المصدر السابق والجزء والصفحة، ابن الجوزى: مناقب الإمام أحمد بن حنبل ص٣١٩، ابن خلكان: المصدر السابق والجزء والصفحة، باتون: أحمد بن حنبل والمحنة ص ٩٨، زهدى جار الله: المرجع السابق ص١٧١، محمد الخضرى: المرجع السابق ص٢٣٤

(٤) الخطيب البغدادى: المصدر السابق جـ٣ ص٣٤٣، الخضرى: زهر الآداب جـ٢ ص٦٩٧، ابن خلكان: المصدر السابق والجزء ص٦٣ - ٦٨، جمال الدين القاسمى: تاريخ الجهمية والمعتزلة ص٦٤، باتون: المرجع السابق، ص ٦٨، أحمد أمين: ضحى الإسلام جـ٣ ص١٥٩

(٥) الخطيب البغدادى: المصدر السابق والجزء والصفحة، زهدى جار الله: المرجع السابق ص١٧٢

كانت رسائل المأمون فى خلق القرآن نابعة من علمه وثقافته واقتناعه، أما المعتصم فكان جنديا عازفا عن العلم منذ صغره. حتى أنه كان يكتب ويقرأ قراءة ضعيفة، وقد نفذ الامتحان بخلق القرآن لأن أخاه المأمون أوصاه بذلك، ومن ثم اقتدى به. لكنه لم يصدر منشورات جديدة كما كان يفعل أخوه[١].

وعلى أية حال كتب المعتصم إلى الولايات يطلب الاستمرار فى امتحان الناس بخلق القرآن، وأمر الولاة أن يعلموا الصبيان ذلك، وقاسى الناس معه مشقة كبيرة[٢]، وأصبح كل عالم أو قاض معرضا للضرب بالسياط والتعذيب إذا لم يأخذ برأى المعتزلة فى القول بخلق القرآن[٣]، ومن الأمثلة على ذلك ما حدث مع نعيم بن حماد الذى أحضر من مصر للامتحان وسئل عن خلق القرآن فامتنع فحبسوه[٤]. بسامرا[٥].

على أن أهم وقائع المحنة فى عهد المعتصم كانت محنة الإمام أحمد بن حنبل، وتفيض المصادر فى ذكرها، وهى تعطى فكرة واضحة عن أعمال المحنة وكيفية سيرها [٦]ويشبه

---

(١) الحصرى: المصدر السابق والجزء ص٨٨٥، ابن شاكر الكتبى: فوات الوفيات جـ٢ ص٢٣٥ (تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت، ١٩٧٤)، السيوطى: تاريخ الخلفاء ص٣٣٤، أحمد أمين: المصدر السابق والجزء ص١٧٧ ـ ١٧٨، حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسى جـ٢ ص٦٤، عصام الدين عبد الرؤوف: الدولة العباسية ص١٤١ (الناشر: مكتبة نهضة الشرق، جامعة القاهرة ١٩٨٥، المطبعة التجارية الحديثة بالقاهرة).

(٢) السيوطى: تاريخ الخلفاء ص٣٣٥، أحمد أمين: ضحى الإسلام جـ٣ ص١٧٨

(٣) زهدى جار الله: المعتزلة ص١٧٢، حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام جـ٢ ص٦٤، ١٤٣

(٤) ابن الجوزى: مناقب الإمام أحمد بن حنبل ص٣٩٧، باتون: أحمد بن حنبل والمحنة ص١٦٦ ـ ١٦٧، زهدى جار الله: المرجع السابق والصفحة.

(٥) بلد شرق نهر دجلة يقال لها سر من رأى فخففها الناس وقالوا: سامرا (ياقوت معجم البلدان جـ٣ ص١٧٣).

(٦) اليعقوبى: تاريخ اليعقوبى جـ٣ ص ١٩٨ (مطبعة الغرى، النجف ١٣٥٨هـ)، المسعودى: مروج الذهب جـ٢ ص٣٦١، أبو نعيم الأصبهانى: حلية الأولياء جـ٩ ص١٩٥ ـ ٢٠٢، ابن الجوزى: مناقب الإمام أحمد بن حنبل ص٣١٩ ـ ٣٤٠، تقى الدين المقدسى: «كتاب المحنة» مخطوط جـ١ ص٥٧ ـ ٧٨، أبو الفدا: تاريخ أبو الفدا جـ٢ ص٣٣ (دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، بدون تاريخ)، ابن الوردى: تاريخ ابن الوردى جـ١ ص٢٣٢ (تحقيق: أحمد رفعت البدراوى، الناشر: دار المعرفة، بيروت لبنان، المطبعة الأولى ١٣٨٩هـ / ١٩٩٧٠م)، ابن شاكر الكتبى: فوات الوفيات جـ٤ ص٨٤٩، ابن كثير: البداية والنهاية جـ١٠ ص٣٣٣، السبكى: طبقات الشافعية جـ٢ ص٤٥ ـ ٥٠، الدميرى: حياة الحيوان جـ١ ص٧٣، القرمانى: أخبار الدول ص١٥٥ ـ ١٥٦

بعض الباحثين المحدثين هذه المحنة بمحاكم التفتيش التي قامت في أوروبا في العصور الوسطى، وأن كانت أخف من هذه المحاكم وطأة وأضيق نطاقاً وأقصر أمداً[1].

وتروى المصادر أن الإمام أحمد ظل محبوساً من آخر عهد المأمون وكان يتسلل إليه قوم يطلبون منه أن يقول بخلق القرآن تقية كما قال غيره من العلماء فيرفض فيئسوا منه[2]، ثم نقل الإمام أحمد من السجن إلى دار إسحق بن إبراهيم وهو مقيد بقيد واحد، ثم وجه إليه كل يوم رجلان هما: أحمد بن رياح، وأبو شعيب الحَجّام وكان يكلمانه ويناظرانه في القول بخلق القرآن، فإذا أراد الأنصراف دعى بقيد فقيد به أحمد بن حنبل، واستمرا ثلاثة أيام حتى صار في رجله أربعة أقياد[3].

وفي الليلة الرابعة أدخل الأمام أحمد على إسحق بن إبراهيم فقال له: يا أحمد إنها والله نفسك، إنه قد حلف ألا يقتلك بالسيف، وأن يضربك ضربا بعد ضرب، وأن يلقيك في موضع لا ترى فيه الشمس، أليس الله تعالى هو القائل: (انا جعلناه قرآنا عربيا)[4]، أفيكون مجعولاً إلا وهو مخلوق؟ وعندئذ قال أحمد: (فجعلهم كعصف مأكول)[5]، أفخلقهم[6]. وفي صباح اليوم التالي، استدعى المعتصم ابن حنبل للامتحان سنة ٢٢٠هـ/ ٨٣٥م في دار غاصة بالقضاة والفقهاء، وفي صحبة المعتصم ابن أبي دؤاد وأصحابه فأمرهم المعتصم أن يناظروه، فقال أحمد بن حنبل للمعتصم: إلام دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال المعتصم: إلى شهادة ألا اله ألا الله، فقال أحمد بن حنبل: أنا أشهد ألا إله إلا الله، اعطوني شيئاً من كتاب الله أو سنة رسوله أقول به، فقال ابن أبي دؤاد: هو والله يا أمير المؤمنين ضال مضل مبتدع، وهؤلاء قضاتك والفقهاء،

---

(١) أحمد فريد الرفاعي: عصر المأمون جـ١ ص٣٩٧، زهدي جار الله: المعتزلة ص١٧٢

(٢) أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء جـ٩ ص١٩٧ (طبعة دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، الطبعة الثانية ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م).

(٣) أبو نعيم الأصبهاني: المصدر السابق والجزء والصفحة، زهدي جار الله: المرجع السابق والصفحة.

(٤) سورة الزخرف، آية: ٣

(٥) سورة الفيل، آية: ٥

(٦) أبو نعيم الأصبهاني: المصدر السابق والجزء ص١٩٧ ـ ١٩٨، السبكي: طبقات الشافعية الكبرى جـ٢ ص٤٥

فسَلهُم، فقال الخليفة: ما تقولون؟ فيقولون: يا أمير المؤمنين هو ضال مضل مبتدع[١]. فقال أحد الحاضرين: قال الله تعالى: (ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث)[٢]، أفيكون محدث إلا مخلوق؟ قال ابن حنبل: قال الله تعالى: (والقرآن ذي الذكر)[٣]، فالذكر هو القرآن وتلك ليس فيها ألف ولا لام، وقال آخر: ألم يقل الله تعالى: (خالق كل شئ)[٤]، قال أحمد بن حنبل: قال تعالى: (تدمر كل شئ بأمر ربها)[٥]، فهل دمرت إلا ما أراد الله؟، فقال ثالث: ما تقول في حديث عمران بن حصين: ان الله خلق الذكر؟، قال ابن حنبل: هذا خطأ. ان الرواية (ان الله كتب الذكر)[٦].. وهكذا انفض المجلس وأعيد أحمد بن حنبل إلى الحبس، واستمرت المناظرات ثلاثة أيام[٧].

وفي اليوم الثاني أدخل أحمد بن حنبل على المعتصم، وبدأت المناظرة مع أحمد بن حنبل، فأذا جاءوا بشئ من الكلام مما ليس في كتاب الله ولا سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ولا فيه خبر ولا أثر، يرد عليهم أحمد بن حنبل: ما أدري ما هذا؟ وكلما استشهدوا بآية قرآنية أو حديث قوي الأسناد، أظهر أحمد بن حنبل استعداداً لمناظرتهم[٨].

وفي اليوم الثالث بدأت المناظرة بمجلس الخليفة، وتناقش العلماء والفقهاء مع أحمد بن حنبل، وطلب منه الخليفة أن يذعن ويجيب، حتى يرد إليه حريته، وكان رد أحمد لا يتغير، وهو أنه يلتمس بعض السند من المصادر التي يقر بها كأصول يعتمد عليها[٩]، ولما ظنّ

---

(١) أبو نعيم الأصبهاني: المصدر السابق والجزء ص ١٩٨، باتون: أحمد بن حنبل والمحنة ص١٤٢ ـ ١٤٣، أحمد أمين: ضحى الإسلام جـ٣ ص١٧٩

(٢) سورة الزخرف، آية: ٣

(٣) سورة ص، آية: ١

(٤) سورة الأنعام، آية: ١٠٢

(٥) سورة الأحقاف، آية: ٢٥

(٦) أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء جـ٩ ص ١٩٨، السبكي: طبقات الشافعية جـ٢ ص٤٧، باتون: أحمد بن حنبل ص١٤٣ ـ ١٤٤، أحمد أمين: ضحى الإسلام جـ٣ ص١٧٩

(٧) أبو نعيم الأصبهاني: المصدر السابق والجزء والصفحة، السبكي: المصدر السابق والجزء والصفحة، باتون: المرجع السابق ص١٤٢، أحمد أمين: المرجع السابق والجزء ص١٧٩ ـ ١٨٠

(٨) أبو نعيم: المصدر السابق والجزء ص٢٠٠ وما بعدها، طاش كبرى زادة: مفتاح السعادة جـ٢ ص١٧٢، باتون: المرجع السابق ص١٤٥ ـ ١٤٦

(٩) أبو نعيم الأصبهاني: المصدر السابق والجزء ٢٠١، السبكي: المصدر السابق والجزء، ص ٤٨، باتون: المرجع السابق، ص ١٤٨ ـ ١٤٩

أحمد بن أبي دؤاد أن الخليفة قد يلين إعجاباً بثبات أحمد بن حنبل وشجاعته، وتأثراً بقوة حجته، قال له: أن تركته سيقول الناس: إنك تركت مذهب المأمون وكرهت قوله، وسيرون أن أحمد بن حنبل قد أحرز نصراً على خليفتين[١].

ولما مل العلماء والفقهاء من مناظرة أحمد بن حنبل، فقد الخليفة المعتصم صبره، وأمر بضربه بالسياط[٢]، كما قال المسعودي[٣]: «ثمانية وثلاثين سوطا»، حتى سال الدم منه، وتعددت فيه الجراحات وأرسل بعد ذلك إلى السجن[٤]، وكان أن أمر المعتصم بإخلاء سبيله بعد أن قضى في السجن ثمانية وعشرين شهراً[٥].

ولاشك أن المعتصم أعجب بشجاعة أحمد بن حنبل، وليس أدل على ذلك من قول المعتصم له: «لولا أنك كنت في يد من كان قبلي ما عرضت لك»[٦]، وفي أثناء المناظرة كان الخليفة يتلطف معه ويقول له: «أجبني بشئ لك فيه أدنى فرج حتى أطلق عنك، وأركب إليك بخيلي»[٧]، ومما يذكر أن الخليفة المعتصم ندم على ضرب الإمام أحمد[٨].

(١) طاش كبرى زادة: مفتاح السعادة جـ٢ ص١٧٣، باتون: المرجع السابق ص١٤٩ ـ ١٥٠، أحمد أمين: ضحى الإسلام جـ٣ ص١٨٠

(٢) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي جـ٣ ص ١٩٨، أبو النعيم الأصبهاني: حلية الأولياء جـ٩ ص٢٠١، أبو الفدا: تاريخ أبو الفدا جـ٢ ص٣٣، ابن كثير: البداية والنهاية جـ١٠ ص٣٣٤، السبكي: المصدر السابق والجزء والصفحة، الدميري: حياة الحيوان الكبرى جـ١ ص٧٣، طاش كبرى زادة: مفتاح السعادة جـ٢ ص١٧٣، ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب جـ٢ ص٣٩

(٣) مروج الذهب جـ٢ ص٣٦١

(٤) أبو الفدا: المصدر السابق والجزء ص٣٣، ابن الوردي: تاريخ أبن الوردي جـ١ ص٢٣٢، أحمد أمين المرجع السابق والجزء ص١٨٠، زهدي جار الله: المعتزلة ص١٧٤ ـ ١٧٥

(٥) الدميري: المصدر السابق والجزء والصفحة.

(٦) الجاحظ: رسائل الجاحظ جـ٣ ص٩٢٢، أبو نعيم الأصبهاني: المصدر السابق جـ٩، ص ١٩٨، السبكي: المصدر السابق والجزء ص٤٦

(٧) أبو نعيم الأصبهاني: المصدر السابق والجزء والصفحة، ابن الجوزي: مناقب الإمام أحمد بن حنبل ص٣٢١، المقدسي: «كتاب المحنة» مخطوط جـ٢ ص٦٠، عصام الدين عبد الرؤوف: الحواضر الإسلامية ص٢٦٦ (دار الفكر العربي، الطبعة الأولى ١٩٧٦م).

(٨) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب جـ٢ ص٦٩٩ (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م)

محنة خلق القرآن فى عهد الواثق

مات الخليفة المعتصم (٢٢٧هـ/ ٨٤١م) وخلفه الخليفة الواثق (٢٢٧هـ ـ ٢٣٢هـ)(٨٣٥م ـ ٨٤٦م)، وقد عرف بثقافته الواسعة حتى أطلق عليه المأمون الأصغر لأدبه وفضله، وكان المأمون يعظمه ويقدمه على ولده، فتعصب للقول بخلق القرآن عن علم وعقيده[١].

اقتدى الواثق بكل من المأمون والمعتصم فى القول بخلق القرآن، وكان المعتزلة حينذاك قد بلغوا أوج قوتهم فحملوا الخليفة على الاستمرار والتشدد فى المحنة[٢]، وعلى رأسهم القاضى أحمد بن أبى دؤاد الذى كان يمتحن العلماء ويدعو إلى القول بخلق القرآن[٣].

كتب الواثق إلى القضاة فى سائر البلدان أن يمتحنوا الناس فى القرآن، وأمرهم ألا يجيزوا شهادة إلا من قال بالتوحيد[٤]، والعمل على امتحان الأئمة والمؤذنين بخلق القرآن[٥].

وفى سنة ٢٣١هـ/ ٨٤٥م أمر الخليفة الواثق بامتحان أهل الثغور فى القرآن فأقروا جميعاً بخلق القرآن إلا أربعة نفر، فأمر الواثق بضرب أعناقهم أن لم يوافقوا على القول

---

(١) ابن شاكر الكتبى: فوات الوفيات جـ٤ ص ٢٢٨، السيوطى: تاريخ الخلفاء ص٣٤٢ ـ ٣٤٣، أحمد أمين: ضحى الإسلام جـ٣ ص١٨١

(٢) المسعودى: مروج الذهب جـ٢ ص٣٧٥، التنبيه والأشراف ص٣١٣، (تصحيح: عبد الله إسماعيل الصاوى، القاهرة ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٣٨م، دار الصاوى للطبع والنشر والتأليف)، ابن الجوزى: مناقب الإمام أحمد بن حنبل ص ٣٤٨، أبو الفدا: تاريخ أبو الفدا جـ٢ ص٣٦، الدميرى: حياة الحيوان جـ١ ص٧٣، القرمانى: أخبار الدول ص١٥٦

(٣) الخطيب البغدادى: تاريخ بغداد جـ٤ ص١٤٢، جـ١٤، ص١٨، ابن الجوزى: المصدر السابق والصفحة، ابن شاكر الكتبى: المصدر السابق والجزء والصفحة، السيوطى: المصدر السابق ص٣٤١، الديار بكرى: تاريخ الخميسى ص٣٣٧ (المطبعة الوهبية، القاهرة، ١٢٨٣هـ).

(٤) اليعقوبى: تاريخ اليعقوبى جـ٣ ص٢٠٧، عبد العزيز الدورى: دراسات فى العصور العباسية المتأخرة ص٣٥ (مطبعة السريان، بغداد، ص١٩٤٥م).

(٥) السيوطى: تاريخ الخلفاء ص٣٤٥، ابن العماد الحنبل: شذرات الذهب جـ٢ ص٦٩

بخلق القرآن[١].

بالغ الواثق فى التشدد فى المحنة حتى أنه حمل البويطى[٢] من مصر إلى العراق للامتحان فامتنع عن الجواب، وكان يقول إنما خلق الله كل شئ بـ «كن»، فإن كانت «كن» مخلوقة، فمخلوق خلق مخلوقا، وقد انتهى مصيره بالسجن فى بغداد حيث مات[٣].

غير أن الواثق لم يتعرض «لأحمد بن حنبل» فلم يمتحنه، لكنه أرسل إليه يقول «لا تساكنى بأرض» فاختفى الأمام بقية حياة الواثق، وصار لا يخرج إلى صلاة ولا لغيرها، ولم يزل يتنقل فى الأماكن ثم عاد إلى منزله فأقام به إلى أن مات الواثق[٤].

بلغ من تشدد الواثق فى حمل الناس على القول بخلق القرآن أنه لما اتفق مع الإمبراطور البيزنطى (ميخائيل ثيوفلس) على فداء كل أسير بمثله سنة ٢٣١هـ/ ٨٤٥م أرسل مع الجيش الذى حضر الفداء اثنين من رجاله فوقفا على قنطرة النهر، وكلما مر رجل من الأسرى امتحناه فمن أقرّ بخلق القرآن، وأن الله عز وجل لا يرى فى الآخرة فودى به ومن لم يُقر بذلك ترك أسيراً فى يد البيزنطيين (الروم)[٥].

---

(١) الطبرى: تاريخ الطبرى جـ٩ ص١٤١، مسكوية: تجارب الأمم جـ٦ ص٥٣٢ (القاهرة ١٩١٥م)، زهدى جار الله: المعتزلة ص١٧٧، عبد العزيز الدورى: المرجع السابق والصفحة.

(٢) هو أبو يعقوب يوسف بن يحيى البويطى (ت ٢٣١هـ/ ٨٤٥م) نسبة إلى بويط بالصعيد، وهى قرية فى كورة سيوط، وهو صاحب الإمام الشافعى، قال عنه الشافعى: البويطى لسانى، وما رأيت أحداً أبرع بحجة من كتاب الله مثل البويطى، وهو أحق بملجسى من غيره. (الخطيب البغدادى: تاريخ بغداد جـ١٤ ص٢٩٩ ـ ٣٠٣، ياقوت: معجم البلدان جـ١ ص٥١٣ (دار صادر، بيروت ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م)، الديار بكرى: تاريخ الخميسى ص٣٣٧، ابن العماد الحنبلى: المصدر السابق، جـ٢ ص٧١، الزركلى: الأعلام جـ٩ ص ٣٣٨).

(٣) الخطيب البغدادى: المصدر السابق والجزء ص٣٠٢، ابن كثير: البداية والنهاية جـ١٠ ص ٣٠٨، زهدى جار الله: المرجع السابق والصفحة.

(٤) ابن الجوزى: مناقب الإمام أحمد بن حنبل ص ٣٤٨، تقى الدين المقدسى: «كتاب المحنة» مخطوط، بدار الكتب المصرية جـ٣ ص١٣٥، الدميرى: حياة الحيوان الكبرى جـ١ ص٧٣، القرمانى: أخبار الدول ص١٥٦، زهدى جار الله: المعتزلة ص١٧٧، عبد المتعال الصعيدى: المجددون فى الإسلام ص ١٢٨، (المطبعة النموذجية، مصر، بدون تاريخ).

(٥) اليعقوبى: تاريخ اليعقوبى جـ٣ ص٢٠٧، الطبرى: تاريخ الطبرى جـ٩ ص١٤٢، مسكوية: تجارب الأمم جـ٢ ص٥٣٢، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ٢ ص٢٥٩، السيوطى: تاريخ الخلفاء ص٣٤١، السيد الباز العرينى: الدولة البيزنطية ص٢٥٠ (دار النهضة العربية ١٩٦٠م)، حسن أحمد محمود: العالم الإسلامى فى العصر العباسى ص١٧٤ ـ ١٧٥

وقد أدى تشدد الواثق فى المحنة واقتدائه بكل من المأمون والمعتصم فى اضطهاد كل من لا يقـول بخلق القـرآن إلـى آثارة أهل بغـداد وتـآمـرهم عليـه، وفى هذا الصدد يـقـول المسـعـودى[1] عن الخليفـة الواثق: «وشغل نفسه بمحنة الناس فى الدين فأفسد قلوبهم، وأوجد السبيل إلى الطعن عليه». ويروى ابن الأثير[2] أن العامة كانوا يتهمونه بالكفر.

ولما تزايد نفور النـاس من المحنة وعظم حنقهم عليـها اتجهـوا إلى الفتنة فدبروا مؤامرة تزعمها أحـمد بن نصر الخزاعى[3]، للخروج على الخليـفة والقضاء على الحكـومة، وكان أحمـد بن نصر يـخالف من يقـول بخلق القرآن ولا يتـورع فى مجلسـه عن التهـجم على الخليفـة الواثق فيقـول: «هذا الخنزير وهذا الكافر»[4]، وكان أصـحاب الحديث يحـضرون مجلسه من أمثال: يحيى بن معين، والدّورقى، وابن خيثمة[5]، وتجمع حـوله كل من ينكر القول بخلق القـرآن من أهل بغداد، وحملوه على الحركـة لإنكار ذلك القول[6]، وبايعــوه وعينوا ليلة لخروجـهم وجمعوا الناس، ولكن أمرهم ظهر قـبل تنفيذ ما اتفقوا عليه فقبض عليهم والى بغداد وسيقوا إلى الواثق فى سـامرا حاضرة الخلافة سنة (٢٣١هـ/ ٨٤٥م)[7].

---

(١) التنبية والإشراف ص٣١٣

(٢) أبن الأثير: الكامل جـ٧ ص ٨

(٣) هو أحـمد بن نصـر بن مالك بن الهـيـثم، أبو عبـد الله الخزاعى (ت٢٣١هـ/ ٨٤٥م)، من أشـراف بغداد، وجـده مالك أحد نقباء بنى العبـاس فى ابتداء الدولة، وكـان أحمد يخالـف من يقول بخلق القرآن، ومن شيوخه مالك بن أنس، ومن تلامذته الآخـذين عنه: يحيى بن معين، وكان يكره الخليفة الواثق وأحمد بن أبى دؤاد (الطبرى: المصـدر السـابق والجزء ص١٣٥ ـ ١٣٧٧، ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون جـ٣ ص٢٧٢ (منشـورات مؤسسـة الأعلمى للمطبوعات، بيروت، لبنان، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م)، ابن العـمـاد الحنبلى: شـذرات الذهب جـ٢ ص٦٩، الـزركلى: الأعـلام جـ١ ص٢٥٠، باتون: أحمد بن حنبل والمحنة ص١٦٣ ـ ١٦٦، أحمد أمين: ضحى الإسلام جـ٣ ص١٨١ ـ ١٨٢، زهدى جار الله: المعتزلة ص١٧٧ ـ ١٧٩

(٤) الطبرى: تاريخ الطبرى جـ٩ ص١٣٥، زهدى جار الله: المعتزلة ص ١٧٨

(٥) الطبرى: المصدر السابق والجزء والصفحة، باتون: أحمد بن حنبل والمحنة ص١٦٣، زهدى جار الله: المرجع السابق والصفحة.

(٦) الطبرى: المصدر السابق والجزء ص١٣٦، زهدى جار الله: المرجع السابق والصفحة.

(٧) الطبرى: المصدر السابق والجزء ص١٣٥ ـ ١٣٦، مسكوية: تجارب الأمم جـ٦ ص٥٢٩، زهدى جار اله: المرجع السابق ص١٧٧ ـ ١٧٨

وهناك عقد الخليفة الواثق لأحمد بن نصر الخزاعى وأتباعه مجلسا للمناظرة، ولم يسأله فى الشغب الذى أحدثه ولا فى الخروج عليه، وإنما سأله فى مسألة خلق القرآن، فقال له: ما تقول فى القرآن؟ قال: كلام الله، قال له: أفمخلوق هو؟ قال: هو كلام الله، وامتنع أن يقره على قوله فى خلقه، وسأله الواثق عن رؤية الله يوم القيامة، قال يا أمير المؤمنين: جاءت الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (ترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر لا تضامون فى رؤيته)(١).

فقال الواثق لمن حوله: ما تقولون فيه؟ فقال عبد الرحمن بن إسحق: يا أمير المؤمنين هو حلال الدم، وقال أبو عبد الله الأرمنى صاحب بن أبى دؤاد: أسقنى دمه يا أمير المؤمنين، وقال ابن أبى دؤاد: يا أمير المؤمنين كافر يستتاب، لعل به عاهة أو تغير عقل(٢). وعندئذ قال الخليفة الواثق: اذا رأيتمونى قد قمت إليه، فلا يقومنّ أحد معى، فأنى أحتسب خطاى إلى هذا الكافر الذى يعبد رباً لا نعبده ولا نعرفه بالصفة التى وصفه بها، ودعا بالصّمصامة ـ سيف عمرو بن معد يكرب الزبيدى ـ فمشى إليه وقتله(٣).

صلب أحمد بن نصر الخزاعى وحمل رأسه إلى بغداد، فنصب فى الجانب الشرقى أياما، وفى الجانب الغربى أياما، وكتب الخليفة الواثق ورقة عقلت برأسه نصها «هذا رأس أحمد بن نصر الخزاعى، الكافر المشرك الضال، دعاه عبد الله الإمام هارون (وهو الواثق) إلى القول بخلق القرآن ونفى التشبيه، فأبى إلا المعاندة فعجله الله إلى ناره»، ووكل بالرأس من يحفظه ويصرفه عن القبلة(٤)، ولم يلبث الواثق أن تتبع أصحاب أحمد بن نصر

(١) الطبرى: المصدر السابق والجزء ص ١٣٨، السبكى: طبقات الشافعية الكبرى جـ٢ ص٥١، السيوطى: تاريخ الخلفاء، ص٣٤١

(٢) الطبرى: المصدر السابق والجزء والصفحة، السبكى: المصدر السابق والجزء والصفحة، السيوطى: المصدر السابق والجزء والصفحة، باتون: أحمد بن حنبل والمحنة ص١٦٤، أحمد أمين: ضحى الإسلام جـ٣ ص١٨٢

(٣) الطبرى: المصدر السابق والجزء والصفحة، السبكى: المصدر السابق والجزء والصفحة، السيوطى: المصدر السابق والجزء والصفحة، زهدى جار الله: المعتزلة ص ١٧٨

(٤) اليعقوبى: تاريخ اليعقوبى جـ٣ ص٢٠٧، الطبرى: المصدر السابق والجزء ص١٣٩، المسعودى: مروج الذهب جـ٢ ص٣٨٣، مسكوية: تجارب الأمم جـ ٦ ص٥٢٩، البغدادى: الفرق بين الفرق ص١٥٩، ابن الأثير: الكامل جـ٥ ص٢٧٣، السبكى: المصدر السابق والجزء ص٥٢، ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون جـ٣ ص٢٧٢، السيوطى: المصدر السابق والصفحة ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب جـ٢ ص٦٩

الخزاعى ووضعهم فى السجون مكبلين بالحديد ومنعوا من الصدقة التى توزع عادة على المساجين[1].

ومع أن الواثق كان يتبع تعاليم المعتزلة، الا أنه رجع عن القول بخلق القرآن قبل موته[2]، وذلك بسبب مناظرة جرت أمامه رأى بها ترك الامتحان، وقد ذكرها الكثير من المؤرخين[3]، فقد أتى بشيخ مقيد[4]، وأدخل على الخليفة الواثق فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين، فقال الواثق: لا سلم الله عليك، قال الشيخ: يا أمير المؤمنين بئس ما أدبك به مؤدبك، قال تعالى: (وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها)، وأمر الخليفة الواثق ابن أبى دؤاد أن يكلم الشيخ، فقال ابن أبى دؤاد: ما تقول فى القرآن؟ قال الشيخ: لم تنصفنى ولى السؤال، فقال له ابن أبى دؤاد: سل، قال الشيخ: ما تقول فى القرآن؟ قال: مخلوق. فقال الشيخ: هذا شئ علمه النبى صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدون أم شئ لم يعلموه؟ قال: شئ لم يعلموه! فقال الشيخ: شئ لم يعلمه النبى صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدون وعلمته أنت! فخجل ابن أبى دؤاد، ثم قال له الشيخ ثانيا: ما تقول فى القرآن قال: مخلوق، قال الشيخ: هذا شئ علمه النبى صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدون أم لم يعلموه؟ فقال: علموه ولم يدعوا الناس إليه. فقال الشيخ: أفلا وسعك ما

(١) الطبرى: المصدر السابق والجزء والصفحة، مسكوية: المصدر السابق والجزء والصفحة، السبكى: المصدر السابق والجزء والصفحة، زهدى جار الله: المرجع السابق، ١٧٩

(٢) الخطيب البغدادى: تاريخ بغداد جـ١٤، ص ١٨، ابن الجوزى: مناقب الإمام أحمد بن حنبل ص٣٥٦، تقى الدين المقدسى: «كتاب المحنة» مخطوط جـ٣ ص١٤٥، ابن شاكر الكتبى: فوات الوفيات جـ٤ ص٢٢٩، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ٢ ص٢٦٦ ـ ٢٦٧، السيوطى: تاريخ الخلفاء ص٣٤١، الديار بكرى: تاريخ الخميسى ص٣٣٧، القرمانى: أخبار الدول ص١٥٧

(٣) الخطيب البغدادى: المصدر السابق جـ٤ ص١٥٢، ابن الجوزى: المصدر السابق ص٣٥٠ ـ ٣٥١، السبكى: المصدر السابق والجزء ص٥٥، ابن كثير: البداية والنهاية جـ١٠ ص٣٢١، الدميرى: حياة الحيوان الكبرى جـ١ ص٧٥ ـ ٧٦، السيوطى: المصدر السابق ص٣٤١ ـ ٣٤٢، الديار بكرى: المصدر السابق والصفحة، القرمانى: المصدر السابق ص ١٥٨

(٤) الشيخ المذكور: هو أبو عبد الرحمن عبد الله محمد الأذرمى، شيخ أبى داود والنسائى (السيوطى: المصدر السابق ص٣٤٢)

وسعهـم، فقام الواثق ودخل إلى مجلسه وهو يقول لنفسه: هـذا شئ لم يعلمه النبى صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدون ولم يدعوا الناس إليه أفلا وسعك ما وسعهم!، ونتيجة لذلك دعا الواثق حاجبه وأمره أن يرفع عن الشيخ القيود، وأن يعطى مالا، ويسمح له فى الرجوع وسقط من عينه ابن أبى دؤاد ولم يمتحن أحداً بعد ذلك(١).

---

(١) ابن الجوزى: مناقب الإمام أحمد بن حنبل ص٣٥٠ ـ ٣٥١، ابن كثير: البداية والنهاية جـ١٠ ص٣٢١، السيوطى: تاريخ الخلفاء ص٣٤٢، القرمانى: أخبار الدول ص ١٥٨

نهاية المحنة فى خلافة المتوكل على الله

توفى الخليفة الواثق سنة (٢٣٢هـ/ ٨٤٦م) وبويع المتوكل بالخلافة سنة ٢٣٢هـ (٨٤٦م) ـ ٢٤٧هـ (٨٦١م)، فلم يتحمس للقول بخلق القرآن، وبالتالى فترت حركة الامتحان، وأبطل المتوكل القول بخلق القرآن، ونهى عن الجدال فيه وفى غيره، وأظهر السنة[١].

وقد أوضح المسعودى[٢] موقف المتوكل من المعتزلة فى قوله: «لما أفضت الخلافة إلى المتوكل أمر بترك النظر والمباحثة فى الجدال، والترك لما عليه الناس فى أيام المعتصم والواثق وأمر الناس بالتسليم والتقليد، وأمر الشيوخ المحدثين بالتحديث وإظهار السنة والجماعة».

كذلك أطلق المتوكل من كان فى السجون من أهل البلدان، ومن أخذ فى خلافة الواثق فخلاهم جميعاً وكساهم، وكتب إلى الآفاق كتباً ينهى عن المناظرة والجدل فأمسك الناس[٣]. كانت هذه هى الخطوة الأولى فى حركة الخليفة المتوكل ضد المعتزلة. إذ منعهم النقاش فى خلق القرآن فى الوقت الذى لم يتعرض لأحد منهم بالأذى فى هذه المرحلة من ناحية، ووقف منهم موقف المتسامح من ناحية أخرى.

ثم جاءت الخطوة الثانية سنة ٢٣٤هـ/ ٨٤٨م، ففى تلك السنة تظهر بوضوح تطور سياسة المتوكل تجاه المعتزلة فأظهر السنة ونهى عن القول بخلق القرآن، وهدد من أثار هذه المسألة[٤]، واستقدم العلماء والفقهاء والمحدثين إلى سامرا وأجزل عطاياهم وأكرمهم، وأمرهم أن يجلسوا للناس ويحدثوا بأحاديث الصفات والرؤية للرد على المعتزلة[٥].

---

(١) الدميرى: حياة الحيوان الكبرى جـ١ ص٧٧، الديار بكرى: تاريخ الخميسى ص ٣٣٨، القاسمى الدمشقى: تاريخ الجهمية والمعتزلة ص٦٩

(٢) مروج الذهب جـ٢ ص٣٩١

(٣) اليعقوبى: تاريخ اليعقوبى جـ٣ ص٢٠٩

(٤) الخطيب البغدادى: تاريخ بغداد جـ٢ ص٣٤٤، ابن الجوزى: مناقب الإمام أحمد بن حنبل ص٣٥٧ ـ ٣٥٨، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ٢ ص٢٧٥

(٥) الخطيب البغدادى: المصدر السابق والجزء والصفحة، ابن الجوزى: المصدر السابق والصفحة، السيوطى: تاريخ الخلفاء ص٣٤٦

وجلس أبويكر بن أبى شيبة فى جامع الرصافة[١]، فاجتمع اليه نحو ثلاثين ألف نفس، وجلس أخوه عثمان فى جامع المنصور، فاجتمع إليه أيضاً نحو ثلاثين ألف نفس[٢].

وأخيراً خطا المتوكل الخطوة النهائية سنة ٢٣٧هـ/ ٨٥١م فأعلن سخطه وغضبه على المعتزلة، وعمد إلى سياسة التشدد تجاههم، فعزل ابن أبى دؤاد عن المظالم، واستدعى يحيى بن أكثم فولاه القضاة والمظالم، كما حبس أبا الوليد ابن أبى دؤاد وإخوته ولم يخل سبيلهم إلا بعد المصالحة على دفع مبلغ ضخم من المال، ثم أبعدوا إلى بغداد، فأقاموا فيها حتى توفى أبو الوليد سنة (٢٤٠هـ/ ٨٥٤م)، ثم لحقه أبوه أحمد بن أبى دؤاد بعد عشرين يوما[٣]، كذلك كتب المتوكل إلى الآفاق بالمنع من الكلام والكف عن القول بخلق القرآن، وأن من تكلم فى علم الكلام فسيكون مصيره السجن، وعلاوة على ذلك أمر الناس ألا يشتغل أحد إلا بالكتاب والسنة[٤].

وفى نفس العام أمر المتوكل بإنزال جثة أحمد بن نصر الخزاعى، فأنزلت وضم رأسه إلى جسده، ودفعت إلى أوليائه فى يوم عيد الفطر فدفنت[٥].

كذلك أرسل المتوكل إلى الأمام أحمد بن حنبل فاستدعاه من بغداد، وقربه وأكرمه حتى كان لا يولى أحد إلا بعد مشورة الإمام[٦]، ورفض المتوكل الوشايات التى كانت

---

(١) رصافة بغداد فى الجانب الشرقى، لما بنى المنصور مدينته بالجانب الغربى وأتم بناءها أمر ابنه المهدى أن يعسكر في الجانب الشرقى، وعمل المهدى بها جامعا أكبر من جامع المنصور وأحسن، وكان فراغ المهدى من بناء الرصافة والجامع بها فى سنة ١٥٩هـ/ ٧٧٥م وهى السنة الثانية من خلافته، (ياقوت: معجم البلدان جـ٣ ص٤٦).

(٢) السيوطى: المصدر السابق والصفحة، زهدى جار الله: المعتزلة ص١٨٣

(٣) الطبرى: تاريخ الطبرى جـ٩ ص ١٨٨ ـ ١٨٩، ابن خلكان: وفيات الأعيان جـ١ ص٧٢ ـ ٧٣، ابن كثير: البداية والنهاية جـ١٠ ص٣١٥، ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب جـ٢ ص٨٧، محمد الخضرى: تاريخ الأمم الإسلامية ص ٢٥٨

(٤) أبو الفدا: تايخ أبو الفدا جـ٢ ص ٣٨، ابن كثير: المصدر السابق والجزء ص٣١٦، القرمانى: أخبار الدول ص١٥٩

(٥) الطبرى: المصدر السابق والجزء ص١٩٠

(٦) ابن الجوزى: مناقب الإمام أحمد بن حنبل ص ٣٥٨ ـ ٣٧٩، المقدسى: «كتاب المحنة» مخطوط بدار الكتب المصرية رقم (٣٤٥) جـ٣ ص١٦٠ ـ ١٦١، ابن كثير: البداية والنهاية جـ١٠ ص٣٣٥ ـ ٣٤٠، الزركلى: الأعلام جـ١ ص١٩٢ ـ ١٩٣

تهدف إلى الوقيعة بينه وبين الأمام أحمد بن حنبل[١].

لما رفع المتوكل المحنة وأقصى المعتزلة انفجر بركان غيظ الشعب وظهرت كراهيتهم الشديدة للاعتزال[٢]، وقد ظهر ذلك واضحا فى كثير من المناسبات، من ذلك ما حدث فى جنازة أحمد بن نصر التى مشى فيها جماهير العامة فى بغداد، وأخذوا يتمسحون بالنعش حتى أن المتوكل تخوف من اجتماع العامة وتجمهرهم على هذا النحو فكتب إلى عامله يأمره بمنعهم من الحركة فى مثل هذا الأمر[٣].

وكذلك ما حدث فى جنازة الإمام أحمد بن حنبل الذى حضر جنازته جمع هائل من الناس[٤].

اتجه الخليفة المتوكل إلى التصدى للمعتزلة لما رآه من قوة الرأى العام ضد الإعتزال، وما سببته هذه المسألة للدولة، فرأى أن يخلص من هذه المشاكل، فاتجه إلى المذهب الذى يضمن له سلامة خلافته وينأى به عن المشاكل ويجعله موضع تقدير المسلمين وإجلالهم، خاصة أن المعتزلة كانوا قد تعرضوا فى أواخر عهد الخليفة الواثق لموجة من الكراهية[٥]، وكان المتوكل يميل إلى أهل السنة، ويعمل على نصرتهم، ولهذا اعتزم إعادة المذاهب السنية إلى سابق عهدها، وكان أول من اتبع مذهب الإمام الشافعى من الخلفاء[٦].

وفضلا عما تقدم، فإن المتوكل كانت لديه رغبة فى اكتساب تأييد الفقهاء ورجال الدين الذين لهم تأثير على الناس ضد العناصر المناوئة له، وبخاصة قواد الأتراك الذين كانوا

---

(١) كتب رجل إلى المتوكل يقول: يا أمير المؤمنين أن أحمد بن حنبل يشتم آباءك ويرميهم بالزندقة، فكتب المتوكل يقول: أما المأمون فإنه خلط فسلط الناس على نفسه، وأما المعتصم فإنه استحق ما قيل فيه. ثم أمر أن يضرب الرجل الذى رفع إليه الرسالة مائتى سوط (ابن كثير: المصدر السابق جـ١٠ ص٣٤٠).

(٢) زهدى جار الله: المعتزلة ص١٨٤

(٣) الطبرى: تاريخ الطبرى جـ٩ ص١٩٠ ـ ١٩١

(٤) يقول ابن خلكان: حضر جنازته ثمانمائة ألف من الرجال وستين ألف من النساء، وقيل إنه أسلم يوم مات عشرون ألفا من النصارى واليهود والمجوس (وفيات الأعيان جـ١ ص ٤٨).

(٥) السيوطى: تاريخ الخلفاء ص٣٤٢، أحمد أمين: ضحى الإسلام جـ٣ ص ١٩٨

(٦) الدميرى: حياة الحيوان الكبرى جـ١ ص ٧٨، السيوطى: الأوائل (مخطوط) بدار الكتب المصرية (٣٩١) (تاريخ) ص٣٧، تاريخ الخلفاء ص٣٥٢

يطمحون إلى الاستئثار بالسلطة دون الخليفة[1].

وليس من شك أن الخليفة المتوكل حظى بتقدير الناس بعد القضاء على هذه المحنة التى شغلت الناس فترة طويلة، وإحياء مذهب السنة، فبالغوا فى الثناء عليه والدعاء له حتى قال قائلهم: الخلفاء ثلاثة: أبوبكر الصديق يوم الردة، وعمر بن عبد العزيز فى رد المظالم[2] والمتوكل فى إحياء السنة[3].

ويرى البعض أن المعتزلة قد أخطأوا فى المحنة، لأنهم هدموا أعظم ركن من أركان مذهبهم وهو القول بحرية الفرد فى اختيار أفعاله، ودفاعهم عن تلك الحرية، وفى الوقت نفسه فرضوا مذهب خلق القرآن على الناس فرضاً وأرغموهم عليه، وامتحنوهم فيها، فناقضوا بذلك أنفسهم[4].

وقد ترتب على هذا أن انتصر المحدثون، وأخذوا ينتقمون من المعتزلة بأيديهم وعلمهم ودأبوا على تجريح المعتزلة تجريحاً شنيعاً، ووصل الأمر بهم إلى تجريح من جرى امتحانه وأقر بخلق القرآن، وأخذ أحمد بن حنبل رئيس المحدثين يحكم على هذا بالضعف وهذا بالقوة، وكان من أكبر أدواته فى الميزان القول بخلق القرآن[5]، وسمى المتوكل «محيى

---

(١) فاروق عمر: الخلافة العباسية فى عصر الفوضى العسكرية ص٦٣ (مكتبة المثنى، بغداد، العراق، الطبعة الثانية ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م)، على حبيبة: العباسيون فى التاريخ ص١٥٧ (مطبعة الإرشاد، القاهرة ١٩٨٠م).

(٢) المقصود برد مظالم بنى أمية، أن عمر بن عبد العزيز حاول تحويل الصورة التى ارتسمت عند العامة عن أعمال بنى أمية فسمى أعمالهم وأموالهم مظالم وكتب إلى عمالة برفعها، وأمرهم أن يحصنوا سياستهم بالعدل بين الناس، وأن يمنعوا الظلم، ويلغوا الجزية عمن أسلم، كما أرضى العلويين بأن منع شتم الإمام على وورد أرض فدك، وكان معاوية قد أقطعها مروان بن الحكم فوهبها لابنه عبد العزيز فورثها عمر وحاول مساواة العرب بالموالى. (السيوطى: تاريخ الخلفاء ص ٢٢٨ ـ ٢٤٤).

(٣) الخطيب البغدادى: تاريخ بغداد جـ٧ ص١٧٠، ابن الجوزى: مناقب الإمام أحمد بن حنبل ص٣٥٦، ابن السبكى: طبقات الشافعية جـ٢ ص٥٤، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ٢ ص٢٧٥، السيوطى: المصدر السابق ص٣٤٦، طاش كبرى زادة. مصباح السعادة جـ٢ ص١٧٦

(٤) الشهرستانى: الملل والنحل جـ١ ص٥٤، أحمد أمين: ضحى الإسلام جـ٣ ص ١٩٨، زهدى جار الله: المعتزلة ص١٩١ ـ١٩٢

(٥) الخطيب البغدادى: تاريخ بغداد جـ٤ ص١٥٣، أحمد أمين: المرجع السابق والجزء، ص١٩٩ ـ ٢٠٠

السنة)، وقالوا أيضا: إنه أطفأ نيران البدعة وأوقد مصابيح السنة[1].

أما خلفاء المتوكل حتى عهد المعتمد على الله (٢٧٩هـ/ ٨٩٢م) فقد واجهوا من المشكلات الداخلية وأعباء الحكم ما جعلهم يتناسون الخلافات المذهبية وينصرفون إلى تدبير شئون الخلافة، وقد تمثلت أهم المشاكل التى واجهت خلفاء المتوكل فى استبداد الأتراك وثورات العلويين وثورة الزنج ثم حركة القرامطة[2].

(٣) الخطيب البغدادى: المصدر السابق جـ٧ ص١٧٠، ابن الجوزى: مناقب الإمام أحمد بن حنبل ص١٥٧

(٤) الطبرى: تاريخ الطبرى جـ٩ ص٢٢٢ وما بعدها، السيوطى: تاريخ الخلفاء ص٣٥٦ وما بعدها.

أثر المعتزلة فى الفكر السياسى

نشأ المعتزلة فى زمن كان فيه المسلمون حديثى عهد بالأحداث التى طرأت بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، مثل قضية الخلافة والإمامة والبيعة، وينبغى علينا أن ننظر إلى المعتزلة على أنهم فرقة «دينية» أولا، ثم «سياسية» ثانيا، ذلك لأن أحد أصولهم الخمسة التى يقال إن المرء لايصلح أن يسمى معتزليا إلا إذا قبلها جميعا ـ وهو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ـ يعتبر مبدأ سياسيا[1].

وهناك أراء متعددة فى نشأة المعتزلة ـ كما أسلفنا ـ منها ما يشير فى صراحة إلى أن بداية هذه النشأة كانت سياسية، من ذلك ما يرويه النوبختى قائلا: «من الفرق التى افترقت بعد ولاية على فرقة اعتزلت مع سعد بن مالك، وسعد بن أبى وقاص، وعبد الله بن عمر ابن الخطاب، ومحمد بن مسلمة الأنصارى، وزيد بن حارثة، فإن هؤلاء اعتزلوا عن على، وامتنعوا عن محاربته والمحاربة معه بعد دخولهم بيعته والرضا به، فسموا المعتزلة، وقالوا: لا يحل قتال على، ولا القتال معه، والأحنف بن قيس قالها لقومه: اعتزلوا الفتنة أصلح لكم[2]. ويقول الملطى: «عندما بايع الحسن بن على عليه السلام معاوية وسلم إليه الأمر، اعتزلوا الحسن ومعاوية وجميع الناس، وذلك أنهم كانوا من أصحاب على، ولزموا منازلهم ومساجدهم»[3].

ويتضح لنا من هذه النصوص أن السبب فى نشأة المعتزلة هو عدم موافقتهم الحسن بن علىّ على تسليم الخلافة إلى معاوية، فرأوا الاعتزال عنه وعن باقى المسلمين والانقطاع إلى العلم والعبادة، وأن المعتزلة قد انتموا إلى جانب على بن أبى طالب وذريته، ثم اعتزلوا عنهم.

---

(١) محمد ضياء الدين الريس: النظريات السياسية الإسلامية ص٧٩ (منشورات دار الأضواء، بيروت ـ لبنان ـ الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م).

(٢) فرق الشيعة ص٥

(٣) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ص٤١ (تحقيق محمد زاهد الكوثرى، مكتبة نشر الثقافة الإسلامية، القاهرة ١٩٤٩م).

ويرى بعض الباحثين المحدثين أن ذلك يدل على أن المعتزلة كانوا ينتمون فى بادئ الأمر إلى الشيعة[1]، ومما يؤكد ذلك قول الشهرستانى: «أن واصل بن عطاء أخذ الاعتزال عن أبى هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية[2]، والمعتزلة أنفسهم يؤكدون أنهم أخذوا مذهب الاعتزال عن أبى هاشم عبد الله، وأخذه هذا عن أبيه محمد بن الحنفية، وهذا عن والده على بن أبى طالب[3].

ويربط البغدادى اعتزال واصل وقوله بالمنزلة بين المنزلتين، بحركة الخوارج السياسية فى البصرة، فيقول[4]: «فلما ظهرت فتنة الأزارقة بالبصرة والأهواز، واختلف الناس عند ذلك فى أصحاب الذنوب، خرج واصل بن عطاء عن قول جميع الفرق المتقدمة، وزعم أن الفاسق فى هذه الأمة لا مؤمن ولا كافر، وجعل الفسق منزلة بين منزلة الكفر والأيمان.

وأبدى المعتزلة آراءهم السياسية فى أكثر المسائل التى كانت موضع بحث فى هذا العصر[5]، فقال واصل بن عطاء فى عثمان وقاتليه وخاذليه: «أن أحد الفريقين فاسق لا محالة، وأنه لا يعرف هل كان عثمان هو المخطئ أم قاتلوه وخاذلوه؟»، وقال أبو الهذيل العلاف: لا ندرى قتل عثمان ظالماً أو مظلوماً[6]، وكذلك فى الفريقين من أصحاب الجمل وأصحاب صفين، قال واصل: أن أحدهما مخطئ لا بعينه[7].

---

(١) أبو الوفاء التفتازانى: علم الكلام وبعض مشكلاته ص٤٦

(٢) الملل والنحل جـ١ ص٥٧

(٣) أبو القاسم البلخى: فضل الاعتزال ص ٦٨ (ضمن رسائل العدل والتوحيد جـ١، تحقيق محمد عمارة، طبعة مؤسسة دار الهلال ١٩٧١م)، القاضى عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة ص ١٣٨، المحيط بالتكليف، المجلد الأول ص٤٢٣، الشريف المرتضى: أمالى المرتضى جـ١ ص١٦٣، ١٦٥، ابن المرتضى: المنية والأمل جـ١ ص١٢

(٤) الفرق بين الفرق ص ٩٨

(٥) محمد ضياء الدين الريس: النظريات السياسية الإسلامية ص٧٩

(٦) الخياط: الانتصار ص٩٧، الأشعرى: مقالات الإسلاميين جـ٢ ص١٤٣، البغدادى: الفرق بين الفرق ص٩٩ ـ ١٠٠، الشهرستانى: المصدر السابق والجزء ص٥٦، زهدى جار الله: المعتزلة ص١٩

(٧) البغدادى: المصدر السابق ص١٠٠، الشهرستانى: المصدر السابق والجزء ص٦٥، الرازى: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص٤٠، ابن المرتضى: المنية والأمل جـ٢ ص١٥٤، ابن تيمية: منهاج السنة النبوية جـ١ ص٦، الذهبى: ميزان الاعتدال جـ٤ ص٣٢٩ (تحقيق: على محمد البجاوى، مطبعة عيسى الحلبى، القاهرة ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٣م).

واستمر المعتزلة بعد واصل فى نظر هذه المسألة، فيقول عمرو بن عبيد: لا أقبل شهادة الجماعة منهم. سواء كانوا من أحد الفريقين أو كان بعضهم من حزب على وبعضهم من حزب الجمل، وقال بتفسيق الفريقين(١).

ويضيف الخياط قوله فى على وأصحاب الجمل: «لقد علمنا أنهم ليسوا بمحقين جميعا، وجائز أن تكون إحدى الفرقتين محقة، والأخرى مبطلة، ولم يتبين لنا من المحق منهم ومن المبطل»(٢).

أما ضرار بن عمرو، وأبو الهذيل العلاف، ومعمر بن عباد السلمى، فقالوا فى خصوص المتحاربين فى موقعة الجمل «نعلم أن أحدهما مصيب والآخر مخطئ، فنحن نتولى كل واحد من الفريقين على الانفراد»(٣)، وأما معاوية بن أبى سفيان فهم له مخطئون غير قائلين بإمامته(٤).

واعتقد النظام وبشر بن المعتمر فى صواب على فى حروبه وخطأ من قاتله: طلحة والزبير وعائشة ومعاوية(٥).

وقد وصف القاضى عبد الجبار كلا من عائشة وطلحة والزبير بأنهم من المخطئين التائبين(٦)، واتهم معاوية بأنه أول من قال بالجبر، وأظهره ليجعله عذراً فيما يأتيه، ويوهم الناس أنه مصيب وأن الله جعله اماما وولاه الأمر، وانتشر ذلك فى ملوك بنى أمية(٧)، وقد استثنى المعتزلة من هذا الحكم السابق فى ملوك بنى أمية، يزيد بن الوليد الملقب بالناقص، وعمر بن عبد العزيز(٨).

---

(١) البغدادى: المصدر السابق ص١٠١، الخطيب البغدادى: تاريخ بغداد جـ١٢ ص ١٧٨، الشهرستانى: المصدر السابق والجزء ص٥٦ ـ ٥٧، الرازى: المصدر السابق والصفحة، الذهبى: المصدر السابق جـ٣ ص٢٧٥، زهدى جار الله: المرجع السابق والصفحة.

(٢) الانتصار ص٩٧ ـ ٩٨

(٣) الأشعرى: مقالات الإسلاميين جـ٢ ص١٤٥

(٤) الأشعرى: المصدر السابق والجزء والصفحة، القاضى عبد الجبار: فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ص١٤٣

(٥) النوبختى: فرق الشيعة ص٤، الأشعرى: مقالات الإسلاميين، جـ٢ ص١٤٥

(٦) المغنى جـ٢٠ قسم ٢ ص ٧٨ وما بعدها.

(٧) القاضى عبد الجبار: المغنى جـ٨ ص٤

(٨) القاضى عبد الجبار: المصدر السابق جـ٢٠ قسم ٢ ص١٥٠

وتكلم المعتزلة فى الإمامة وشروطها، فذكروا أنها تنعقد باختيار الأمة، وحجتهم فى ذلك أن الله عز وجل لم ينص على رجل بعينه، ولا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا اجتمع المسلمون على رجل بعينه[١].

وقد ذهب عامة المعتزلة إلى «أن الإمام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبوبكر ثم عمر ثم عثمان ثم على عليه السلام، ثم من اختارته الأمة، وعقدت له ممن تخلق بأخلاقهم وسار بسيرتهم»[٢].

وقال بعض المعتزلة: إن أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبوبكر، ثم عمر، ثم على، ثم عثمان، وقال البعض الآخر منهم: أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثم أبوبكر[٣].

والواقع أن المعتزلة لم يتقيدوا بشرط القرشية فى الإمامة، إنما اشترطوا فقط أن يكون الإمام قائما بالكتاب والسنة مؤمنا عادلا[٤]، ولكنهم يفضلون القرشي للإمامة عن غيره، يقول النوبختي: «قالت المعتزلة: إذا اجتمع قرشى ونبطى وهما قائمان بالكتاب والسنة ولينا القرشى»[٥].

وقد غلا بعضهم مثل «ضرار بن عمرو الغطفاني» رأى الفرقة الضرارية، فقال بتفضيل غير القرشي[٦]. وقد روى الشهرستانى رأيه فقال: «وزعم ضرار أن الإمامة تصلح فى غير قريش، حتى إذا اجتمع قرشى ونبطى قدّمنا النبطى، إذ هو أقل عدداً وأضعف وسيلة، فيمكننا خلعه إذا خالف الشريعة»[٧].

أما ابن حزم فقد روى رأى ضرار على هذا النحو «وقال ضرار: إذا اجتمع حبشى

---

(١) النوبختى: فرق الشيعة ص١٠، الأشعرى: المصدر السابق والجزء، ص١٤٩ ـ ١٥٥، المسعودى: مروج الذهب جـ٢ ص١٧٥، زهدى جار الله: المعتزلة ص١٩ ـ ٢٠

(٢) القاضى عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة ص ٧٥٨

(٣) الأشعرى: المصدر السابق والجزء، ص١٤٧، ابن حزم: الفصل جـ٤ ص٩٠ ـ ٩١

(٤) النوبختى: فرق الشيعة ص١٠ ـ ١١، المسعودى: مروج الذهب جـ٢ ص١٧٥

(٥) النوبختى: المصدر السابق ص١٠

(٦) الأشعرى: مقالات الإسلاميين جـ٢ ص١٥٣

(٧) الشهرستانى: الملل والنحل جـ١ ص٩٥

وقرشى، كلاهما قائم بالكتاب والسنة فـالواجب أن يقدم الحبشى لأنه أسهل لخلعه اذا حاد عن الطريقة»[1].

ومال بعض المعتزلة الى قول النجدات من الخوارج بأن الإمامة غير واجب نصبها، ومن الذين ذهبوا إلى عدم وجوب نصب الإمامـة هشام بن عمر الغوطى (ت ٢٢٦هـ/ ٨٤٠م)، اذ قال بأن الإمـامة لا تنعـقد فى أيام الفتنـة واختلاف الناس، وإنما يجـوز عقـدها فى حال الاتفاق والسلامة[2].

ومال البعض الآخر من المعتزلة فى مسألة الإمامة إلى آراء الشيعة[3]، وقد مـال بعض المعتزلة أيضا إلى رأى الزيدية من الـشيعة القائل بجواز إمامة المفـضول مع وجود الأفضل، فـيـقـول ابن حـزم: «ذهبـت طوائف من الخـوارج، وطوائف من المعـتـزلة، وطوائف من المرجئة.. وجميع الرافضة من الشيعة إلى أنه لا يجوز إمامة من يوجد فى الناس أفضل منه، وذهبت طائفـة من الخوارج وطائفـة من المعتزلـة، وطائفة من المرجـئة، وجمـيع الزيدية من الشيعة، وجميع أهل السنة الى أن الإمامة جائزة لمن غيره أفضل منه»[4].

ومن المعتزلة الذين جوزوا إمامة المفضول مع وجـود الأفضل متابعين الزيدية من الشيعة جعفر بن مبشر، وجعفر بن حرب[5].

وإذا كان فريق من المعتزلة قد مال إلـى آراء الخوارج فى الإمامة، وفريق ثان قد مال إلى آراء الشيعة فيها، فإن فريقاً ثالثاً قد مال فى الإمامة إلى رأى أهل السنة ومن هؤلاء أبو على الجبائى (ت ٢٩٥هـ/ ٩٠٧م)، وابـنه أبو هاشم (ت ٣٢١هـ/ ٩٣٣م)، وهما رئيسا مـعتزلة البصرة فى عصرهما، وقالا: إن الإمامة تكون بالاخـتيار، وإن الصحابة مترتبون فى الفضل ترتبهم فى الإمامة[6].

وقد كان المعتـزلة يأملون من الخلفاء العباسيـين خيرا بعد إسقاطهم لبنى أمـية، فأسدوا

---

(١) الفصل جـ٤ ص٧٤

(٢) الشهرستانى: المصدر السابق والجزء، ص٧٩

(٣) الشهرستانى: المصدر السابق والجزء ص٦٤، زهدى جار الله: المعتزلة ص٢٠٦

(٤) الفصل جـ٤ ص١٢٦

(٥) الخطيب البغدادى: تاريخ بغداد جـ٧ ص١٦٢ ـ ١٦٣

(٦) الشهرستانى: الملل والنحل جـ١ ص٨٩، أبو الوفاء التفتازانى: علم الكلام وبعض مشكلاته ص ٥٨

إليهم النصيحة، ومن ذلك أن عمرو بن عبيد كان يعظ الخليفة المنصور قائلا: «إن هذا الأمر الذى أصبح فى يدك لو بقى فى يد غيرك ممن كان قبلك لم يصل إليك، فاحذر ليلة تمخض عن يوم لا ليلة بعده»(١)، وكثيراً ما كان ينبهه إلى جور عماله وفسادهم، فيقول: «اتق الله فإن من وراء بابك نيراناً تأجج من الجور ما يعمل فيها بكتاب الله، ولا بسنة رسول الله»(٢).

ومن مبادئ المعتزلة السياسية أن الإمام اذا جار ولم تجد معه النصيحة فإنه يجب على الناس الخروج عليه إذا توفر لهم الإمكان والقدرة(٣)، وقد خرج المعتزلة مع يزيد بن الوليد (ت ١٢٦هـ/ ٧٤٣م) ضد الوليد بن يزيد لما ظهر فسقه وجوره(٤)، وناصروا محمد وإبراهيم ابنى عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب فى خروجهما على أبى جعفر المنصور(٥).

وقد كان رأى المعتزلة فى الإمامة ينعقد لصالح بنى العباس وحدهم، فهذه الفرقة قد اعتبرت الأمة فى فتنة منذ مقتل عثمان إلى أن تولاها العباسيون، وبالتالى كانت فى عداء مع الأمويين(٦).

وكيفما كان الأمر فأن المعتزلة لم يعملوا على تأسيس دولة لهم كما كان ذلك بالنسبة للخوارج والشيعة، ولكنهم كانوا يدافعون عن العقيدة الإسلامية ضد التيارات والعقائد التى تهدف إلى إفسادها، وكان لهم رأى فى أكثر المسائل السياسية المعاصرين لها، وفى نصيحة الحكام.

---

(١) ابن قتيبة الدينورى: عيون الأخبار جـ٢ ص٣٣٧، الخطيب البغدادى: المصدر السابق جـ٢ ص١٦٦ ـ ١٩٨، ابن خلكان: وفيات الأعيان جـ٣ ص٤٦١

(٢) الشريف المرتضى: أمالى المرتضى جـ١ ص١٧٤ ـ ١٧٥

(٣) الأشعرى: مقالات الإسلاميين جـ٢ ص١٥٧

(٤) المسعودى: مروج الذهب جـ٢ ص١٧٦ ـ ١٧٧

(٥) أبو القاسم البلخى: فضل الاعتزال ص١٧، الأشعرى: المصدر السابق جـ١ ص١٥٤، البغدادى: الفرق بين الفرق ص٢٣١، الشريف المترتضى: أمالى المرتضى، جـ١، ص١٦٩، ابن المرتضى: المنية والأمل جـ١ ص٤١ ـ ٤٢

(٦) النوبختى: فرق الشيعة ص٥ ـ ٦، عبد المنعم ماجد: العصر العباسى الأول جـ١ ص٣٦٠

الفصل الثالث

(أثر المعتزلة فى الحياة الفكرية)

١ - موقف المعتزلة من الكتاب والسنة
٢ - المعتزلة والفقهاء
٣ - المعتزلة وحركة الترجمة عن الفكر الإغريقى
٤ - المعتزلة والحياة الأدبية
٥ - أشهر علماء المعتزلة فى بغداد

١. موقف المعتزلة من الكتاب والسنة

خالف المعتزلة السلف فى فهم العقائد، وكانت طريقتهم فى فهمها عقلية خالصة، وعملوا على تطبيق الأحكام العقلية على العقائد الدينية[(١)]، وكانت مدرستهم من أكبر المدارس العقلية فى الإسلام، واعتبروا حجة العقل مصدر المعرفة[(٢)].

كانت أصول المعتزلة الخمسة وما تفرع عنها من آراء القاعدة الأساسية فى محاوراتهم مع النصوص. سواء كان قرآناً أو سنة، فكان ما يعارض مبادئهم من آيات يؤولونها، وما يعارضها من أحاديث ينكرونها[(٣)] ويوضح القاضى عبد الجبار فى تصنيفه للأدلة أنه: (أولها العقل. لأنه يميز بين الحسن والقبيح، ولأن به يعرف أن الكتاب حجة وكذلك السنة والإجماع)[(٤)].

وحَمَّلَ المعتزلة العقل مسئولية معرفة الله تعالى بجميع أحكامه وصفاته قبل ورود السمع[(٥)]، ويعنى المعتزلة بالسمع: الكتاب والسنة[(٦)].

موقف المعتزلة من القرآن وإعجازه

قال النّظام: إن نظم القرآن وحسن تأليف كلماته ليس بمعجزة للنبى ـ صلى الله عليه

---

(١) الأشعرى: مقالات الإسلاميين، جـ١ ص٢٣٥ ـ ٢٣٦، محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، جـ٣ ص١٤٨ ـ ١٤٩ (الفكر العربى ١٩٧١م) جرجى زيدان: تاريخ التمدن الإسلامى، جـ٣ ص١٥٨ (مراجعة وتعليق: د.حسين مؤنس، مطابع دار الهلال، ١٩٥٨م) الموسوعة الفلسفية المختصرة، ص ٣٢٨

(٢) يقول القاسم الرسى: ثلاث حجج احتج بها المعبود على العباد وهى العقل، والكتاب والرسول، والعقل أصل الحجتين الأخيرتين لأنهما عرفا به ولم يعرف بهما (أصول العدل والتوحيد، ص٦٩ ضمن رسائل العدل والتوحيد، جـ١).

(٣) القاضى عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة، ص٢١٢ وما بعدها، أحمد أمين: ضحى الإسلام، جـ٣، ص٨٥، زهدى جار الله: المعتزلة، ص٢٩

(٤) فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، ص١٣٩

(٥) الشهرستانى: الملل والنحل، جـ١، ص٥٩

(٦) القاضى عبد الجبار: المغنى، جـ١٤، ص١٥١ (تحقيق: مصطفى السقا، القاهرة ١٩٦٥)، شرح الأصول الخمسة، ص١٤٢

وسلم ـ، ولا دلالة على صدق دعواه النبوة، وإنما أوجه الدلالة منه على صدقه ما فيه من الإخبار عن الغيوب، وأما نظم القرآن وحسن تأليف آياته فإن العباد قادرون على مثله، لولا أن الله منعهم بمنع وعجز أحدثهما فيهم، وهو ما عرف عندهم بالصرفة(١).

وقال عيسى المرداد: إن الناس قادرون على مثل القرآن فصاحة ونظماً وبلاغة(٢)، ويتحدث الجاحظ عن معجزة الرسول، وأنها قائمة فى القرآن الكريم الذى هو معجزته الكبرى الخالدة، ويقيم الدليل على هذا بما عرف من تحدى القرآن للعرب(٣).

ويقرر القاضى عبد الجبار صحة القرآن وتواتر نقله، وأنه لم يطرأ عليه أى تحريف أو تبديل(٤)، وأن إنزاله بلغة العرب يدل على أن أهل اللغة يمكنهم الوصول إلى معرفته(٥)، وأن العرب تركت معارضة القرآن حين أحسوا من أنفسهم العجز عن الإتيان بمثله(٦)، وأنه صلى الله عليه وسلم قد تحدى بالقرآن من حيث تضمن الإخبار عن الغيوب(٧)، وأن الإعجاز قد ذكر فى القرآن على وجهين: أحدهما اعجاز متعلق بفصاحته، والثانى بصرف الناس عن معارضته(٨).

ويوضح الزمخشرى أن الله أنزل كتابه مختصاً من بين الكتب السماوية بصفة البلاغة(٩).

---

(١) ابو القاسم البلخى: فضل الاعتزال، ص٧٠، الأشعرى: مقالات الإسلاميين، جـ١، ص٢٩٦، البغدادى: الفرق بين الفرق، ص ١٢٨، الشهرستانى: الملل والنحل، جـ١، ص٦٤

(٢) الشهرستانى: المصدر السابق والجزء، ص٧٦

(٣) رسائل الجاحظ، جـ٣، ص٢٢٣ ـ ٢٨١، ٢٩٠ ـ ٢٩١ (تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجى، مصر، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤م).

(٤) يتحدث القاضى عبد الجبار عن النسخ فى القرآن، والأحكام التى يصح فيها النسخ أو لا يصح أن تقع فيها نسخ، ثم يتعرض لإعجاز القرآن (المختصر فى أصول الدين، ص٢٣٩ ضمن رسائل العدل والتوحيد، جـ١).

(٥) القاضى عبد الجبار: المغنى، جـ١٦، ص٣٦٥ (تحقيق: أمين الخولى، القاهرة، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م)، تنزيه القرآن عن المطاعن، ص٦ (المطبعة الجمالية بمصر، ١٣٢٩هـ).

(٦) القاضى عبد الجبار: المختصر فى أصول الدين، ص٢٣٩، شرح الأصول الخمسة، ص ٥٨٨ ـ ٥٩١

(٧) القاضى عبد الجبار: المغنى، الجزء السابق، ص٢٢٠

(٨) القاضى عبد الجبار: تنزيه القرآن عن المطاعن، ص٤٢٩، شرح الأصول الخمسة، ص٥٨٦

(٩) مقدمة كتاب أساس البلاغة، (مطبعة مصطفى البابى الحلبى بمصر، ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م).

تأويل المعتزلة للقرآن

قسم المعتزلة آيات القرآن إلى محكم ومتشابه، واختلفوا في تفسير محكم القرآن ومتشابهه[^١]، وفسروا المتشابة على ضوء المحكم من الأصول التي جاء بها القرآن[^٢]، واوّلوا القرآن حتى يناسب مذهبهم ونحلتهم[^٣].

كانت نظرتهم في توحيد الله نظرة في غاية السمو والرفعة، فطبقوا قوله تعالى (ليس كمثله شئ)[^٤]، وأولوا ما يخالف هذا المبدأ، وهم أمام النقل يسلّمون بما يوافق البرهان العقلي ويؤولون ما يخالفه، فالعقل هو الحكم بين الآيات المتشابهات[^٥].

فعند الامام القاسم الرسي أن منزلة المحكم من المتشابه هي منزلة الأصل من الفرع، ومن ثم فإن مرجع الفروع الى الأصول، ومرجع المتشابه الى المحكم، فيجب الرجوع الى المحكمات من الآيات والإيمان بالمتشابهات[^٦]، أما الإمام يحيى بن الحسين[^٧]، فإنه يقول:

---

(١) فسر كل من واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد المحكم والمتشابة من خلال نظر عقلي في مشكلة (العقاب للفاسق)، وفسر أبو بكر الأصم المحكمات بأنها الحجج الواضحة التي لا حاجة لمن يتعمد إلى طلب معانيها كنحو ما أخبر الله سبحانه عن الأمم التي مضت ممن عاقبها، أما المتشابهات هو ما أنزال الله من أنه يبعث الأموات ويأتي بالساعة وينتقم ممن عصاه. (الأشعري، مقالات الإسلاميين، جـ١، ص٢٩٣ ـ ٢٩٤، النشار: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، جـ١، ص٤٢٩ ـ ٤٣٠). ويقول القاضي عبد الجبار: المحكم هو ما أحكم المراد بظاهره، والمتشابه ما لم يحكم المراد بظاهره (شرح الأصول الخمسة، ص٦٠٠).

(٢) الأشعري: مقالات الإسلاميين، جـ١، ص٢٩٣، أحمد أمين: ضحى الإسلام، جـ٣، ص٦٩، محمد عمارة: مقدمة كتاب رسائل العدل والتوحيد، جـ١، ص٣٣

(٣) زهدي جار الله: المعتزلة، ص ٢٤٨

(٤) سورة الشورى: آية ١١

(٥) الأشعري: المصدر السابق والجزء، ص٢٣٥ ـ ٢٣٦، أحمد أمين: المرجع السابق والجزء، ص ٦٨ ـ ٦٩

(٦) كتاب أصول العدل والتوحيد (ضمن رسائل العدل والتوحيد) جـ١، ص٩٦ ـ ٩٧

(٧) أورد الإمام يحيى بن الحسين عددا من الأمثلة التوضيحية للآيات المحكمة والمتشابهة، فمن الآيات المحكمة قوله تعالى: (ولم يكن له كفوا أحد) سورة الإخلاص، آية ٤، (ليس كمثله شئ) سورة الشورى آية١١، (لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار) سورة الأنعام آية ١٠٣، ومن الآيات المتشابهة قوله تعالى: (فمن كان يرجو لقاء ربه) الكهف آية ١١٠، (المحكم والمتشابه، ص١٠٧، ضمن رسائل العدل والتوحيد، جـ٢، تحقيق: محمد عمارة).

«ان القرآن محكم ومتشابه، ... فإذا فهم الرجل ذلك أخذ حينئذ بمحكم القرآن وأقر بمتشابهه، أنه من الله».

أ.تأويل الآيات التى تثبت الرؤية:

نفى المعتزلة أن يرى الله سبحانه وتعالى يوم القيامة، لأن الرؤية تقضى الجسمية، وتوجب مشابهة الله للمخلوقات(١)، وقالوا: لو كان الله جسما لصح أن يرى(٢) وقد تأولوا الآيات الواردة فى القرآن التى تدل على الرؤية مثل قوله تعالى: «وجوه يومئذ ناضرة، الى ربها ناظرة» (٣)، فقالوا: إن النظرة هنا بمعنى الانتظار، و أن تقديم المفعول به (الى ربها) يفيد الاختصاص بمعنى أن هذه الوجوه تنظر الى ربها خاصة ولا تنظر الى غيره(٤)، ويذكرون على ذلك شواهد من القران مثل قوله تعالى: «فناظرة بم يرجع المرسلون» (٥)، وشواهد من كلام العرب(٦)، ويفرق القاضى عبد الجبار بين النظر والرؤية بقوله: إنا نعلم أن الجماعة ناظرة الى الهلال ولا نعلمها رائية له، فالنظر غير الرؤية(٧).

(١) الأشعرى: مقالات الإسلاميين، جـ١، ص ٢٣٨، ابن تيمية: بيان موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول، جـ١، ص١٤٧ (طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ)، محمد أبو زهرة: أحمد ابن حنبل، ص١٦٣

(٢) القاضى عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة، ص٢٣٣

(٣) سورة القيامة، آية٢٢، ٢٣

(٤) الأشعرى: الابانة عن أصول الديانة، ص٢٥ - ٢٦، القاضى عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة، ص٢٤٥، النيسابورى: ديوان الأصول، ص٦٠٤ (تحقيق: محمد عبد الهادى أبو ريدة، مطبعة دار الكتب. ١٩٦٩م)، الزمخشرى: الكشاف، جـ٤، ص١٩٢ (مطبعة مصطفى الحلبى، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٦٦م) الإمام القاسم الرسى: كتاب العدل والتوحيد، ص١٠٥ (ضمن رسائل العدل والتوحيد، جـ١)، الإمام يحيى بن الحسين: الزكاة، ص ١٠٨ (ضمن رسائل العدل والتوحيد، جـ٢).

(٥) سورة النمل، آية ٣٥

(٦) مثل قول الشاعر:

وجوه يوم بدر ناظرات   إلى الرحمن يأتى بالخلاص

وعلى ذلك يفهمون الآية كأن الله تعالى قال: وجوه يومئذ ناظرة، نعمة ربها منتظرة (القاضى عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة، ص٢٤٥، المختصر فى أصول الدين، ص١٩٠ (ضمن رسائل العدل والتوحيد، جـ١)، النيسابورى: المصدر السابق، والصفحة.

(٧) المغنى، جـ٤، ص ١٩٨ (تحقيق: محمد مصطفى حلمى، أبو الوفاء التفتازانى، القاهرة، ١٩٦٥م)، شرح الأصول الخمسة، ص٢٤٥

وفى تفسيرهم لقوله تعالى: «فمن كان يرجو لقاء ربه»[1]، يقولون إن حقيقة اللقاء ليست هى الرؤية، بل ملاقاة جسمين، وبأن اللقاء يستعمل فى اللغة حيث لا تستعمل الرؤية، فمثلا يقال: «رأيت فلاناً وما لقيته، والكفيف يقول لقيت فلانا ولا يقول رأيته»[2]، وأن المراد بلقاء الله، هو لقاء ملائكته وثوابه، وقد ذكر الله نفسه وأراد غيره[3].

وهناك دليل آخر يستدل به المعتزلة على عدم جواز الرؤية وهو قوله تعالى: «لن ترانى، ولكن انظر الى الجبل فإن استقر مكانه فسوف ترانى»[4] فنفى أن يراه، وأكد ذلك بأن علقه باستقرار الجبل، فظاهر الآية يدل على أن الله لا يرى فى الدنيا ولا فى الآخرة[5].

ويرى الجاحظ[6] أن الله استعظم الرؤية استعظاماً شديدا، وغضب على من طلب ذلك واراده، ثم عذب عليه.

ويقول الزمخشرى فى تفسير الآية: «رب أرنى أنظر إليك»[7] ، أى بمعنى أعرفك معرفة اضطرار كأنى انظر اليك[8]، وحين تعلق مثبتو الرؤية بقوله تعالى: «كلا إنهم عن ربهم

---

(١) سورة الكهف، آية ١١٠

(٢) الإمام يحيى بن الحسين: المحكم والمتشابه، ص ١٠٨ (ضمن رسائل العدل والتوحيد، جـ٢)، النيسابورى: ديوان الأصول، ص٦١١، القاضى عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة، ص٢٦٥

(٣) يقول القاضى عبد الجبار: ولو كان اللقاء بمعنى الرؤية، لم يختلف الحال فيه بالمؤمنين والمنافقين، وقد قال الله تعالى: «فأعقبهم نفاقا فى قلوبهم إلى يوم يلقونه» (سورة التوبة آية ٧٧)، فيجب أن يدل على أن المنافقين يرونه (شرح الأصول الخمسة، ص٢٦٦).

(٤) سورة الأعراف، آية ١٤٣

(٥) النيسابورى: المصدر السابق والصفحة، القاضى عبد الجبار: المصدر السابق، ص٢٦٤ ـ ٢٦٥، المغنى، جـ٤، ص١٦١ ـ ١٦٢

(٦) قال الله تعالى: «يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا: أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة» (سورة النساء، آية ١٥٣)، ويتساءل الجاحظ: إذا كان الله تعالى يجوز أن يكون مرئيا، وببعض الحواس مدركا، وكان ذلك جائزا فالقوم إنما سألوا أمراً ممكنا، فلماذا غضب الله هذا الغضب، واستعظم سؤالهم هذا الاستعظام، وضرب به المثل، وجعله غاية فى الجرأة وفى الاستخفاف بالربوبية؟ (رسائل الجاحظ، جـ٤، ص١٠ (الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجى، مصر) الأشعرى: الإبانة عن أصول الديانة، ص٣١

(٧) سورة الأعراف، آية ١٤٣

(٨) الكشاف، جـ٤، ص١١٦ (مطبعة البابى الحلبى، الطبعة الثالثة، ١٩٦٦م)

يومئذ لمحجوبون»[1]، وقالوا: إذا كان الكفار محجوبين عن الله، وجب في المؤمنين أن يكونوا غير محجوبين، ووجب أن يروا الله، قالت المعتزلة: إن المراد: كلا إنهم عن ثواب ربهم لمحجوبون[2].

ب. تأويل آيات التجسيم والتشبيه:

تأول المعتزلة قوله تعالى وجاء ربك»[3] فقالوا: أي جاء رسل ربك، ومتحملو أمره للمحاسبة والفصل، على ما يقال في اللغة عند النتازع في الأمر الذي يرجع فيه الى بعض الكتب: (اذا جاء الشافعي فقد كفانا، ويراد بذلك كتابه، وإذا جاء الخليل في العروض انقطع الكلام، والمراد كلامه في ذلك)[4].

وقد نفى المعتزلة التجسيم والتشبيه عن الله تعالى، فتأولوا الايات التي تثبت أن لله وجه، وقالوا: بذلك ذاته، وقد يذكر الوجه ويراد به نفس الشئ كما يقال: هذا وجه الطريق، ووجه الرأي[5]، وقد أورد المعتزلة عدة آيات من كتاب الله تعالى تتضمن كلمة (الوجه) منها قوله تعالى: «كل شئ هالك إلا وجهه)[6]، وقالوا: ان المراد بذلك إلا هو، فليس للمشبهة تعلق بذلك، ويلزمهم إن أثبتوا لله وجهاً ويداً أن يقولوا إن سائره يفنى ويبقى وجهه، وليس ذلك مما يعتقده مسلم[7].

وقالوا في تفسير قوله تعالى: «وقالت اليهود يد الله مغلولة، غلت أيديهم ولعنوا بما

---

(١) سورة المطففين، آية ١٥

(٢) النيسابوري: ديوان الأصول، ص٦١٢ ـ ٦١٣، القاضي عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة، ص٢٦٧

(٣) سورة الفجر، آية٢٢

(٤) الجاحظ: رسائل الجاحظ، جـ٤، ص١٥، القاضي عبد الجبار: تنزيه القرآن عن المطاعن، ص ٤٨ (دار النهضة الحديثة، بيروت، بدون تاريخ)، متشابه القرآن، ص٦٨٩ (تحقيق: عدنان محمد زرزور، دار التراث، القاهرة، ١٩٦٦م)، شرح الأصول الخمسة، ص٢٩٩، المغني، جـ١٦، ص٣٨٠، القاسم الرسي: كتاب العدل والتوحيد ص ١٠٨ (ضمن رسائل العدل والتوحيد، جـ١)

(٥) الأشعري: الإبانة عن أصول الديانة، ص ٧٨ ومابعدها، مقالات الإسلاميين، جـ١، ص٢٦٦، القاضي عبد الجبار: متشابه القرآن ص١٠٥، المغني، جـ٤، ص٢٠٤

(٦) سورة القصص، آية ٨٨

(٧) القاضي عبد الجبار: تنزيه القرآن عن المطاعن، ص٣١٢، شرح الأصول الخمسة، ص٢٢٧، القاسم الرسي: المصدر السابق والجزء ص١١٠

قالوا، بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء»(١)، والمراد بذلك أن: نعمتيه مبسوطتان على العباد، وأراد به نعمة الدين والدنيا، والنعمة الظاهرة والباطنة، وقد يعبر باليدين عن النعمة، فيقال: لفلان عندى يد وأياد جسيمة(٢)، وامتنع المعتزلة عن القول بأن لله يداً كالأيدى، وقالوا إن تأويل هذه الآية وأشباهها إما القدرة أو النعمة(٣)، وأوضحوا أن تأويل قوله تعالى: «الرحمن على العرش استوى»(٤) أى أنه استولى واقتدر، وأن الاستواء بمعنى الاستيلاء والغلبة، ولم يرد أنه تمكن على العرش جالسا، وهكذا كما يقال فى اللغة: استوى البلد للأمير، واستوت المملكة لفلان(٥).

ج. تأويل الآيات التى تقول بالجبر والقدر:

امتنع المعتزلة عن القول بأن الله خالق أفعال العباد لينفوا عنه تعالى الظلم والقبح(٦)، وأنه تعالى يريد من عباده جميعا الطاعات ويكره المعاصى(٧) وتأولوا الآيات التى تقول بذلك مثل قوله تعالى: «صنع الله الذى أتقن كل شئ»(٨)، فقالوا: لم يكن الكفر بمتقن ولا

(١) سورة المائدة، آية ٦٤

(٦) ذكر المعتزلة عدة آيات من هذا القبيل، دفعوا فيها شبهة التجسيم، وأرادوا من اليد القدرة والقوة، لأنها أقوى آلات العمل وسبب فيها. (القاضى عبد الجبار: متشابه القرآن، ص٢٣٠، شرح الأصول الخمسة، ص ٢٢٨، تنزيه القرآن عن المطاعن، ص٣٥٠، المختصر فى أصول الدين، ص ١٨٨ (ضمن رسائل العدل والتوحيد، جـ١)، الزمخشرى: الكشاف، جـ١، ص٢٢

(٧) القاسم الرسى: كتاب العدل والتوحيد، ص١٠٧ (ضمن رسائل العدل والتوحيد، جـ١)، الأشعرى: المصدر السابق، ص٧٩ ـ ٨٠، مقالات الإسلاميين، جـ١، ص٢٧١، القاضى عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة، ص ٢٢٨، ابن قيم الجوزية: اجتماع الجيوش الإسلامية، ص١١٩ (طبعة دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤٠١هـ).

(٤) سورة طه، آية ٥

(٥) الأشعرى: الإبانة، ص٧٠ ـ ٧٠، أبو رشيد النيسابورى: ديوان الأصول، ص٥٩٩، القاضى عبد الجبار: متشابه القرآن، ص٧٤، تنزيه القرآن عن المطاعن، ص٢٥٣، شرح الأصول الخمسة، ص٢٢٦، المختصر فى أصول الدين، ص١٨٦، الزمخشرى: الكشاف، جـ١، ص١٢٦، ابن قيم الجوزية: اجتماع الجيوش الإسلامية، ص١١٧

(٦) ابن حزم: الفصل، جـ٣، ص٥٦

(٧) الأشعرى: المصدر السابق، ص١٠١ ـ ١٠٢، البغدادى: أصول الدين، ص١٤٧ (القاهرة، ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م) الشهرستانى: نهاية الإقدام، ص٢٥٤ (اكسفورد، ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م).

(٨) سورة النمل، آية ٨٨

بمحكم، فعلمنا أنه ليس من صنعه، وقال عز وجل: «ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت»[١]، فلما كان الكفر متفاوتا متناقضا، علمنا أنه ليس من خلقه[٢].

وتأول المعتزلة قوله تعالى:«خالق كل شئ»[٣]، و(خلق كل شئ)[٤]، بقولهم: إنما أراد به خلق السموات والأرض والليل والنهار والجن والإنس وما أشبه ذلك، ولم يرد أنه خلق الكفر والظلم والكذب، أو لم يجز أن يكون ظالماً ولا كاذباً عز وجل[٥]، وأن المتعارف فى استعمال هذه اللفظة قد جرى بمعنى التكثير والمبالغة، كقوله تعالى:«وأوتيت من كل شئ»[٦]، و«ما فرطنا فى الكتاب من شئ»[٧]، و«تدمر كل شئ»[٨]، و«يجبى إليه ثمرات كل شئ»[٩]، وكقول الرجل: أكلنا كل شئ، وعندنا كل خير، وعلى هذا خاطب الله عز وجل العرب[١٠]، وكقول القائل أتانى الناس، ولعله لا يكون أتاه إلا خمسة فاستكثرهم، وبالغ فى العبارة[١١].

وفى قوله تعالى: «والله خلقكم وما تعملون» [١٢]، قالوا: إنما أخبر الله عن إبراهيم عليه السلام، فيقول: نحتم خشباً ثم عبدتموه، فالله خلقكم وخلق الخشب الذى عملتموه صنما، فسمى الصنم الذى عملوه عملا لهم، على نحو ما يقول أهل اللغة: فلان يعمل الأثواب

---

(١) سورة الملك، آية ٣

(٢) القاضى عبد الجبار: متشابه القرآن، ص٦٦١، شرح الأصول الخمسة، ص ٣٥٨، الشريف المرتضى إنقاذ البشر من الجبر والقدر، ص٢٧٤ (ضمن رسائل العدل والتوحيد، جـ١).

(٣) سورة الأنعام، آية ١٠٢

(٤) سورة الفرقان، آية ٢

(٥) القاضى عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة، ص ٣٥٨، الشريف المرتضى: إنقاذ البشر من الجبر والقدر، ص٢٩٣

(٦) سورة النمل، آية ٢٣

(٧) سورة الأنعام، آية ٣٨

(٨) سورة الأحقاف، آية ٢٥

(٩) سورة القصص، آية ٥٧

(١٠) القاضى عبد الجبار: متشابه القرآن، ص٢٥١ ـ ٢٥٢، القسم الأول.

(١١) الرمانى: النكت فى إعجاز القرآن، ص١٠٤ (ضمن ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله أحمد، ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، الطبعة الثانية، مصر، ١٩٦٨).

(١٢) سورة الصافات، آية ٩٦

والحصر، وانما أراد الأصنام التى عملوا فيها النحت[١].

ويذكر المعتزلة، أدلتهم التى تثبت مسئولية الانسان عن فعله[٢]، مثل قوله تعالى: «كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم»[٣]، وقوله تعالى: «فمالهم لا يؤمنون»[٤]، وقوله تعالى: «هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن»[٥]، يقول القاضى عبد الجبار: وقد أورد الله الآيات على وجه التوبيخ، وذلك لا يحسن الا بعد تعلق الكفر والإيمان بنا، وإلا كان ذلك بمنزلة أن يوبخ أحدنا على طول قامته وقصرها، فيقال قد أنعمنا عليك، فقصرت قامتك أو طالت [٦].

يستدل المعتزلة على نفى إرادة الله للقبيح والكفر بقوله تعالى: و«ما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون»[٧]، ويقول الزمخشرى: «إنما أراد الله منهم أن يعبدوه مختارين للعبادة لا مضطرين اليها، لأنه خلقهم ممكنين فاختار بعضهم ترك العبادة مع كونه مريداً لها، ولو أرادها على القصر والإلجاء لوجدت من جميعهم»[٨]، وتبرأ الله من المشركين فى قوله تعالى: «إن الله برئ من المشركين ورسوله»[٩]، يدل عند المعتزلة على تعلق الشرك بفاعله ومسؤليته عنه لأنه لا يجوز أن يتبرأ منهم لأجل شركهم إلا وهم فاعلون له»[١٠].

موقف المعتزلة من السنة:

ذهب المعتزلة فى تقدير العقل بعيدا، فقالوا: إذا تعارض النقل والعقل وجب تقديم العقل لأنه أساس النقل[١١]، وكان موقفهم من الحديث كثيراً ما يكون موقف المتشكك فى

(١) القاضى عبد الجبار: المغنى، جـ٨، ص ٣٠٨، شرح الأصول الخمسة ص٣٨٢، الشريف المرتضى: إنقاذ البشر من الجبر والقدر، ص٢٩٤، (ضمن رسائل العدل والتوحيد، جـ١).
(٢) القاضى عبد الجبار: المغنى، جـ٨، ص٢٦١
(٣) سورة البقرة، آية ٢٨
(٤) سورة الانشقاق، آية ٢٠
(٥) سورة التغابن، آية ٢
(٦) شرح الأصول الخمسة، ص٣٦٢
(٧) سورة الذاريات، آية ٥٦
(٨) الكشاف، جـ٤، ص٢١ (مطبعة مصطفى البابى الحلبى، الطبعة الثالثة، ١٩٦٦م).
(٩) سورة التوبة، آية ٣
(١٠) القاضى عبد الجبار، المغنى، جـ٨، ص٢٦٣
(١١) ابن قيم الجوزية: مختصر الصواعق المرسلة، جـ١، ص١٣٣، محمد عمارة: الإسلام والمستقبل، ص٢٥٠ (طبعة دار الشروق، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م).

صحته، وأحيانا موقف المنكر له. لأنهم يحكمون العقل في الحديث. لا الحديث في العقل[1].

شن المعتزلة على الحديث والمحدثين هجوما عنيفا، وكذبوا رواة الأحاديث التى لا توافقهم، ولا سيما أحاديث الرؤية والصفات والقدر[2]، وطعنوا فى هؤلاء الرواة[3]، وتمتلئ كتب المعتزلة بأحاديث توحى بالاختيار[4]، أما الأحاديث التى توحى بالجبر فان المعتزلة حكموا بعدم الأخذ بها باعتبارها رواية آحاد[5]، وقالوا إن خبر الواحد لا يؤخذ به فى أصول العلم[6]، وحين يقبلوا خبر الواحد فلا يروونه بصيغة الجزم، وإنما يروونه بصيغة التمريض[7]، ويرى القاضى عبد الجبار أنه لا يحسن أن يقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل الواجب أن يقال: روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم[8].

وذهب المعتزلة الى جواز وقوع الكذب فى خبر المتواتر من الحديث[9]، وكذلك يؤول

---

(١) القاضى عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة، ص٢٦٩، أحمد أمين: ضحى الإسلام، جـ٣، ص٨٥

(٢) زهدى جار الله: المعتزلة، ص ٢٤٨

(٣) ابن تيمية: منهاج السنة النبوية، جـ٢، ص١٠٣ (طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ).

(٤) القاضى عبد الجبار: المصدر السابق، ص٧٧٥، المغنى، جـ ٨، ص٢٦٣ ـ ٢٦٤

(٥) خبر الآحاد هو ما رواه واحداً أواثنان أو ثلاثة فأكثر دون بلوغ عدد التواتر، وقد اشترط العلماء فى راويه لقبولة العدالة والضبط، وتقوم به الحجة على أهل العلم، ويوجب العمل عند جماعة علماء الأمة (الشافعى: الرسالة، ص١٥٩ ـ ١٦٠ (الطبعة الثانية، مطبعة مصطفى الحلبى، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، تحقيق: محمد سيد كيلانى)، القاضى عبد الجبار: المغنى، جـ ٨، ص٣٣٢، البغدادى: الفرق بين الفرق، ص١٦٥، ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله، جـ٢، ص٣٣ (المطبعة المنيرية بمصر، ١٣٤٦هـ)، ابن حجر العسقلانى: فتح البارى، جـ١٦، ص٣٦٠

(٦) الخياط: الانتصار، ص ٦٨، النيسابورى: ديوان الأصول، ص٦١٣، القاضى عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة، ص٢٦٩، ابن قيم الجوزية: مختصر الصواعق المرسلة، جـ٢، ص٤٠٦

(٧) القاضى عبد الجبار: فضل الأعتزال، ص٧١، ١٨٦

(٨) القاضى عبد الجبار: المغنى، جـ٧، ص٣٨٣ ـ ٣٨٥ (تحقيق: أمين الخولى، القاهرة، ١٩٦٢م).

(٩) المتواتر: هو ما نقله من يحصل العلم بصدقهم ضرورة، وهو إجماع تنقله الكافة عن الكافة، وهو من الحجج القاطعة للأعذار إذا لم يوجد هناك خلاف، ومن رد إجماعهم فقد رد نصا من نصوص الله يجب استتابته عليه وإراقة دمه إن لم يتب لخروجه عما أجمع عليه المسلمون، وسلوكه غير سبيل جميعهم. (البغدادى: الفرق بين الفرق، ص ١٢٨، ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله، جـ٢، ص٣٣ ـ ٣٤، السيوطى: تدريب الراوى، جـ٢، ص١٥٩ (دار الكتاب العربى، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، تحقيق: أحمد عمر هاشم، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م).

المعتزلة الأحاديث التى وردت ويفيد ظاهرها الرؤية على أن الرؤية بمعنى العلم[١]، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (انكم سترون ربكم عيانا)[٢]، ويقول القاضى عبد الجبار: إن الرسول أراد بقوله (ترون ربكم)، تعلمون ربكم، ويوضح ذلك قوله جل وعز: «ألم ترى كيف فعل ربك بعاد»[٣]، و«ألم ترى كيف فعل ربك بأصحاب الفيل»[٤]، ويكون المراد بقوله صلى الله عليه وسلم (ترون ربكم)، تعلمون ربكم[٥]، وقالوا إن رؤية الله ممتنعة ولا يراه كافر ولا مؤمن[٦].

وقد أنكر المعتزلة شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم يوم القيامة لأهل الكبائر من الأمة الإسلامية، وقالوا: يشفع النبى صلى الله عليه وسلم الى الله عز وجل فى أن يزيد المؤمنين من فضله لا فى أن يدخلهم جناته[٧]، وجعل القاضى عبد الجبار[٨] الشفاعة لأهل الثواب دون أهل العقاب، ولأولياء الله دون أعدائه، مستدلاً على ماذهب اليه بقوله تعالى: «ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع»[٩]، ومن حق الشافع أن يكون محباً لمن يشفع له راضيا عنه[١٠]، وبموقفهم هذا يكونون قد أنكروا أمراً أثبت بالسنة الصحيحة[١١].

---

(١) الأشعرى: الإبانة عن أصول الديانة، ص٣١، ابن فورك: مشكل الحديث وبيانه، ص٨٩ (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٠هـ/ ١٩٩٨٠م)، الزمخشرى: الكشاف، جـ٢، ص١٦٦

(٢) البخارى: صحيح البخارى، جـ٢، ص١٧٢، ١٩٢، جـ١٧، ص١٩٩٦ (على هامش فتح البارى العسقلانى، مطبعة مصطفى البابى الحلبى، القاهرة، ١٣٧٨هـ).

(٣) سورة الفجر، آية ٦

(٤) سورة الفيل، آية ١

(٥) القاضى عبد الجبار: المغنى، جـ٤، ص٢٣١، شرح الأصول الخمسة، ص٢٧٠ ـ ٢٧١، النيسابورى: ديوان الأصول، ص٦١٦

(٦) ابن فورك: مشكل الحديث، وبيانه، ص٢٥٠

(٧) الأشعرى: مقالات الإسلاميين، جـ٢، ص١٦٦، الإبانة عن أصول الديانة، ص١٣٩، القاضى عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة، ص٦٩٠، ابن حزم، الفصل، جـ٤، ص٥٣

(٨) فضل الاعتزال، ص٢٠٧

(٩) سورة غافر، آية ١٨

(١٠) القاضى عبد الجبار: المصدر السابق والصفحة.

(١١) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى» (مسلم: صحيح مسلم، جـ١، ص١٩٥، الطبعة الأولى، عيسى الحلبى، ١٣٧٤)، البخارى: صحيح البخارى، جـ٨، ص١٩٥

واختلف المعتزلة فى تصورهم للنبوة، فقال بعضهم: هى ثواب وجزاء، وقال آخرون: ليست بجزاء ولا ثواب[1].

وأنكر النظام ما روى عن معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم[2]، وأنكر المعتزلة عذاب القبر[3]، ويورد القاضى عبد الجبار حجة المنكرين لعذاب القبر فيقول: «ان الميت لما يدفن لا يسمع ولا يبصر ولا يدرك فكيف يجوز عليه المسألة والمعاقبة مع الموت، وأنكر مشايخنا عذاب القبر فى كل حالة»[4]. وهذا مخالف صراحة لما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [5].

وأنكر المعتزلة أيضا الحوض والميزان[6]، وقالوا: ان الصراط هو الأدلة على الطاعات التى من تمسك بها نجا وأفضى الى الجنة، والأدلة الدالة على المعاصى التى من ركبها هلك واستحق من الله النار[7].

واستهزأ الجاحظ بما روى أن الحجر الأسود كان أبيض فسوده المشركون، فقال: كان يجب أن يبيضه المسلمون حين أسلموا[8].

---

(١) ممن قال بأنها جزاء على عمل، عباد بن سليمان، وممن قال: إنها ابتداء أبو على الجبائى (الأشعرى: مقالات الإسلاميين، جـ١، ص٢٩٧، جـ٢، ص١٣٧).

(٢) أنكر النظام انشقاق القمر، وتسبيح الحصا فى يد الرسول، ونبوع الماء بين أصابعه (البغدادى: الفرق بين الفرق، ص١١٤)، وقد ثبت حديث انشقاق القمر، عن ابن مسعود قال: (انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله: اشهدوا) (مسلم: صحيح مسلم، جـ٤، ص ١٥٨).

(٣) الأشعرى: المصدر السابق، جـ٢، ص١١٦، الإبانة عن أصول الديانة، ص١٤٣، ابن حزم: الفصل، جـ٤، ص٥٣، القاسمى الدمشقى: تاريخ الجهمية والمعتزلة، ص٣٢

(٤) فضل الاعتزال، ص٢٠٢

(٥) عقد البخارى بابا فى كتاب الجنائز ترجم له بقوله: باب ما جاء فى عذاب القبر (صحيح البخارى، جـ٣، ص٤٧٣).

(٦) الأشعرى: الإبانة عن أصول الديانة، ص١٤١، ابن حزم: الفصل، جـ٤، ص٥٣

(٧) القاضى عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة، ص ٦٣٨

(٨) ابن قتيبة: تأويل مختلف الحديث، ص٧٢ (دار الجبل، بيروت، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م، تحقيق: محمد زهدى النجار)، أحمد أمين: ضحى الإسلام، جـ٣، ص٨٦

وخالف المعتزلة سنة الرسول فى موقفهم من حدود السارق[1]، فهذا أبو الهذيل العلاف والجبائى يفسقان سارق الدرهم من حرز[2]، أما جعفرين مبشر فيزعم أن من سرق حبة أو مادونها فهو فاسق منخلع من الإيمان مخلد فى النار[3]، ويذهب النظام الى أن من غصب أو سرق مائة وتسعة وتسعين درهما لم يفسق بذلك حتى يكون ما سرقه أو عصبه وخان فيه مائتى درهم فصاعدا[4].

وقال العلاف بفناء نعيم أهل الجنة وفناء عذاب أهل النار، مما جعل عددا من زعماء المعتزلة يردون عليه ويوبخونه[5]، وكان بعض زعمائهم متهاونا فى أداء الفرائض[6]. وكان المعتزلة يرون اغتيال المخالفين لهم فى الرأى[7].

وللمعتزلة رأى فى الإجماع[8] والقياس[9]، وقد أنكر النظام الإجماع والقياس، وقال:

---

(١) قالت عائشة رضى الله عنها: إن النبى صلى الله عليه وسلم قال: تقطع اليد فى ربع دينار فصاعدا، على أن يكون المسروق حرزا والسارق مستغنيا عن السرقة (البخارى: صحيح البخارى، جـ١٥، ص١٠٧)

(٢) الأشعرى: مقالات الإسلاميين، جـ١، ص٣٣٣ ـ ٣٣٤

(٣) البغدادى: الفرق بين الفرق، ص١٢٩

(٤) الأشعرى: مقالات الإسلاميين، جـ١، ص٣٣٤

(٥) ألف كل من الجبائى وأبى موسى المردار كتابا ذكرا فيهما فضائح أبى الهذيل، ولجعفر بن حرب أحد زعماء المعتزلة كتاب سماه «توبيخ أبى الهذيل» (البغدادى: الفرق بين الفرق، ص١٠٢).

(٦) قال خادم ثمامة بن الأشرس له يوما: قم صل فتغافل، فقال له: قد ضاق الوقت، فقم صل واسترح، فقال ثمامة: أنا مستريح إن تركتنى (البغدادى: المصدر السابق، ص ١٥٨ ـ ١٥٩، الاسفرايينى: التبصير فى الدين، ص٤٩).

(٧) قالوا: إذا كنا جماعة وكان الغالب عندنا أنا نكفى مخالفينا، عقدنا للإمام، ونهضنا فقتلنا السلطان وأزلناه، وأخذنا الناس بالانقياد لقولنا، فإن دخلوا فى قولنا الذى هو التوحيد، وفى قولنا فى القدر، والا قتلناهم. (الأشعرى: المصدر السابق، جـ٢، ص١٥٧).

(٨) الإجماع: هو إجماع علماء الأمة الإسلامية على أمر ما فيصبح بذلك حكما شرعيا، ومن قال بما تقول به جماعة المسلمين فقد لزم جماعتهم. (الشافعى: الرسالة، ص٢٠٥، ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله، جـ٢، ص٣٣ ـ ٣٤).

(٩) القياس: الحاق أمر منصوص على حكمه بأمر غير منصوص على حكمه لاشتراكهما فى علة الحكم (الشافعى: المصدر السابق، ص٢٠٦، محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، جـ٢، ص١٥٤).

أنهما ليسا حجة فى الأحكام الشرعية(١)، وقد تصدى بعض المعتزلة للرد على النظام من أمثال بشر بن المعتمر، وأبى الهذيل العلاف(٢). والقاضى عبد الجبار يقر الإجماع، ولكنه لا يرتبط بالعدد، بقدر ما يرتبط بطاعة الله، فهو عنده ينطبق حتى على الفرد الواحد(٣).

وكانت للمعتزلة بحوث كثيرة مجافية للعقل ومخالفة للسنة(٤).

رأى المعتزلة فى الصحابة:

أجمع المسلمون على عدالة الصحابة، وصار استنقاصهم آية من آيات الزندقة والخروج عن الإسلام(٥)، ولكن المعتزلة وضعوا الصحابة وكبار التابعين فى موضع عامة الناس، يخطئون ويصيبون، ويصدر عنهم ما يمدح وما يذم، وقد نسب النظام الى الصحابة إيثار الهوى على الدين، ووقوع الفاحشة فيهم(٦).

---

(١) البغدادي: المصدر السابق، ص١٢٩، الغزالي: الاقتصاد فى الاعتقاد، ص١١٣ (الطبعة الأولى، مطبعة حجازى، القاهرة، بدون تاريخ)، الشهرستانى: الملل والنحل، جـ١، ص٦٤، الرازى: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، ص٤١، مصطفى السباعى: السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى، ص٢٠٦ (الطبعة الأولى، مكتبة العروبة، القاهرة، ١٣٨٠هـ).

(٢) ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله، جـ٢، ص٧٧ ـ ٧٨

(٣) يستشهد القاضى عبد الجبار على رأيه بما ينسبه لابن مسعود: (الجماعة ما وافق طاعه الله وإن كان رجلا واحدا) (فضل الاعتزال، ص١٨٦).

(٤) بحث المعتزلة فى مصير اليد المقطوعة لرجل مؤمن كفر بعد القطع، أو لرجل كافر آمن بعد القطع، كما نظروا فى عقول البهائم هل سيكلمها الله أم تبقى على حالها فى الدنيا، وبحثوا مسألة اقتصاص الله من بعضها البعض. (الأشعرى: مقالات الإسلاميين، ج١، ص ٣١٧، ٢١٩ ـ ٣٢٠)، ومن أبحاثهم أيضا: نظرهم فى الصلاح والأصلح، جعل النظام يحد من قدرة الله حيث قال: إن الله لا يقدر أن يزيد فى عذاب أهل النار ذرة، ولا أن ينقص من أهل الجنة شيئا، أما المردار فينزل بالله الى مستوى الكذب والظلم قياسا على حياة البشر فيجعله قادارا على ذلك، وان فعل كان الها كاذبا ظالما، فى حين ينفى أبو الهذيل العلاف عن الله القدرة على رؤية بعض الأجزاء التى لا تتجزأ. (البغدادى: الفرق بين الفرق، ص١١٣، ١١٦، الشهرستانى: الملل والنحل، ح١ ، ص٦١ ، ٧٥ ـ ٧٦).

(٥) الخطيب البغدادى: الكفاية فى علم الرواية، ص٧ (الطبعة الأولى، دار الكتب الحديثة، القاهرة).

(٦) البغدادى: المصدر السابق، ص١٣٤، الشهرستانى: المصدر السابق والجزء، ص٦٥، أحمد أمين: ضحى الإسلام، جـ ٣ ، ص٧٥ .

تعرض المعتزلة لمسألة خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعلى، هل خلافتهم صحيحة وأيهم أفضل؟[(١)]، وانتقد النظام الخلفاء الراشدين وطعن فى آرائهم[(٢)]

وأما موقف المعتزلة من عثمان بن عفان وقتلته فإن كثيرا منهم يقفون فى ذلك دون إبداء رأى[(٣)] كذلك كان موقفهم من أصحاب الجمل[(٤)]، وقد خطأ بعض المعتزلة معاوية بن أبى

---

(١) قال بعضهم: كان على إماما فى أيام أبى بكر وعمر، وإن الأمر كان له بنص النبى، وإن الأمة ضلت حين بايعت غيره، وقال البعض الأخر، كان أبو بكر الإمام بعد النبى صلى الله عليه وسلم، ثم عمر ثم عثمان، ثم على، وإن الخلافة بعد النبى ثلاثون سنة. (الأشعرى: مقالات الإسلاميين، جـ٢، ص١٤٣ ـ ١٤٤).

(٢) اتهم النظام أبا بكر وعمر بالتناقض فى أقوالهما، واعتبر من مطاعن عمر بن الخطاب احياءه لسنة التراويح، ونفيه لشاعر المدينة الوسيم نصير بن حجاج الى البصرة مخافة فتنة النساء، وطعن فى فتاوى عثمان وعلى. (ابن قتيبة: تأويل مختلف الحديث، ص٢٠، ٢٤، البغدادى: الفرق بين الفرق، ص١٣٣ ـ ١٣٥، ٣٠٤ ـ ٣٠٥، الشهرستانى: الملل والنحل، جـ١، ص٦٥، أحمد أمين: ضحى الإسلام، جـ٣، ص٨٨ ـ ٨٩).

(٣) قال واصل بن عطاء: إنه لا يعرف هل كان عثمان هو المخطئ أم قاتلوه وخاذلوه، وقد أرجأ واصل ذلك الى الله، وقال أبو الهذيل العلاف: «لاندوى قتل عثمان ظالما أو مظلوما» (الخياط: الانتصار، ص٩٧، الأشعرى: المصدر السابق والجزء، ص١٤٣، البغدادى: المصدر السابق، ص٩٩ ـ ١٠٠، المرجع السابق والجزء، ص٢٧٨).

(٤) قال واصل بن عطاء: أحد الفريقين، المتخاصمين فى الجمل وفى صفين مخطئ لا بعينه تماما كالمتلاعنين، فإن أحدهما فاسق لا محالة، وأقل درجات الفريقين أنه لا تقبل شهادتهما كما لا تقبل شهادة المتلاعنين، وبناء على ذلك فإنه لم يحكم بشهادة رجلين أحدهما من أصحاب الجمل، وقال: لو شهدت عندى عائشة وعلى وطلحة والزبير على باقة بقل لم أحكم بشهادتهم، وقبل شهادة رجلين من أصحاب على وشهادة رجلين من أصحاب طلحة والزبير. (البغدادى: المصدر السابق، ص١٠٠، الشهرستانى: المصدر السابق والجزء والصفحة، الرازى: اعتقادات فرق المسلمين، ص٤٠، ابن المرتضى: المنية والامل، جـ٢ ص١٥٤، ابن تيمية: منهاج السنة النبوية، جـ١ ص٦، الذهبى: ميزان الاعتدال، جـ ٤، ص ٣٢٩ (تحقيق: على محمد البجاوى، مطبعة عيسى الحلبى، القاهرة، ١٣٢٨هـ/ ١٩٦٣م)، وقال عمرو بن عبيد: لا أقبل شهادة الجماعة منهم. سواء كانوا من أحد الفريقين أو كان بعضهم من حزب على وبعضهم من حزب الجمل، وبلغ من امتهانهم الى القول: لو شهد عندى على وطلحة والزبير على شراك نعل ما أجزت شهادتهم. (البغدادى: الفرق بين الفرق، ص١٠١، الخطيب البغدادى: تاريخ بغداد، جـ١٢ ص١٧٨، الرازى: اعتقادات فرق المسلمين، ص٤٠، الذهبى: ميزان الاعتدال، جـ٣، ص١٧٥)، أما ضرار بن عمرو وأبو الهذيل العلاف ومعمر بن عباد السلمى، فقد قالوا: نحن نتولى كل واحد من الفريقين على انفراد (الأشعرى: مقالات الإسلاميين، جـ٢، ص١٤٥.

سفيان ولم يقولوا بإمامته(١).

ولم يسلم بعض الصحابة من سب المعتزلة(٢)، وهم بذلك قد خالفوا الكتاب(٣) والسنة الصحيحة(٤) بطعنهم فى الصحابة(٥).

---

(١) الاشعرى: المصدر السابق والجزء والصفحة، القاضى عبد الجبار: فضل الاعتزال، ص١٤٣.

(٢) سأل أحدهم عمرو بن عبيد عن حديث للصحابى سمرة بن جندب فقال له: ما تصنع بسمرة؟، قبح الله سمرة. (الخطيب البغدادى: المصدر السابق، والجزء، ص١٧٦، الذهبى: المصدر السابق والجزء، ص٢٧٤). ونال النظام من الصحابى حذيفة بن اليمان واتهمه بالكذب، وزعم أنه حلف لعثمان على أشياء ما قالها، وقد سمعوه قالها (ابن قتيبة: تأويل مختلف الحديث، ص٢٠)، وطعن النظام أيضا فى أبى هريرة، وقال عنه: كان أكذب الناس، وأدعى أن عمرا وعثمان وعليا وعائشة رضى الله عنهم أكذبوه. (ابن قتيبة: المصدر السابق والجزء والصفحة، البغدادى: المصدر السابق، ص١٣٣، وقالوا عن أبى موسى الأشعرى: إنه من أصحاب الكبائر وحكمه حكم أمثاله ممن واقع كبيرة ومات عليها. (ابن أبى الحديد: شرح نهج البلاغة، جـ١٣، ص٣١٥ ـ ٣١٦، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابى الحلبى) الطبعة الثانية، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م).

(٣) قال الله تعالى: (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم). سورة الفتح، آية: ٢٩).

(٤) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (خير أمتى قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) البخارى: صحيح البخارى، جـ٨، ص٥، ٨).

(٥) الشيبانى: كتاب السنة، جـ٢، ص ٦٢٧ ـ ٦٢٨ (الطبعة الأولى، ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠م، المكتب الإسلامى، دمشق، بيروت) الفراء: شرح السنة، جـ١٤، ص٧٠ (الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، دار بدر، القاهرة)، البيهقى: الاعتقاد على مذهب السلف، ص١٥٩ (صححه ونشره: أحمد محمد مرسى، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦١م).

٢. المعتزلة والفقهاء

اتهم المعتزلة الفقهاء والمحدثين فى دينهم فى وقت أن صارت لهم قوة فى الدولة العباسية، واستغلوا نفوذهم فى بلاط الخلافة، فأنزلوا بالفقهاء والمحدثين الاضطهاد والحبس، زمن الخلفاء المأمون والمعتصم والواثق، وحملوهم على الأخذ بآرائهم وأقوالهم بالقوة[١].

ولم يلق علم الكلام قبولا عند الفقهاء والمحدثين من السلف. فالغزالى يذكر أن الإمام الشافعى ومالك وأحمد وسفيان الثورى وجميع أهل الحديث من السلف ذهبوا الى حد تحريم الاشتغال بهذا العلم[٢] والنفور منه[٣]، وكانت حجتهم فى ذلك أن هذا العلم لو كان من الدين لتكلم به الرسول، وأمر به وندب اليه ولما سكتت عنه الصحابة[٤]، وكثيرا ما نرى المعتزلة يرومون بعض المحدثين بالجهل[٥]، ،والكفر والتخشع لغير الله، والتقشف لغير الدين[٦].

وإذا كان المعتزلة قد أسرفوا أيام سلطانهم فى حرب الفقهاء والمحدثين، فإنه من الطبيعى أن يتخذ الفقهاء نفس الموقف، وأن يكيلو لهم الصاع صاعين حين تهيأت لهم الفرصة بعد زوال نفوذهم، وأفول نجمهم فى عصر الخليفة المتوكل[٧]، حيث أظهر

---

(١) الطبرى: تاريخ الطبرى، جـ٨، ص٦٣٣ ـ ٦٤٩، القاسمى الدمشقى: تاريخ الجهمية والمعتزلة، ص٦٧، أحمد أمين: ضحى الإسلام، جـ٣، ص١٦٣ وما بعدها، محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، جـ١، ص١٥٢، عبد الفتاح السرنجاوى: النزعات الاستقلالية فى الخلافة العباسية، ص٣٤ (القاهرة، ١٣٦٤هـ/ ١٩٤٥م).

(٢) إحياء علوم الدين، جـ١، ص٩٥ (القاهرة، بدون تاريخ).

(٣) قال الشافعى: لأن يلقى الله عبد بكل ذنب، ما خلا الشرك، خير من أن يلقاه بشئ من الكلام، وقال الإمام أحمد رحمه الله: لا يفلح صاحب الكلام أبدا، ولا ترى أحدا ينظر فى الكلام إلا وفى قلبه مرض (طاش كبرى زادة: مفتاح السعادة، جـ ٢، ص١٥٦.

(٤) الأشعرى: رسالة فى استحسان الخوض فى علم الكلام، ص٨٨ (تحقيق: الأب مكارثى، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، ١٩٥٢م).

(٥) يقول الجاحظ: (وليس هؤلاء ممن يفهم تأويل الاحاديث، وأى ضرب منها يكون متأولا، وأى ضرب منها يقال إن ذلك هو حكاية عن بعض القبائل (الحيوان، جـ٤ ص٢٧٩).

(٦) الطبرى: تاريخ الطبرى، جـ٨، ص٦٣٢.

(٧) الطبرى: المصدر السابق، ج٩، ص١٥٤ ـ ١٥٥، ١٩٠، المسعودى: مروج الذهب، جـ٢، ص٣٩١ (تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، دار الكتاب اللبنانى، بيروت ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م) ابن الاثير: الكامل فى التاريخ، جـ٧، ص٢٣ (طبعة دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م).

الخليفة السنة ونهى عن القول بخلق القرآن، وأجرى الأرزاق على الفقهاء والمحدثين[1].

وشن الفقهاء الغارة على المعتزلة، وحين سئل قاضى القضاة أبو يوسف يعقوب بن ابراهيم صاحب الإمام أبى حنيفة عن المعتزلة قال: هم الزنادقة، ورد الشافعى قبول شهادتهم[2].

ويصف ابن عبد البر[3] المعتزلة بأنهم أهل البدع، ويقول عن كتبهم: إنها كتب أهل الأهواء.

وقال عبد الله بن المبارك[4]: (إنا لنحكى كلام اليهود والنصارى ولا نستطيع أن نحكى كلام الجهمية[5]، وقال ابن كثير[6] فيما ذهب اليه المعتزلة إنه: «باطل ومردود».

وقد عرض الصاحب بن عباد[7] منصب قاضى القضاة على أحد قضاة الشافعية على

---

(١) الخطيب البغدادى: تاريخ بغداد، جـ٢، ص٣٤٤، ابن الجوزى:؛ مناقب الإمام أحمد بن حنبل، ص٣٥٧ ـ ٣٥٨، تقى الدين المقدسى: المحنة (مخطوط) جـ٣، ص١٦٦، باتون: أحمد بن حنبل والمحنة، ص ١٧٢، أحمد أمين: ضحى الإسلام، جـ٣، ص١٩٨ـ ١٩٩.

(٢) البغدادى: الفرق بين الفرق، ص٣٥١ ـ ٣٥٢.

(٣) جامع بيان العلم وفضله، جـ٢، ص١١٦ ـ ١١٧٧ (المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٣٨٨هـ).

(٤) يكنى أبا عبد الرحمن وهو من الفقهاء (ت ١٨١هـ/ ٧٩٩٧م)، وله من الكتب: كتاب السنن فى الفقه، وكتاب التفسير، وكتاب الزهد، وكتاب البر والصلة (ابن النديم: الفهرست، ص٣١٩، جمال الدين القاسمى: موعظة المؤمنين، جـ١ ص٩٧ (تقديم وتحقيق: عاصم البيطار، دار النفائس بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م).

(٥) الدارمى: الرد على الجهمية، ص٨، (طبعة ليدن، ١٩٦٠م)، الأشعرى: الابانة عن أصول الديانة، ص٥٧، ابن تيمية: بيان موافقة صريح المعقول، جـ١، ص١٤٥.

(٦) الباعث الحثيث، ص١٧٧(تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م).

(٧) هو إسماعيل بن عباد بن العباس أبو القاسم (ت ٣٨٥هـ/ ٩٩٥م)، وزير غلب عليه الأدب فكان من نوادر الدهر علما وفضلا وتدبيرا وجودة رأى، استوزره مؤيد الدولة بن بويه ثم أخوه فخر الدولة، ولقب بالصاحب، لأنه كان يصحب أبا الفضل بن العميد، فقيل له صاحب بن العميد، ثم أطلق عليه هذا اللقب لما تولى الوزارة. (ابن النديم: الفهرست، ص١٩٤، ياقوت الحموى: معجم الأدباء، جـ٦، ص١٦٨ وما بعدها، ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ١، ص٢٠٦ ابن المرتضى: المنية والأمل، جـ١، ص ٩٤ ـ ٩٥، الزركلى: الأعلام، جـ١، ص٣١٢ ـ ٣١٣.

شرط القول بالاعتزال، فامتنع وقال: لا أبيع الدين بالدنيا[١].

وهذا ابن قتيبة الدينورى المتوفى سنة ٢٧٦هـ (٨٩٩م) يؤلف كتاب«تأويل مختلف الحديث فى الرد على أعداء الحديث» ليرد على الشبهات والضلالات التى ارتمى فيها المعتزلة[٢].

وألف ابن حزم الظاهرى الأندلسى المتوفى سنة ٤٥٦ هـ/ ١٠٦٣م كتاب «الفصل فى الملل والأهواء والنحل» صور فيه ظلم المعتزلة وضلالاتهم، فيقول: «فاعجبوا لتلاعب إبليس بهذه الفرقة الملعونة وسلوا الله العافية من أن يكلمكم الى أنفسكم»[٣].

وكتب أبو الحسن الأشعرى[٤] المتوفى سنة ٣٣٠ هـ (٩٤١ م) كتاب «مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين» ، تناول فيه أصول المعتزلة بالنقد والطعن، ووصفهم فى كتابه«الإبانة عن أصول الديانة»[٥] ، بقوله: «فإن الزائغين عن الحق من المعتزلة وأهل القدر مالت بهم أهواؤهم الى تقليد رؤسائهم ومن مضى من أسلافهم.

وهاجمهم البغدادى فى كتابه« الفرق بين الفرق» وسماهم «المعتزلة عن الحق»، وسفه رجالهم[٦]، وتناول الشهرستانى أقوالهم بالنقد[٧]، أما الاسفراييني فإنه يفصل مقالاتهم ويبين فضائحهم فى كتاب «التبصير فى الدين، وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين»[٨].

ويصف الخطيب البغدادى أبو الهذيل العلاف بقوله: «كان خبيث القول فارق اجماع

---

(١) جمال الدين القاسمى الدمشقى: تاريخ الجهمية والمعتزلة، ص٩٢.

(٢)ص١٣، (دار الجيل، بيروت، تحقيق: محمد ز هدى النجار، ١٣٩٩٣هـ/ ١٩٧٣م).

(٣) جـ٤، ص١٥٢ وما بعدها (مطبعة صبيح، القاهرة ١٣٤٨هـ).

(٤) جـ١، ص٢٤٩، جـ٢ ص٥٢ وما بعدها.

(٥) ص١٣.

(٦) عند ذكر البغدادى لواصل بن عطاء يقول: إن واصلا فارق السلف، وقال عن عمرو بن عبيد: إن جده من سبى كابل، وما ظهرت البدع والضلالات فى الأديان إلا من أبناء السبايا، ويقول عن النظام: إنه كان ينظم الخرز فى سوق البصرة، وخالط بعد كبره قوما من ملحدة الفلاسفة، ثم خالط هشام بن الحكم الرافضى (ص٩٣، ٩٩ ـ ١٠١، ١١٣).

(٧) الملل والنحل، جـ١، ص٤٩ ـ ٦٥.

(٨) ص٢٧ وما بعدها.

المسلمين»[1]، ويقول عن أحمد بن أبى دؤاد: «لولا ما وضع به نفسه من محبة المحنة لاجتمعت الألسن عليه»[2] وجاء فى مقدمة «صحيح مسلم» أن عمرو بن عبيد كان يكذب فى الحديث[3]، وقال أبو عبد الله أحمد بن حنبل «ما كان عمرو بن عبيد بأهل أن يحدث عنه»[4] ويصفه البستى بقوله: إنه رجل سوء، وصاحب بدعة[5]، ويقول عنه الدار قطنى: إنه داعية الى بدعة[6]. وحين يرد ذكر الجاحظ، يقول الذهبى: ليس بثقة ولا مأمون، وكان من أهل البدع[7].

آراء المعتزلة وموقف الفقهاء منها:

يقول الفقهاء: قد نفت المعتزلة عن الله الصفات الأزلية، وفى نفى الصفة نفى الموصوف، كما أن فى نفى الفعل نفى الفاعل، وفى نفى الكلام نفى المتكلم[8]، ومن نفى صفات الرب عز وجل أوعطلها كذب تعطيله توحيده[9]، وأجمع أهل السنة على أن مآخذ أسماء الله تعالى وأوصافه ام من الكتاب أو السنة الصحيحة أو إجماع الأمة[10]، وقالوا بإثبات الصفات وإبطال تعطيل من ذهب اليها[11].

---

(١) تاريخ بغداد، جـ٣ ص٣٦٦.

(٢) الخطيب البغدادى: المصدر السابق، جـ٤، ص١٤٢.

(٣) مسلم: جـ١، ص٢٢ ـ ٢٣ (الطبعة الأولى، عيسى الحلبى، ١٣٧٤هـ).

(٤) الخطيب البغدادى: تاريخ بغداد، جـ٢، ص١٨٥.

(٥) كتاب المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، جـ١، ص٨١ ـ ٨٣، جـ٢، ص٧٠ (تحقيق: محمد إبراهيم زايد، الطبعة الثانية، بدون تاريخ).

(٦) الضعفاء والمتروكون، ص ٣٠٨ (تحقيق: موفق بن عبد الله بن عبد القادر، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، بدون تاريخ).

(٧) ميزان الاعتدال، جـ٣ ص٢٤٧ (تحقيق: على محمد البجاوى، طبعة عيسى الحلبى، مصر، ١٩٦٣م).

(٨) البغدادى: الفرق بين الفرق، ص٣٢٢، ابن تيمية: بيان موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول، جـ١، ص١٨٨ (طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، بدورن تاريخ).

(٩) ابن قيم الجوزية: اجتماع الجيوش الإسلامية، ص ٢٧ (طبعة دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠١، القاهرة).

(١٠) البغدادى: المصدر السابق، ص٣٢٦، ابن حزم: الفصل فى الملل والأهواء والنحل، جـ٢، ص٦٥ (مطبعة صبيح، القاهرة، ١٣٤٨هـ).

(١١) الآمدى: غاية المرام فى علم الكلام، ص٢٥ ـ ١٢١ (تحقيق: حسن محمود عبد اللطيف، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث، مطابع الأهرام التجارية.

ووقف الفقهاء موقف المعارض من قول المعتزلة بأن القرآن مخلوق، واتفقوا على أن كلام الله غير مخلوق[1]، وقالوا: إن كلام الله البارى سبحانه قديم أزلى موجود بذاته، ليس بمخلوق ولا محدث، ومن قال إنه مخلوق فهو كافر لا محالة، وهو مكتوب فى مصاحفنا، محفوظ فى قلوبنا، مقروء بألسنتنا، متلو فى محاربنا، مسموع بأسماعنا[2].

وسئل الإمام أحمد بن حنبل عمن يقول القرآن مخلوق، قال: كافر، فقيل له: فابن أبى دؤاد؟ قال: كافر بالله العظيم[3]، وكان يقول: إن القرآن كلام الله غير مخلوق وإنه لم يخلق شيئا إلا وقد قال له كن فيكون[4]، ومن قال لفظى بالقرآن مخلوق فهو جهمى، ومن قال غير مخلوق فهو مبتدع[5].

يقول الأشعرى: وقد احتججنا لصحة قولنا أن: القرآن غير مخلوق من كتاب الله ـ عز وجل ـ وما تضمنه من البرهان وأوضحه من البيان، ولم نجد أحدا ممن تحمل عنه الآثار، وتنقل عنه الأخبار، ويأتم به المؤتمون من أهل العلم يقول بخلق القرآن، وإنما قال ذلك رعاع الناس وجهال لهم[6] ،ويرى ابن خلدون[7] أن البراهين العقلية والأدلة القطعية، شاهدة ببطلان القول بأن القرآن مخلوق. وروى هشام بن عبد الله الرازى عن محمد بن الحسن أنه قال فيمن صلى خلف من يقول بخلق القرآن أنه يعيد الصلاة، وأشار الشافعى

---

(١) الأشعرى: اللمع فى الرد على أهل الزيغ والبدع، ص١٥ (نشر وتصحيح الأب يوسف مكارثى، المطبعة الكاثوليكية بيروت، ١٩٥٢م)، ابن فورك: مشكل الحديث وبيانه، ص٢٠٢ (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م)، الفراء: شرح السنة، جـ١، ص١٨١ (تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وزهيرز الشاويس، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، دار بدر، القاهرة)، ابن تيمية: بيان موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول، جـ١، ص١٥٣.

(٢) الشافعى: الفقه الأكبر، ص٢٠٧ (إعداد محمد محمود فرغلى، مؤسسة روز اليوسف، ١٤٠٦هـ)، الغزالى: الاقتصاد فى الاعتقاد، ص٥٢، (الطبعة الأولى مطبعة حجازى، القاهرة، بدون تاريخ).

(٣) البلخى: البدء والتاريخ، جـ٥، ص١٤٩ (طبعة ١٨٩٩م، طبع برطرند، أعادت طبعه بالأوفست مكتبة المثنى ببغداد، الخطيب البغدادى: تاريخ بغداد، جـ٤ ص١٥٣.

(٤) ابن قيم الجوزية: اجتماع الجيوش الإسلامية، ص٢٧.

(٥) ابن قيم الجوزية: الصواعق المرسلة، جـ٢، ص٣٠٧.

(٦) الابانة عن أصول الديانة، ص٦١.

(٧)المقدمة، ص٤٦٤ (دار العلم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٨م).

الى بطلان من صلى خلف من يقول بخلق القرآن[١]، وقال أهل السنة: إن كلام الله عز وجل هو علمه لم يزل، وأنه غير مخلوق[٢]، وكتاب الله هو القرآن بإجماع الأمة، فقد سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم المصحف قرآنا، والقرآن كلام الله[٣]، وقال الشهرستانى: إن القرآن كلام الله غير مخلوق، والمخالفون لنا كالمعتزلة وافقونا على أن الذى فى أيدينا كلام الله وخالفونا فى القدم، وهم محجوبون بإجماع الأمة[٤].

وحين جهر الزمخشرى بالاعتزال، وافتتح كتاب« الكشاف» بقوله: «الحمد لله الذى خلق القرآن»، أصلحه أصحابه فكتبوا: الحمد لله الذى أنزل القرآن[٥]، ولما أنكر النظام إعجاز القرآن وقال: فأما نظم القرآن وحسن تأليف آياته فإن العباد قادورن على مثله، ولم يعارضه العرب لأن الله صرفهم عن ذلك[٦]، رد عليه الفقهاء بقولهم[٧]: إن القرآن معجز، قد أعجز الله عن مثل نظمه جميع العرب وغيرهم من الإنس والجن، فى نظمه وما فيه من الإخبار عن الغيوب، ودلالة ذلك قوله تعالى: «قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا»[٨].

وقد نفى المعتزلة رؤية الله فى الآخرة كما أسلفنا، وسئل الشافعى عن قوله تعالى « وجوه يومئذ ناضرة، إلى ربها ناظرة»[٩]، قال: لما حجب الله قوما بالسخط دل على أن قوما يرونه بالرضا، سأله أحدهم: أو تدين بهذا يا سيدى؟ فقال: والله لو لم يوقن محمد بن إدريس

---

(١) البغدادى: الفرق بين الفرق، ص٣٥١.

(٢) ابن حزم: الفصل، جـ٣، ص٤.

(٣) ابن حزم: المصدر السابق، جـ٥، ص٦، ١٠ ـ ١١.

(٤) الملل والنحل، جـ١، ص١١٣ ـ ١١٤.

(٥) ابن خلكان: وفيات الاعيان، جـ٥ ، ص١٧٧٠ (تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت ، لبنان)، ابو الفدا: المختصر فى أخبار البشر، جـ٣ ص١٦ (دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت لبنان، بدون تاريخ).

(٦) البغدادى: الفرق بين الفرق، ص١٢٨، القاضى عبد الجبار: فضل الاعتزال، ص ٧٠، الشهرستانى: الملل والنحل، جـ١، ص٦٤، أحمد أمين: ضحى الإسلام، جـ٣، ص١٢٥.

(٧) البغدادى: المصدر السابق والصفحة، ابن حزم: الفصل، جـ٣، ص١٠ ـ ١١، جـ ٥ ، ص١٠ ـ ١١ ٦٠.

(٨) سورة الإسراء، آية: ٨٨.

(٩) سورة القيامة، آية ٢٢،٢٣.

«الشافعى» أنه يرى ربه فى الميعاد لما عبـده فى الدنيا، وهذا ابن حجر العسقلانى[1] يورد ما عدده البيهقى من الأوجه اللغوية التى تفيد عبارة ناظرة فى كلام العرب منتهيا الى أن أولاها بالقبول فى الآية هو نظر الرؤية[2]، ويقول الدارمى[3] :نعم تنتظر ثواب ربها ولا ثواب أعظم من النظر الى وجهه تبارك وتعالى، ويوضح البيهقى أنه «لا يجوز أن يكون عنى نظر، الانتظار لأنه ليس فى شئ من أمر الجنة انتظارا لأن الانتظار فيه تنغيص وتكدير، والآية خرجت مخرج البشارة، وأهل الجنة فيما لا عين رأت، ولا أذن، سمعت، ولا خطر على قلب بشر»[4].

وأجاز الشافعى رؤية الله يوم القيامة[5]، ويتساءل مالك بن أنس: أين هم عن قوله تعالى: «كلا أنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون»[6]، فلو لم ير المؤمنون ربهم يوم القيامة لم يعير الله الكفار بالحجاب[7].

ويقول البغدادى[8]: « وأجمع أهل السنة على أن الله تعالى يكون مرئيا للمؤمنين فى الآخرة، وقالوا بجواز رؤيته على كل حال»، فالنظر لاى الثواب ليس بثواب ولا إنعام، ويكون فيه إبطال فائدة الإنعام[9].

ويقول ابن حزم: ذهبت المعتزلة الى أن الله لا يرى فى الآخرة واحتجت بقول الله تعالى: «لا تدركه الأبصار»[10]، وأن الله تعالى إنما نفى الإدراك، والإدراك غير الرؤية، فهو

---

(١) البيهقى: مناقب الإمام الشافعى، جـ١، ص٤١٩ (دار التراث، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٣٩١هـ).

(٢) فتح البارى، جـ١٧، ص١٩٤ (مطبعة مصطفى الحلبى، القاهرة ١٣٧٨هـ).

(٣) الرد على الجهمية، ص٥٧.

(٤) الاعتقاد على مذهب السلف، أهل السنة والجماعة، ص٤٦ (صححه ونشره: أحمد محمد مرسى، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦١م).

(٥) يقول الشافعى: إن النظر المقرون بذكر الوجه بعد حرف الجر لا يجوز أن يراد به فى اللغة إلا النظر الذى هو الرؤية بالبصر. (الفقه الأكبر، ص٢٨ ـ ٢٩، إعداد: محمد محمود فرغلى، مؤسسة روز اليوسف، ١٤٠٦هـ).

(٦) سورة المطففين، آية: ١٥.

(٧) الفراء : شرح السنة، جـ٥، ص٢٢٩.

(٨) الفرق بين الفرق، ص٣٢٤.

(٩) الآمدى: غاية المرام، ص١٧٧٦.

(١٠) سورة الأنعام، آية: ١٠٣.

بمعنى الإحاطة، والإدراك منفى عن الله على كل حال فى الدنيا والآخرة[1]. ويرى ابن تيمية أن هذه الآية تدل على إثبات الرؤية أعظم من دلالتها على نفيها[2].

وقد عقد الإمام البخارى فى كتاب التوحيد بابا ترجم له بقوله: «باب قوله الله تعالى: «وجوه يومئذ ناضرة، إلى ربها ناظرة»[3]، وقد أورد عددا من الأحاديث التى تثبت الرؤية[4]، ويقول الأشعرى: إن رؤية الله تعالى بالأبصار جائزة من باب القياس وليس فى اثبات الرؤية إثبات حدوثه[5].

وقال المعتزلة: إن استواء الله على العرش بمعنى استولى وملك وقهر[6]، وقد سأل مالك بن أنس عن الاستواء على العرش فقال: الاستواء معقول، والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة[7]، وقال أحمد بن حنبل: نحن نؤمن أن الله تعالى على العرش استوى كيف شاء وكما يشاء بلا حد ولا صفة يبلغهاواصفون أو يحدها أحد[8].

وحين أنكر المعتزلة شفاعة النبى لأهل الكبائر[9]، تصدى البغدادى لهم بقوله: «والمنكرون للشفاعة يحرمون من الشفاعة»[10]، وقد جاء عن أنس ابن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم، قال: «شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى»[11]، ويقول الآمدى: أما

---

(١) الفصل، جـ٣، ص٢.

(٢) موافقة صريح المعقول، جـ١، ص٢٣٢.

(٣) سورة القيامة، آية: ٢٢، ٢٣.

(٤) صحيح البخارى، جـ٧، ص١٩٣.

(٥) الأشعرى: اللمع، ص٣٢.

(٦) الأشعرى: الإبانة عن أصول الديانة، ص٧٠، ابن حزم: الفصل، جـ٢، ص٩٧.

(٧) الدارمى: الرد على الجهمية، ص١٤، ٢٧، ابن عبد ربه: العقد الفريد، جـ٢، ص٩٢، (تحقيق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م)، البيهقى: الاعتقاد على مذهب السلف، ص٤٣.

(٨) ابن قيم الجوزية: اجتماع الجيوش الإسلامية، ص٨٢.
الأشعرى: مقالات الإسلاميين، جـ٢، ص١٦٦.

(٩) الأشعرى: مقالات الإسلاميين، جـ٢، ص١٦٦.

(١٠) البغدادى: الفرق بين الفرق، ص٣٣٩ ـ ٣٤٠.

(١١) البخارى: المصدر السابق، جـ٨، ص١٥٩، مسلم: صحيح مسلم، جـ١، ص١٩٥.

انكار الشفاعة للمذنبين العصاة من المسلمين فذلك إنما هو فرع مذهب أهل الضلال[١].

وقد نفى المعتزلة عذاب القبر[٢]، وقال أهل السنة بإثبات السؤال، وبعذاب القبر لأهل العذاب، وقطعوا بأن المنكرين لعذاب لقبر بعذبون فى القبر[٣]، ويقول الشافعى: «واعلموا أن عذاب القبر لمن يكون من أهل العذاب، والدليل قوله تعالى: «النار يعرضون عليها غدوا وعشيا»[٤]، ومعلوم أنهم لا يعرضون على النار قبل الموت وهم على ظهر الأرض، وفى القيامة لا غدو ولا عشى»[٥]. وهذا يبطل اعتقاد المعتزلة أن الجنة والنار ليستا مخلوقتين الآن، إذ لا فائدة وجودهما وهما جميعا خاليتان ممن ينتفع بهما[٦]، فلا سبيل الى إنكار عذاب القبر، واستبعاد ذلك على أنه غير محسوس من الميت، فمن أدرك بعقله حال النائم فى منامه، ما يناله من اللذة والألم بسبب ما يشاهده من حسن أو قبيح، مع ما هو عليه من سكون ظاهر جسمه وخمود جوارحه[٧].

وقد أنكر المعتزلة حد شارب الخمر، وزعم جعفر بن مبشر أن إجماع الصحابة على حد شارب الخمر كان خطأ[٨]، ويقول ابن حجر: استقر الإجماع على ثبوت حد الخمر[٩].

فضائل المعتزلة ودفاعهم عن الإسلام:

لاشك فى أن المعتزلة بعثوا فى القرن الثانى الهجرى حركة فكرية، تقبلها كثير من الباحثين، لا فى البصرة وبغداد وحدهما، بل فى بعض العواصم الإسلامية الأخرى[١٠]،

---

(١) غاية المرام، ص٣٠٦.

(٢) الأشعرى: مقالات الإسلاميين، جـ٢ ص١١٦.

(٣) البغدادى: الفرق بين الفرق، ص٣٣٩، البيهقى: الاعتقاد على مذهب السلف، ص١١١، الغزالى: الاقتصاد فى الاعتقاد، ص٩٧.

(٤) سورة غافر، آية: ٤٦.

(٥) الفقه الأكبر، ص٦٢ ـ ٦٤.

(٦) الشهرستانى: الملل والنحل، جـ١، ص٧٩.

(٧) الآمدى: غاية المرام، ص٣٠٤.

(٨) البغدادى: المصدر السابق، ص١٥٣، ابن المرتضى: المنية والأمل، جـ٢، ص١٦٢.

(٩) فتح البارى: جـ١٥، ص٨٠.

(١٠) إبراهيم مدكور: فى الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه، جـ٢ ص٣ (دار المعارف، ١٩٨٣م).

وتصدى علماء الكلام لتسفيه الزنادقة والرد عليهم[1].

وكثيرا من التهم التي وجهت الى المعتزلة لم تصدر عن إنصاف، بل كان التحيز رائد المتهمين، فالمعتزلة فيهم خير كثير، ولو انتمى اليهم بعض المتهمين فى دينهم[2].

تفرق ابتاع واصل بت عطاء فى الأقطار الإسلامية رادين على أهل الأهواء، ولم يكن أحد أعلم بكلام غالية الشيعة، ومارقة الخوارج، وكلام الزنادقة، والدهرية والمرجئة وسائر المخالفين منه[3]، وقد وقف واصل موفق المعارض لإلحاد بشاربن برد[4].

وكان واصل بن عطاء بقضى الليل يتعبد ويقرأ القرآن، وكان يجلس فى سوق الغزالين ليتصدق على من يغشاه من النساء المتعففات[5]، وقد قال عمرو بن عبيد عن واصل، رحم الله واصلا: كان رأسا وكنت له ذنيا، والله ما رأيت أعبد ولا أزهد ولا أعلم من واصل، ولقد صحبت واصلا بن عطاء ثلاثين سنة، ما رأيته عصى الله قط[6].

أما عمرو بن عبيد فقد كان حربا على الزنادقة والملحدين[7]، وكان صديقا لبشار بن برد فلما علم منه الزندقة سعى فى نفيه من بغداد، ولم يعد اليها الا بعد موت عمرو بن عبيد[8]، وكان أعلم الناس بأمور الدين والدنيا[9]، وقد كان الخليفة المنصور يطلب منه

---

(١)الخياط: الانتصار، ص٨١، حسن أحمد محمود: العالم الإسلامى فى العصر العباسى، ص٩١.

(٢) محمد ابو زهرة: أبو حنيفة، ص١٧٢

(٣) القاضى عبد الجبار: فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، ص٢٣٤، ٢٣٧٧، ابن المرتضى: المنية والأمل، جـ١، ص٣٤ ـ ٣٥

(٤)الجاحظ: البيان والتبيين، جـ١، ص١٦، المبرد: الكامل فى اللغة والأدب، جـ٢، ص١٤٤، الأصفهانى: الأغانى، جـ٣، ص٩٩٢، الشريف المرتضى: الأمالى، جـ١، ص١٤٠، الحصرى: زهر الآداب، وثمرة الألباب، جـ٢، ص٤٧٣، ياقوت: معجم البلدان، جـ١٩، ص٢٤٥.

(٥) القاضى عبد الجبار: فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، ص٢٣٦، ابن المرتضى: المنية والأمل، جـ١، ص٣٣، ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ٢، ص٢٢٥، طاش كبرى زادة: مفتاح السعادة، جـ٢، ص١٦٣، محمد عمارة: المعتزلة: (مقالة بمجلة الكويت، العدد، ١٨، ص٣٠).

(٦) ابو القاسم البلخى: فضل الاعتزال، ص٦٧.

(٧) الأصفهانى: الأغانى، جـ٣، ص٩٩٣، القاضى عبد الجبار: المصدر السابق، ص١١٥ ـ ١١٧.

(٨) الجاحظ: البيان والتبيين، جـ١، ص٢٥، أحمد أمين: ضحى الإسلام، جـ٣، ص٦٧.

(٩) حج عمرو بن عبيد أربعين سنة ماشيا، وبعيره يقاد معه يركبه الفقير والمنقطع به، وكان يحيى الليل فى ركعة، فعل ذلك غير مرة فى المسجد الحرام.(ابو اقاسم البلخى: المصدر السابق، ص٦٨، القاضى عبد الجبار: المصدر السابق، ص٦٨، ابن المرتضى: المصدر السابق والجزء، ص ٣٨ ـ ٣٩).

الموعظة فيعظه[١]، قال له المنصور يوما: يا أبا عثمان أعنى بأصحابك. قال يا أمير المؤمنين، أظهر الحق يتبعك أهله[٢]، قال الخليفة المنصور بعد موت عمرو بن عبيد: ما بقى على الأرض أحد يستحى منه[٣].

وهذا أبو الهذيل العلاف أسلم على يديه أكثر من ثلاثة آلاف رجل من المجوس والثنويه ببراعته فى المناظرة[٤]، وكان أكثر المعتزلة يميلون الى الزهد، وقد شاع ذلك عنهم حتى أطلق على المعتزلة البغداديين اسم «نساك بغداد»[٥].

وكان المقدسى ينظر الى الاعتزال كمذهب من مذاهب الكلام غير منفصل عن السنة[٦]، والغزالى يعد المعتزلة من أرباب الاجتهاد فى الدين، وكل مجتهد مأجور[٧].

ويروى أن الأمام أبا حنيفة كان يقول بخلق القرآن[٨]، وقد سئل الكرابيسى[٩] عن لفظ

---

(٦) ابن قتيبة الدنيورى: عيون الأخبار، جـ٢، ص٣٣٧ (طبعة دار الكتب المصرية، ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٥م)، الخطيب البغدادى: تاريخ بغداد، جـ١٢، ص١٦٦، ابن خلكان: المصدر السابق، جـ٣، ص١٣١.

(٧) الحصرى: زهر الآداب، جـ١، ص١٠٣.

(١) ابو القاسم البلخى: فضل الاعتزال، ص٦٧.

(٢)ابن المرتضى: المنية والأمل، جـ١، ص٤٤.

(٣) سمى المردار، (راهب المعتزلة) لورعه، وضرب المثل بالجعفريين (جعفر بن مبشر، وجعفر بن حرب) كما يضرب فى حسن السيرة بسيرة العمريين، ومنهم موسى الأسوارى الذى فسر القرآن ثلاثين سنة، ومنهم أبو الحسن على بن عيسى، صاحب التفسير والعلم الكثير، وكان يقال له: على الجامع، لأنه جمع علوم الكلام والفقه والقرآن والنحو واللغة (الخياط: الانتصار، ص٦٩، ٨١ ـ ٨٢، الشهرستانى: الملل والنحل، جـ ١ ص٥٤، ٦٠، ٦٢، ٩٢).

(٤) أحسن التقاسيم، ص٣٧ (ليدن، ١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م).

(٥) المنقذ من الضلال، ص٣٨ (دمشق ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٣م).

(٦)الأشعرى: الإبانة عن أصول الديانة، ص٥٧.

(١) هو ابو على الحسين الكرابيسى (ت٢٤٨هـ) صاحب الإمام الشافعى، ونسبته الى الكرابيس، وهى الثياب الغليظة التى كان يبيعها، وكان عارفا بالحديث والفقه، ومن كتبه: كتاب المدلسين فى الحديث، وكتاب الإمامة (ابن النديم: الفهرست، ص ٢٥٦ الخطيب البغدادى: تاريخ بغداد، جـ١٣، ص٤٤١، ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ١، ص٣٩٩، الصفدى: الوافى بالوفيات، جـ١٢، ص٤٣٠ (تحقيق: إحسان عباس وآخرين، دار النشر فرانز شتا يسنر بفسبادن، طبعة ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م)، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، جـ٢ ص٢٧ (طبعة دار الكتب، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٨٣هـ/ ١٦٣م)، الزركلى: الأعلام، جـ٢، ص٢٦٦.

الانسان بالقرآن فـقال إنه مخلوق[١]، وكان الإمام البخارى أحد كـبار الشيوخ فى الحديث يرى رأى الكرابيسى فى أن لفظ الإنسان بالقرآن مخلوق[٢].

طبق المعـتزلة الحـرية فى بحثـهم ودرسـهم وفى حوارهم وجـد لهم ، فذهبوا إلى آراء جديدة وغريبـة، وقالوا بما لم يجرؤ أحد غـيرهم أن يقوله[٣]، وقد أيد الامـام محمد عـبده المعتزلة تأييدا شديدا فيما ذهبو اليه من حرية الفرد واختياره[٤].

وهم رواد وصناع (علم الكلام الإسلامى) وهم الذين أسـسوا فلسفة أمـتنا على قواعد الدين وأصوله، بينما تناقضت الفلسفة مع الدين فى الحضارة الغربية[٥]، وقد قاموا بالدفاع عن الإسلام ضد خصومه.

---

(١) الأشعـرى: مقـالات الإسلاميـين، ج٢، ص٢٧١، البلخى: البـدء والتاريخ، جـ٥، ص١٤٩ (مطبـعة برطرند، ١٨٩٩م، اعادت طبعه بالأوفست مكتبة المثـنى ببغداد)، الخطيب البغدادى: المصدر السابق، جـ٨، ص٦٤ ـ ٦٥، الصفدى: المصدر السابق والجزء والصفحة.

(٢) ابن قيم الجوزية: الصواعق المرسلة، جـ٢، ص٣٠٦ ـ ٣٠٨.

(٣) إبراهيم مدكور: فى الفلسفة الإسلامية، جـ٢، ص١٠٣.

(٤) رسالة التوحيد، ص٥١ ـ ٥٦، إبرهيم مدكور: المرجع السابق والجزء ص٤٥.

(٥) محمد عمارة: الدين والدولة، ص٢٠٩ (الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٨٦م).

٣. المعتزلة وحركة الترجمة عن الفكر الإغريقى

بدأت حركة الترجمة فى عهد الدولة الأموية[١]، فقد أمر خالد بن يزيد بن معاوية[٢] بإحضار جماعة من فلاسفة اليونانيين ممن كانوا بمصر واتقنوا العربية، وأمرهم بنقل الكتب من اللسان اليونانى والقبطى الى العربى، وهذا أول نقل فى الإسلام من لغة الى لغة[٣] وقد بقيت الترجمة زمن الأمويين محاولات فردية لم تجن منها الثقافة العربية كبير فائدة[٤].

نشطت حركة الترجمة فى عهد الدولة العباسية، ونالت التشجيع من الخلفاء والوزراء والأثرياء[٥]، وكان الخليفة المنصور (١٣٦ ـ ١٥٨هـ/ ٧٥٣ ـ ٧٧٤م) أول خليفة ترجمت له الكتب السريانية والعجمية بالعربية، ككتاب كليلة ودمنة، وإقليدس[٦]، ومن أهم المترجمين فى أيامه البطريق وابنه أبو زكريا يحيى بن البطريق[٧]، وقد نقل المنطق الى العربية فى عهد الخليفة المنصور، وذلك راجع الى جاجة المسلمين الملحة اليه. لأن المتكلمين من المسلمين كانوا يرغبون فى التسلح ضد خصومهم ممن كانت لهم دراية بالمنطق وبالفلسفة اليونانية[٨]، وانبرى المعتزلة المسلمون بالمنطق والفكر الاغريقى الى منازلة الفرق الأخرى التى كانت تعتمد على القديم فى فكرها وأسانيدها[٩].

---

(١) مجيد عبد الحميد ناجى: الأثر الإغريقى فى البلاغة العربية من الجاحظ ـ إلى ابن المعتز، ص٣٩ (مطبعة الآداب، النجف، ١٩٧٦، العراق).

(٢) هو خالد بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان (ت ٩٠هـ/ ٧٠٨م) حكيم قريش وعالمها فى عصره، اشتغل بالكيمياء والطب والنجوم. (ابن النديم: الفهرست، ص ٣٣٨، ٤٩٧، ياقوت الحموى: معجم الأدباء، جـ١١، ص٣٥، الزركلى: الأعلام، جـ٢، ص٣٤٢).

(٣) ابن النديم: المصدر السابق، ص ٣٣٨ ـ ٣٤٠، ٤٩٧، ياقوت: المصدر السابق والجزء والصفحة.

(٤) مصطفى عبد الحميد: نظرية الجاحظ فى الترجمة (مقالة بمجلة المورد، العراق، ص٤٣، المجلد السابع، العدد الرابع، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٨م)

(٥) أحمد شلبى: التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية، جـ٣، ص٢٣١، (الطبعة الرابعة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٣م).

(٦) السيوطى: تاريخ الخلفاء، ص٢٦٩

(٧) ابن النديم: المصدر السابق، ص٣٤٠، مصطفى الغرابى: تاريخ الفرق الإسلامية، ونشأة علم الكلام عند المسلمين، ص١٤، ١٤٥، (مطبعة السعادة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٤٨م).

(٨) ابو الوفاء التفتازانى: علم الكلام وبعض مشكلاته، ص٢٣ (طبعة دار الثقافة والنشر بالقاهرة، ١٩٧٩م).

(٩) حسن أحمد محمود: العالم الإسلامى، ص٢٨١

ويذكـر ابن خلدون[١] أن من الكتب التى أرسلهـا ملك الروم الى أبى جعفـر المنصور كتاب إقليدس، وبعض كتب الطبيعات، فـقرأها المسلمون، واطلعوا على ما فيها، وازدادوا حرصا على الظفر بما بقى منها.

ولما كان زمن الخليفة هاورن الرشيد كان لوقوع بعض المدن الرومانية الشرقية فى حوزة الخلافة أثر كـبير فى نشاط حركـة الترجمة فى عهده، فـأمر بترجمة مـا وصل اليه من كتب اليونان، كما شجع البرامكة فى أيامـه المترجمين بإغداق العطايا عليهم[٢]، وكان البـرامكة يرسلون الرسل لشراء مـخطوطات إغريقيـة من الإمبراطورية البيـزنطية[٣]، وزاد نشـــاط الترجمـة بعد تأسيس الرشيد لمدرسـة جديدة للترجمة هى بيت الحكمـة، ثم تنشيط المأمون لها[٤]، وكانت تضم خزانة للكتب ودارا للعلم ودارا للترجمة[٥]. وقام المسلمون بتوسيعها وتدعيـمهـا، وكـان المأمـون يعطى حنين بن إسـحق من الذهـب وزن ما ينـقله من الكتب اليونانية الى العـربية مثلا بمثل[٦]، وكانت دار الحكمة مركزا من أهم مراكـز الثقافة اليونانية ونشرها بين العرب الذين أقبلوا عليها فى ذلك الحـين إقبالا منقطع النظير، وشجعهم على ذلك إقبال الخليفة نفسه[٧]، ومنح الرشيد العلماء الكثير من الحرية والتكريم، فقد منح مرة أحد العلماء مائة ألف درهم[٨].

(١) المقدمة، ص٤٨٠ (نشر المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة، مصطفى الغرابى: تـاريخ الفرق الإسلامية، ونشأة علم الكلام عند المسلمين، ص٢٦٤

(٢) حسن إبراهيم حـسن: تاريخ الإسلام السياسى، جـ٢، ص٢٧٢ ـ ٢٧٣، جمـال الدين سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية فى الشرق، ص٢٠٦ ـ ٢٠٧، محمد الخضرى: تاريخ الأمم الإسلامية، ص٢١٩

(٣) أوليرى: مسـالك الثقافة الإغريقـية إلى العرب، ص٢٤٩ (ترجمـة: تمام حسان، مطبعة وزارة الثـقافة والإرشاد القومى، نشر عالم الكتب).

(٤) أحمد شـلبى: تاريخ التربية الإسلامـية، ص١٨١، موافى: التيـارات الأجنبية فى الشعـر العربى، ص ١١٨ (الإسكندرية، مؤسسة الثقافة الجامعيـة، ١٩٧٣م)، وديعة النجم: الشعر فى الحاضرة العباسية، ص٢٦، (الكويت، شركة كاظمة، ١٩٧٧م).

(٥) حسن أحمد محمود: العالم الإسلامى، ص٢٧٣

(٦) ابن النديم: الفهرست، ص٤٠٩ ـ ٤١٠، أحمد فريد الرفاعى: عصر المأمون، جـ١، ص٣٧٧

(٧) أوليرى: مسالك الثقـافة الإغريقية إلى العرب، ص٢٤٩، بروكلمان: تاريخ الشـعوب الإسلامية، جـ٢، ص ٢٨ (ترجمة: نبيه أمين فارس، ومنير البعلبكى، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٥٣م)، ماكس مايرهوف: بحث فى تاريخ الفلسفة، ص٥٨ (ضمن كتاب التراث اليونانى، ترجمة: عبد الرحمن بدوى).

(٤) السيوطى: تاريخ الخلفاء، ص٣٨٥

ويعتبر عصر المأمون هو عصر الأزدهار العلمى الذى نشطت فيه حركة الترجمة نشاطا واسع النطاق[١]، وترجمت فى هذا العصر كتب الفلسفة الميتافيزيقية، والأخلاقية، والنفسية[٢]، وكان المأمون أول من فحص علوم الحكمة وحصل كتبها وأمر بنقلها الى العربية[٣].

وقد كان مجلس المأمون عامرا بأنواع المتكلمين، وأمر بترجمة كتب اليونان، وأحضرلها المترجمين من البلاد فترجمت واشتغل بها الناس[٤]، وقد ترجم فى عهد المأمون كثير من الكتب اليونانية نذكر منها: الحكم الذهبية. فيثاغورس، وبعض مصنفات لأبقراط وجالينوس، وكتاب السياسة لأفلاطون، وكتاب المقولات والطبيعيات لأرسطو[٥]. ولم يمض وقت طويل حتى وجد الطلاب من العرب أنه قد تيسر لهم الطلاع فى العربية على الشطر الأكبر من مؤلفات جالينوس وأبقراط وبطليموس وإقليدس وأرسطو وغيرهم[٦].

وكان المأمون يحض الناس على قراءة الكتب التى ترجمت فى أيامه ويرغبهم فى تعلمها، ومن ثم تقدمت الحركة العلمية فى عهده، وتنافس أولو النباهة من العلماء والفقهاء والمحدثين والأدباء والشعراء فى تحسين إنتاجهم، فأجزل لهم العطاء[٧].

كما أن ميل المأمون الى الفلسفة واتساع دائرة معارفه العامة، وتأثره بمذهب الاعتزال دفعه الى ايجاد حركة نقل وتأليف قوية مما أدى الى إقبال العرب وغيرهم على تلك

---

(١) الدميرى: حياة الحيوان الكبرى، جـ١، ص٧٢ (المطبعة الخيرية، القاهرة، ١٣٠٩م)،(على إبراهيم حسن: التاريخ الإسلامى العام، ص٤١٠ مكتبة النهضة المصرية، بدون تاريخ)، بروكلمان: المرجع السابق، جـ٢، ص٣٩

(٢) ابن النديم: المصدر السابق، ص ٣٩٨ ومابعدها، محمد البهى: الجانب الإلهى فى التفكير الإسلامى، جـ١، ص٢٧٥ ـ ٢٧٦ (طبعة القاهرة، ١٩٤٨م).

(٣) ابن الطقطقى: الفخرى فى الآداب السلطانية، ص٢١٦ (طبعة دار صادر، لبنان، بدون تاريخ).

(٤) ابن قيم الجوزية: مختصر الصواعق المرسلة، جـ١، ٢٣١ (مكة المكرمة، ١٣٤٨هـ/ ١٩٢٩م)، زهدى جار الله: المعتزلة، ص ١٦٣

(٥) ابن النديم: الفهرست، ص٣٤٥، أحمد أمين: ضحى الإسلام، جـ١، ص ٢٧٨، جمال الدين سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية، ص ٢٠٨

(٦) أوليرى: علوم اليونان وسبل انتقالها إلى العرب، ص٢٢٧

(٧) جمال الدين سرور: المرجع السابق، ص٢٠٩

المؤلفـــات[1]، أن تولد عندهم علم الكلام، والفـلسفة الأفـلاطونية الجـديدة[2]، وكـثـر الوراقون، وباعة الكتب، وأصبح هم الناس البحث والمطالعة[3].

أرسل الخليفة المأمـون الى ملك الروم ـ ليوالأرمنى[4] ـ يطلب منه أن يبـعث اليه بكتب العلوم المخزونة لديه، وخصص بعثة علمية لذلك[5]، وأرسل أيضا الى قبرص يطلب كتبا يونانيـة من هناك[6]، ويبدو أن بعثات الكشف عن كنوز الكـتب لم تترك مكانا أينعت فيه الثقافة الهللينية إلا ذهبت اليه[7].

وقد قام بالترجمة فى البداية مسيحيون ويهود وغيرهم من دخلوا فى الإسلام[8]، ولكن العبء الأكبـر من الترجمة تحـمله السريان[9]، وكان نصـارى السريان يساهمـون فى نشر الأفلاطونية الحديثة بالعراق وما حوله، وكانوا يتـرجمون من اليونانية الى السريانية ثم يقوم آخرون بالتـرجمة من السـريانية للعـربية[10]، والترجـمة عن طريق السـريانية فـوتت على

(1) الدميرى: حياة الحيوان الكبرى، جـ١، ص٧٢، أحمد فريد الرفاعى: عصر المأمون، جـ١، ص٣٧٧

(2) تنسب إلى أفـلاطون، وقد قـامت فى القـرن الأول قبل الميـلاد وفى القـرنين الأول والثانى الميـلادى، وتعـمل على الفصل التـام بين المبدع الأول وبقـية الموجـودات (عبـد الرحمن بدوى: خـريف الفكر اليونانى، ص١٠٩، الطبعة الخامسة، دار القلم، بيروت ـ لبنان، ١٩٧٩م).

(3) جرجى زيدان: التمدن الإسلامى، جـ٣، ص١٦١

(4) ليـو الأرمنى (٨١٣ ـ ٨٢٠م) ينتمـى إلى أقاليم آسـيا الـصغـرى التى اشتـهـرت بمن يخرج منهـا من العسكريين الذين اشتهروا بالكفاية الحربية والتعـصب ضد عبادة الصور المقدسة، وينتمى إلى أصول شرقية (السيد الباز العرينى: الدولة البيزنطية، ص٢٢٢، دار النهضة المصرية ١٩٦٠م).

(5) ابن النديم: الفهرست، ص٣٣٩، أحـمد أمين: ضحى الإسلام، جـ٢، ص٦٣، جـمال الدين سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية، ص٢٠٧، حسن أحمد محمود: العالم الإسلامى، ص٢٧٢، عصام الدين عبد الرؤوف: الدولة العباسية، ص ١٤٨، محمد الخضرى: الأمم الإسلامية، ص٢٢٠، على إبراهيم حسن: التاريخ الإسلامى العام، ص٤١٠

(6) ابن نباتة: سرح العيـون، ص١٣٣ (طبعـة الإسكندرية، المطبعـة الوطنية، ١٢٩٠هـ)، سـرور: المرجع السابق، ص٤٦ (طبع ونشر دار الفكر العربى، ١٩٧٨م)، فيليب حتى: تاريخ العرب، ص ٢٧٨ (دار غندور للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الخامسة، بيروت، ١٩٧٤م).

(7) حسن أحمد محمود: المرجع السابق والصفحة

(8) حسن أحمد محمود: المرجع السابق، ص٢٧٣ ـ ٢٧٤، موافى: التيارات الأجنبية، ص ١١٨

(9) حسن أحـمد محـمـود: المرجع السابق، ص٢٧٢، مـاجد: العـصر العبـاسى الأول، جـ١، ص٣٥١، موافى: المرجع السابق والصفحة.

(10) دى بور: تاريخ الفلسفة فى الإسلام، ص ٢٨

العرب الاطلاع على كثير من جوانب الثقافة اليونانية التى لم تكن قد نقلت الى السريانية، واكتفى المترجمون بنقل ما توفر لديهم منها(١)، وكان الاعتماد تاما على السريانية فى بداية الاهتمام بالترجمة، واستمر ذلك حتى تمكن من دخلوا الإسلام من العربية ثم صارت الترجمة الى العربية مباشرة، فكان حنين بن إسحق مثلا يترجم فى عهد المتوكل الى السريانى والى العربى(٢)، ويبدو أن هذه الوساطة السريانية فى الترجمة كانت تتم فى النقل عن الاغريقية فقط، فقد ترجم عن الفارسية مباشرة من أجاد اللسانين العربى والفارسى(٣).

ومن أشهر المترجمين فى عهد المأمون حنين بن إسحق(٤)، الذى رحل فى بداية حياته الى بلاد الروم حيث تعلم اليونانية ثم عاد الى البصرة ولازم الخليل بن أحمد فأخذ عنه العربية، وكان حنين بن إسحق يجيد أربع لغات وهى الفارسية واليونانية والسريانية ، ومن أهم ما أمتاز به الترجمة من اليونانية الى العربية والسريانية(٥)، وقد أسند المأمون له الإشراف على دار الحكمة(٦).

ومن أشهر المترجمين أيضا ثابت بن قرة(٧)، وقسطا بن لوقا، وكان جيد الترجمة يتقن

---

(١) وديعة النجم: الشعر فى الحاضرة العباسية، ص٢٦

(٢) القفطى: أخبار العلماء، ص ١١٨، ابن أبى أصيبعة: عيون الأنباء، ص٥٧ (تحقيق: نزار رضا، بيروت، دار مكتبة الحياة، بدون تاريخ).

(٣) ابن النديم: الفهرست، ص٣٤١ ـ ٣٤٢، حسن أحمد محمود: العالم الإسلامى، ص٢٧٣

(٤) هو حنين بن إسحق العبادى (ت ٢٩٨ هـ/ ٩٩١٠م)، طبيب مترجم أفاد العربية بما نقله إليها من كتب الحكمة وشروحها. (ابن النديم: المصدر السابق، ص٤٠٩ ـ ٤١٠، ابن أبى أصيبعة: المصدر السابق، جـ١، ص٢٠١، الزركلى: الأعلام، جـ١، ص٢٨٦).

(٥) ابن النديم: المصدر السابق، ص٤٠٩، جمال الدين سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية، ص٢٠٧ ـ ٢٠٨، حسن أحمد محمود: المرجع السابق، ص٢٧٢، أوليرى: علوم اليونان وسبل انتقالها إلى العرب، ص٢٢٤، ماكس مايرهوف: بحث فى تاريخ التعليم الفلسفى، ص ٥٨، (ضمن كتاب التراث اليونانى فى الحضارة الإسلامية، ترجمة عبد الرحمن بدوى).

(٦) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسى، جـ٢، ص٢٧٤، جمال الدين سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية، ص ٢٠٨، حسن أحمد محمود: العالم الإسلامى، ص٢٧٣

(٨) ثابت بن قرة الحرانى الصابى (ت ٢٢٨هـ/ ٩٠٠م) طبيب وفيلسوف ولد بحران بين دجلة والفرات، واتصل بالمعتضد الخليفة العباسى، وكانت له عنده منزلة رفيعة، وكان يحسن السريانية فترجم عنها كثيراً إلى العربية. (ابن النديم: الفهرست، ص٣٨٠، ابن أبى أصيبعة: عيون الأنباء، جـ٢، ص٣١٥ ـ ٢٢٠، الزركلى:الأعلام، جـ٢، ص٨١

العربية واليونانية والسريانية(١)، وأبى يعقوب بن إسحق الكندى المسمى فيلسوف العرب، وقد كان أول مسلم أتقن علوم اليونان الى حد يدعو الى الدهشة، (٢)، ومن المترجمين عبد المسيح بن ناعمة(٣)، ومن ترجمته كتاب إقليدس، ثم أصلح هذه الترجمة فيما بعد ثابت بن قرة الحرانى(٤).

ومن أشهر المترجمين أيضا: الحجاج بن مطر، وقد ترجم كتاب الأصول فى الهندسة لإقليدس(٥)، وكتاب المجسطى لبطليموس(٦).

ولم تكن العناية بالترجمة مقصورة على الخلفاء العباسيين، بل اهتم جماعة من الأثرياء فى عهد المأمون بنقل كثير من الكتب الى العربية، ومن هؤلاء: بنو شاكر المنجم(٧)، الذين عهدوا الى حنين بن إسحاق بالذهاب الى بلاد الروم، فأحضر اليهم كثيرا من طرائف الكتب والمصنفات فى الفلسفة والهندسة والموسيقى والطب(٨).

وقد ترجم فى عهد المأمون كثير من الكتب اليونانية نذكر منها: الحكم الذهبية لفيثاغورس، وبعض مصنفات لأبقراط وجالينوس، وكتاب السياسة المدنية لأفلاطون،

---

(١) ابن النديم: المصدر السابق، ص٤١٠ ـ ٤١١

(٢) ابن النديم: المصدر السابق، ص٣٤٠ ـ ٣٤١، حسن أحمد محمود: المرجع السابق، ص٢٧٣ ـ ٢٧٤، على سامى النشار: نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام، جـ١، ص٧٣، ماكس مايرهوف: بحث فى تاريخ التعليم الفلسفى، ص٥٩

(٣) هو عبد المسيح بن عبد الله الحمصى الناعمى ـ كان متوسط النقل والترجمة ـ وهو من مترجمى الطبقة الثانية عاش سنة (٢٢٠هـ / ٨٣٥م) (ابن النديم: المصدر السابق، ص٣٤١، ابن أبى أصيبعة: المصدر السابق، جـ١، ص٣٨٠، أحمد فريد الرفاعى: عصر المأمون، جـ١، ص٣٧٩)

(٤) ابن النديم: المصدر السابق والصفحة، حسن أحمد محمود: المرجع السابق، ص٢٧٥

(٥) ابن النديم: الفهرست، ص٣٧١

(٦) ابن النديم: المصدر السابق، ص٣٧٤، أوليرى: علوم اليونان وسبل انتقالها للعرب، ص٢١٥

(٧) بنو شاكر هم: محمد وأحمد والحسن بنو موسى بن شاكر، وكانت لهم همم عالية فى تحصيل العلوم القديمة، وكتب الأوائل، وأتعبوا أنفسهم فى شأنها، وأنفذوا إلى بلاد الروم من أخرجها لهم، وأحضروا النقلة من البلاد والأماكن البعيدة وبذلوا لهم المال. (ابن النديم: المصدر السابق، ص ٣٧٨ ـ ٣٧٩، ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ٤، ص٢٤٧ (تحقيق محيى الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة، ١٩٤٨م).

(٨) ابن النديم: المصدر السابق، ٣٤٠، جمال الدين سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية، ص ٢٠٨، حسن أحمد محمود: العالم الإسلامى ص٢٧٢، محمد الخضرى: تاريخ الأمم الإسلامية، ص٢٢٠

وكتاب المقولات والطبيعيات لأرسطو[١].

والحقيقة أن الترجمة والنقل لا تقل أهمية عن الابتكار، إذ لو أن بحوث أرسطو وجالينوس وبطليموس فقدت ولم تصل الى الناس لأصبح العالم فقيرا فى العلم[٢].

أثر الترجمة عن الإغريقية فى الاعتزال:

لقد فتح المعتزلة النافذة الأولى التى دخل منها فلاسفة المسلمين الى علوم اليونان، إذ دفعهم الجدال الى استقراء الكتب اليونانية المترجمة الى العربية مباشرة أو عن طريق غير مباشر[٣]، وعمل المعتزلة على التوفيق بين الدين الإسلامى وبين الفلسفة اليونانية وذلك جعلهم يتأثرون بالفلسفة كثيرا، ويصبغون بها معظم أقوالهم[٤].

ويرى بعض الباحثين المحدثين أن المسلمين لم يقدموا حتى أيام الخليفة المأمون على ترجمة كتب الفلسفة لاتهام أصحابها بالكفر والزندقة، فلما قال المأمون بالاعتزال، أمر بنقل كتب الفسلفة من اليونانية الى العربية، فتلقى المعتزلة تلك الفلسفة تلقى الظمآن لموارد الماء[٥]، وقد ساعدتهم هذه الترجمة على مطالعة الفكر اليونانى، وقدمت لهم ما يلزم من براهين للدفاع عن التوحيد كما فهموه[٦].

وتأثر المعتزلة بالفلسفة اليونانية فى آرائهم، وأخذوا عنها كثيرا فى استدلالاتهم. فظهرت فى أدلتهم ومقدمات أقيستهم[٧]، ولم يكن تأثير الفكر الإغريقى فى الشكل

---

(١) ابن النديم: المصدر السابق، ص٣٤٥، أحمد أمين: ضحى الإسلام، جـ١، ص ٢٧٨، جمال الدين سرور: المرجع السابق والصفحة.

(٢) حتى: تاريخ العرب، ص ٤٥٨ (ترجمة مبروك، نافع، القاهرة، ١٩٥٣م).

(٣) أحمد أمين: ضحى الإسلام، جـ٣، ص٩٥، إبراهيم أحمد العدوى: تاريخ العالم الإسلامى، جـ١، ص٢٣٩ (الناشر مكتبة الأنجلو ١٩٨٣م، مطبعة جامعة القاهرة).

(٤) أحمد أمين: المرجع السابق والجزء، ص٢٧٤ ـ ٢٧٥، على سامى النشار: نشأة الفكر الفلسفى، جـ١، ص٤٦٩، عصام الدين عبد الرؤوف: الدولة العباسية، ص ١٤٨ (مكتبة نهضة الشرق، جامعة القاهرة، ١٩٨٥، المطبعة التجارية بالقاهرة)، جرجى زيدان: تاريخ التمدن الإسلامى، جـ٣، ص١٦٠ (دار الهلال ١٩٥٨م).

(٥) ابن المرتضى: المنية والأمل، جـ٢، ص١١١

(٦) محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، جـ١، ص١٤٥ (دار الفكر العربى، ١٩٧١م).

فحسب، بل كان تأثيره موضوعيا، فقد أثرت الفلسفة الإغريقية فى تعاليم المتكلمين[١]. وكان المعتزلة أكثر الطوائف الإسلامية تمثلا للفلسفة اليونانية واستخداما لها فى جدلهم الدينى[٢].

قامت المعتزلة بالاستعانة بما استعانت به الأديان المحيطة بها كلها من أسلوب متين، وطريق فلسفى، لإبراز ما كمن فى الدين من الفضائل، فحلت المعتزلة من تاريخ الإسلام محل المدافعين عن حوزة المسيحية فى أول أمرها[٣]، وقد عرف استخدام الفلسفة فى تفسير الدين وتأييده باسم علم الكلام، وعرف الذين استخدموا الفلسفة هذا الاستخدام باسم المتكلمين[٤].

وكان القائمون بعلم الكلام يعملون بأدوات إغريقية، فكانت المصطلحات الإغريقية، ولكنهم كانوا يسلمون بالمقدمات الأساسية الإسلامية، التى كان الفلاسفة يرفضونها[٥]، وحاول علماء الكلام وهم مؤمنون بالقرآن أن يعبروا بعبارات تتطابق مع مبادئ الفلسفة[٦].

استطاع المعتزلة بمقدرة فائقة أن يلائموا بين الثقافة الإسلامية الواضحة والثقافة الهلينية المعقدة، وأن يعرضوا العقيدة الإسلامية فى صورة مقبولة لدى المثقفين الأعاجم[٧].

---

(١) حسن أحمد محمود: العالم الإسلامى، ص٢٧٦

(٢) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسى، جـ٣، ص٢٤٥، عبد الحكيم بلبع: أدب المعتزلة، ص٩٣، بروكلمان: تاريخ الأدب العربى، جـ٤، ص٢٣ (ترجمة: السيد يعقوب بكر، ورمضان عبد التواب الطبعة الثانية، دار المعارف، ١٩٧٧م).

(٣) أحمد أمين: ضحى الإسلام، جـ١، ص٢٣٦، ٢٦٠، جـ٣، ص ٨، نيبرج: مقدمة كتاب الانتصار، ص ٥٨

(٤) عرف الفارابى علم الكلام أنه: صناعة يقتدر بها الإنسان على نصرة الآراء والأفعال المحدودة التى صرح بها واضع الملة، وتزييف كل ما خالفها بالأقاويل (إحصاء العلوم، ص٦٩، تحقيق عثمان أمين، القاهرة، ١٩٣١م) ويعرف الغزالى علم الكلام بأنه: حفظ عقيدة أهل السنة وحراستها من تشويش أهل البدعة (المنقذ من الضلال، ص٦، طبعة دار الكتب الحديثة، ١٣٨٥هـ)، عامر النجار: علم الكلام، ص٧ ـ ١٥ (طبعة دار المعارف، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م).

(٥) هاملتون جب: دراسات فى حضارة الإسلام، ص٢٧٦، ٤١٢ (ترجمة: احسان عباس، محمد نجم، محمود زايد، نشر دار العلم للملايين مع مؤسسة فرانكلين للطباعة، ١٩٦٤م) ديبور: تاريخ الفلسفة فى الإسلام، ص٣١٦ (ترجمة: عبد الهادى أبو ريدة، الطبعة الرابعة، ١٩٥٧م)

(٦) أوليرى: الفكر العربى ومكانه فى التاريخ، ص٢٢١ (ترجمة: تمام حسان، طبع وزارة الثقافة والإرشاد القومى، نشر عالم الكتب).

(٧) عبد الحكيم بلبع: أدب المعتزلة، ص١١٦

HANILTON, A. R. MOHAMEDANSIM, P P. 88 - 89 (MENTOR, 1955).

وقد دفع المعتزلة الى دراسة هذه الفسلة نهمهم العقلى، وشغفهم الفكرى، ولأن الفلاسفة وغيرهم قد هاجموا بعض المبادئ الإسلامية، فتصدوا للرد عليهم، واستخدموا بعض طرقهم فى النظر والجدل فكانوا بحق فلاسفة المسلمين[١].

وقد شغف الخليفة المأمون بالفكر الإغريقى شغفا كان يشغله حتى فى نومه[٢].

ويرى بعض الباحثين المحدثين أن نصارى المناطقة وفلاسفتهم قد أدركوا فى وقت مبكر أن نقل هذه الفلسفة الى المسلمين هو إحدى وسائلهم لتقويض العقائد الإسلامية[٣]، وقد تزعم أهل الذمة حركة الترجمة وبرعوا فيها، وأخلصوا لها كل الإخلاص[٤].

ويبدو أن رأى المعتزلة فى نفى الصفات ونفى الرؤية، ونفى الجهة، والتشبيه، والتجسيم، والحلول فى مكان، والقول بخلق القرآن، كان متأثرا بمذاهب الفلسفة اليونانية ونظرياتها[٥]، وقد جاء وقت كادت جهودهم فيه تقتصر على البحث فى مواضع الفلسفة البحتة كالحركة والسكون، والجوهر، والعرض، والموجود، والمعدوم، والجزء الذى لا يتجزأ[٦].

---

(١) ابن خلدون: المقدمة، ص٤١٥، ٤٩٥ ـ ٤٩٦ (نشر المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة)، محمد ابو زهرة: تاريخ الفرق الإسلامية، جـ١، ص١٤٥، ابن حزم، ص١٤٥ (دار الفكر العربى، ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م).

(٢) رأى المأمون فى منامه كأن رجلا أبيض اللون، مشربا حمرة، واسع الجبهة، مقرون الحاجب، أجلح الرأس، أشهل العينين، حسن الشمائل، جالسا على سريره. قال المأمون: وكأنى بين يديه قد ملئت له هيبة، فقلت من أنت؟ قال أنا أرسططاليس! فسررت به وقلت: أيها الحكيم! أسألك:؟ قال: سل، قلت: ما الحسن؟ قال: ما حسن فى العقل! قلت: ثم ماذا؟ قال: ما حسن فى الشرع! قلت: ثم ماذا؟ قال: ما حسن عند الجمهور! قلت ثم ماذا؟ قال: ثم لاثم! (ابن النديم: الفهرست، ص٣٣٩، حسن أحمد محمود: العالم الإسلامى، ص٢٧٢).

(٣) على سامى النشار: نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام، جـ١، ص٧٧

(٤) ابن النديم: الفهرست، ص٣٤٠ ـ ٣٤١، حسن أحمد محمود: العالم الإسلامى، ص٢٧٤

(٥) الأشعرى: مقالات الإسلاميين، جـ١، ص ٢٣٨، ٢٨١، ٣٨٤، الإبانة عن أصول الديانة، ص٨٧، الشهرستانى: الملل والنحل، جـ١، ص٥١ وما بعدها، ابن المرتضى: المنية والأمل، جـ٢، ص١١٠، ١١٤، ١١٥، عبد الحكيم بلبع: أدب المعتزلة، ص١٢٥

(٦) الأشعرى: مقالات الإسلاميين، جـ٢، ص ٨، ٢٣، ٤٣، النيسابورى: المسائل فى الخلاف بين البصريين والبغداديين، ص٢٩، ١٧٣، ابن المرتضى: المصدر السابق والجزء، ص١١٦ ـ ١٢٠، ١٤٢، زهدى جار الله: المعتزلة، ص٥٠

يقول «ستينر Stainer» إن الاعتزال فى تطوراته كان متأثرا بالفلسفة الإغريقية(١)، ويظهر أثر أرسطو واضحا فى تعريف الصلاح والأصلح عند المعتزلة(٢).

وأخذوا عنه فكرة الهيولى، وهى المادة الأولى للخلق، والتى تكتسب صورتها النهائية مع الوجود، وأخذوا عن أفلاطون فكرة المثل(٣)، وكان أثر أرسطو أقوى من أثر افلاطون وأفلوطين عند المعتزلة، لأن أرسطو قال بالهيولى، وفكرة العدم عند المعتزلة كبيرة الشبه بقول أرسطو(٤).

وقد أفسح النظام للفلسفة اليونانية مجالا فى علم الكلام، واستعان بكثير من مباحثها فى المسائل الكلامية التى عالجها(٥)، وهو أول من يمثل الحضارة اليونانية تمثيلا واضحا، واستنبط من كلام الفلاسفة رسائل ومسائل وخلطها بكلام المعتزلة(٦)، وكان يحفظ كتب ارسططاليس(٧)، ويناقضها(٨)، وقد أطلع على كثير من كتب الفلاسفة، وجعل المذهب

---

(1) NICHOLSON: ALITERARY HISTORY OF ARABS, P. 369 (CAMBRIDGE AT THE UNIVERSITY PRESS 1953).

(٢) ابن المرتضى: المنية والأمل، جـ٢، ص١١٥

(٣) يقول ابن المرتضى: وهكذا يكون أرسطو وأفلاطون قد ساعدا المعتزلة فى صيانة التوحيد، وفى رد التشبيه، وفى القول بالخلق فى الزمان (المصدر السابق والجزء، ص١٤٠).

(٤) ابن المرتضى: المصدر السابق والجزء، ص١٤١

(٥) البغدادى: الفرق بين الفرق، ص٥، الشهرستانى: الملل والنحل، جـ١، ص٦٠ ـ ٦١، أبو الوفاء التفتازانى: علم الكلام وبعض مشكلاته، ص١١٧

(٦) ابن نباته: سرح العيون على رسالة ابن زيدون، ص١٢٣ (المطبعة الوطنية، الإسكندرية، ١٢٩٠هـ)، أبو ريدة: إبراهيم بن سيار النظام، ص٦٦ (طبع القاهرة، ١٩٣٠م).

(٧) معناه محب الحكمة، أو الفاضل الكامل، وكان من البلغاء اليونانيين ومن أجل علمائهم، لقب بالمعلم الأول، وهو واضع التعاليم المنطقية ومخرجها من القوة إلى الفعل، وهو من أهل اسطاخوا باليونان، وكان الإسكندر يستشيره فى الأمور، وتوفى فى سنة ٦٦ فى أواخر أيام الإسكندر (ابن النديم: الفهرست، ص٣٤٥ ـ ٣٤٧، الشهرستانى: المصدر السابق، جـ٣، ص١٠٣ ـ ١٠٤، القفطى: أخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص٢١ ـ ٢٢).

(٨) يروى القاضى عبد الجبار: (أن جعفر بن يحيى البرمكى ذكر أرسطاليس، فقال النظام له: قد نقضت عليه كتابه، فقال جعفر: كيف؟ وأنت لاتحسن أن تقرأه، فقال: أيما أحب إليك، أن أقرأه من أوله إلى آخره، أم من آخره إلى أوله؟، ثم اندفع يذكر شيئا فشيئا، وينقض عليه، فتعجب منه جعفر) (فضل الأعتزال وطبقات المعتزلة، ص٢٦٤ ـ ٢٦٥ ابن المرتضى: المنية والأمل، جـ١، ص ٤٨).

الكلامى فلسفة نظرية صدرت عن أصالة مطلقة وفكر مبدع[١]، وبحث فى مسألة الجزء الذى لا يتجزأ أو الذرة، وهى قضية دار حولها الجدل طويلا فى الفلسفة اليونانية[٢]، ومن كتبه الجزء، وحركة الأجسام[٣].

وأظهر ما كان التأثير الفلسفى فى أبى فى أبى الهذيل العلاف، حيث وافق الفلاسفة فى القول بأن البارى تعالى عليم بعلم وعلمه ذاته[٤]، ومذهبه فى إثبات الجزء الذى لا يتجزأ مقتبس من الفلسفةاليونانية[٥]، ويذكر النظام تلميذ العلاف: أنه نظر فى كتب الفلسفة، فلما وصل الى البصرة كان يعتقد أنه قد علم من الفلسفة ما لم يكن يعلمه أبو الهذيل، فلما ناظر أبا الهذيل فى ذلك، خيل اليه أنه لم يكن متشاغلا قط إلا به لتصرفه فيه[٦].

وقد اقتبس أبو الهذيل مسائل كثيرة من الفلسفة اليونانية طبيعية والهية، وبحث فى حواس الإنسان وإدراكه، وهذه الموضوعات قد بحثت فى الفلسفة اليونانية، فأخذها وكون له فيها رأيا خاصا عرضه على المسلمين[٧].

قال الجاحظ: «لا يكون المتكلم جامعا لأقطار الكلام، متمكنا من الصناعة يصلح للرياسة، حتى يكون الذى يحسن من كلام الدين فى وزن ما يحسن من كلام الفلسفة، والعالم عندنا هو الذى يجمعها[٨]، وقد طالع الجاحظ كثيرا من كتب الفلسفة[٩]، وكان

---

(١) ابن نباته: سرح العيون، ص١٢٢ ـ ١٢٣، على سامى النشار: نشأة الفكر الفلسفى، جـ١، ص ٥٧٨

(٢) الأشعرى: مقالات الإسلاميين، جـ٢، ص١٧، ابن المرتضى: المنية والأمل، جـ٢، ص١٤٤، أحمد أمين: ضحى الإسلام جـ٣، ص١٢٤

(٣) الأشعرى: المصدر السابق والجزء، ص١٥، ٢٢

(٤) الشهرستانى: الملل والنحل، جـ١، ص٥٧، ابن المرتضى: المصدر السابق والجزء، ص١٥٥

(٥) الأشعرى: المصدر السابق والجزء، ص١٤ البغدادى: الفرق بين الفرق، ص١١٣

(٦) القاضى عبد الجبار: فضل الاعتزال، ص٢٥٤، ابن المرتضى: المصدر السابق، جـ١، ص٤٤، أحمد أمين: ضحى الإسلام، جـ٣، ص٩٩

(٧) الأشعرى: مقالات الإسلاميين، جـ١، ص٣٠٠، ٣٠٢، ٣٠٥، أحمد أمين: ضحى الإسلام، جـ٣، ص١٠٣ ـ ١٠٤

(٨) الحيوان، جـ٢، ص١٣٤ (تحقيق وشرح عبد السلام هارون، الطبعة الثانية، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م، مطبعة مصطفى البابى الحلبى).

(٩) الشهرستانى: الملل والنحل، جـ١، ص٨٠، ابن المرتضى: المنية والأمل، جـ٢، ص١٧٤

ميله الى الفلاسفة الطبيعيين أكثر من الى الإلهيين[1]، وكان ينقل فى مؤلفاته عن أرسطوطاليس[2]، كذلك وردت فى هذه المؤلفات أسماء كتب يونانية مثل «الآثار العلوية» لأرسطوطاليس، وكتاب «الفصول» لأبقراط، و«المجسطى» و«الفراسة» لأفليمون[3].

ودخلت الثقافة اليونانية العقل العربى، ودخلت عقل الجاحظ فانفعل بها وتأثر[4]، ونرى ذلك فى ميل الجاحظ السوفسطائى بالكتابة عن الشئ وضده على أساس جدلى[5]، ويبلغ به الاقتدار حتى يعمل الشئ ونقيضه، ويحتج لفضل السودان على البيضان، ونجده يحتج مرة للعثمانية على الرافضة ومرة للزيدية على العثمانية وأهل السنة[6].

ثم كان تأثير الفسلفة قويا أيضا فى بشر بن المعتمر، الذى أفرط فى قوله بالتولد، ومال فيه الى الطبيعيين من الفلاسفة[7].

ويعتبر معمر بن عباد السلمى من أكبر فلاسفة المعتزلة، وأكثرهم صلة بالفلسفة[8]، يذكر الشهرستانى: أن معمرا أخذ من الفلاسفة قوله أن الله تعالى محال أن يعلم نفسه، وقولة إن الانسان معنى أو جوهر غير الجسد[9].

ونرى أن ثمامة بن الأشرس يقرر أن العالم نشأ عن طبيعة الله، وهذا يؤدى حتما الى

---

(١) ابن المرتضى: المصدر السابق والجزء، ص١٧٥

(٢) الجاحظ: المصدر السابق، جـ٧، ص٣٣٠ ـ ٣٧١، وديعة النجم: منقولات الجاحظ عن أرسطو فى كتاب الحيوان، ص٢٩ ـ ٣٤، ص٨٦ ـ ٨٨ (منشورات معهد المخطوطات العربية، ١٩٨٥م).

(٣) الجاحظ: المصدر السابق، جـ١، ص٨٠، ١٠٢، جـ٣، ص١٤٦، ومابعدها، جـ٦، ص٢٨٠

(٤) وديعة النجم: الجاحظ والحاضرة العباسية، ص٧ (بغداد، مطبعة الإرشاد، ١٩٦٥م) طه الحاجرى: مقدمة كتاب البخلاء للجاحظ، ص٢٣ (مصر، دار المعارف، الطبعة السادسة، ١٩٨١م)، مجيد عبد الحميد ناجى: البلاغة العربية من الجاحظ إلى ابن المعتز، ص٨٩ ـ ٩٠، ١٦١ (العراق، مطبعة الآداب، النجف ١٩٧٦م).

(٥) محمد عمارة: الشك المنهجى عند الجاحظ، ص٣٥ (مقالة بمجلة العربى، العدد ٢٢٧، أكتوبر ١٩٧٧م، الكويت).

(٦) ابن قتيبة: تأويل مختلف الحديث، ص٥٩ ـ ٦٠ (تحقيق محمد النجار، القاهرة، ١٩٦٦م).

(٧) البغدادى: الفرق بين الفرق، ص١٤٣، الشهرستانى: الملل والنحل، جـ١، ص٧٠ ـ ٧١، ابن المرتضى: المنية والأمل، جـ٢، ص١٦٦

(٨) ابن المرتضى: المصدر السابق والجزء، ص١٦٩، على سامى النشار: نشأة الفكر الفلسفى، جـ١، ص٥٧٩

(٩) المصدر السابق، والجزء، ص٧٢ ـ ٧٤

القــول بقدم العــالم، لأن طبــيعــة الله لا تتــغيــر، وهذا مــتأثر بآراء أرســطو فى قدم العــالم وطبيعته[1].

واتفق كل من أبى الهذيل العلاف والنظام والجبائى مع أرسطو فى تعريفهم للحركة[2]، ويقول المعــتزلة: إن العناصر لا توجد مــفارقة، بل الجســم الحقيقى الطبــيعى هو المركب من هذه العناصــر، فكأن نظريــة الجسم عــند المعتــزلة، نتــيــجــة لتــأثر نظريات ديمــوقــريطس، وأنباذوقليس، وأرسطو[3].

وقد ترك المنطق الاغريقى أثرا كبيرا فى الحياة العقلية فى العصر العباسى الأول، فقد أثر فى طريقة الجدل والبحث والتعبير والتدليل، وكــانت أساليب المتكلمين متأثرة الى حد بعيد بمنــطق أرســطو[4]. وقد تناول المعتــزلة من كتب اليونان ما واءم عقولهم، وأعــجبوا بما نقل اليهم عن فلاسفة اليونان[5].

تلك كانت أهم المسائل الفلسفية التى خاض فيها فلاسفة المعتزلة ومتكلموهم.

(١) المصدر السابق والجزء، ص ٧٨، أحمد أمين: ضحى الإسلام، جـ٣، ص١٦٠

(٢) لقد أعــتبر من أبى الــهذيل والنظام والجبــائى الحركة كــونا، وقال أرسطو: إن الكون هو تحــول جوهر أدنى إلى جوهر أعلى (ابن المرتضى: المصدر السابق والجزء، ص١٤٥ ـ ١٤٦).

(٣) ابن المرتضى: المنية والأمل، جـ٢، ص١٤٢

(٤) حسن أحمد محمود: العالم الإسلامى، ص٢٧٦

(٥) محمد عبده: رسالة التوحيد، ص١٥، ١٩ (مطابع دار الشعب، بدون تاريخ).

٤. المعتزلة والحياة الأدبية

يرى بعض الباحثين المحدثين أن المعتزلة يمثلون ظاهرة فكرية وأدبية جديدة، لأن الفكر الجديد يحمل فى ثناياه معالم تيارات أدبية تمثل روحه، وتتشكل بقيمه وأهدافه(١)، وأدرك المعتزلة أثر الأدب فى إكمال الثقافة وتنوير العقول، فانكبوا عليه يدرسونه ويتزودن منه، وقد رغبهم فيه أنهم كانوا دعاة مقالة ورؤساء نحلة، وذلك يتطلب فصاحة فى اللسان ومقدرة على البيان(٢)، يقول الجاحظ: لا تكلم العامة بكلام الخاصة ولا الخاصة بكلام العامة(٣).

ولقد أغنى المعتزلة الأدب من حيث المعانى وقوة العقل، وتوليد الأفكار العقلية وجعلوا من موضوعاته: الحيوان، والبخلاء، والقيان، والتجار، والمعلمون، إلى غير ذلك من موضوعات لم تكن موجودة من قبل فى الأدب، وكان النظام يقول: «العلم شئ لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك، فإذا أعطيته كلك فأنت من إعطائه لك البعض على خطر»(٤)، والجاحظ يقول: «ينبغى للكاتب أن يكون رقيق حواشى الكلام، عذب ينابيعه، إذا حاور سدد سهم الصواب إلى غرض المعنى»(٥).

كان أدب المعتزلة انعكاسا لقضايا كثيرة، انبعثت من خلال ثقافاتهم الواسعة العميقة، وكان شغل المعتزلى هو الحديث عن مذهبه، والدفاع عن دينه، مزودا بما ألم به من ثقافة تعينه على ذلك الدفاع(٦).

بذل أهل السنة جهودهم لمحاربة آراء المعتزلة، وشنوا الغارة على كتبهم ومصنفاتهم بالإحراق والتدمير، لذلك لانرى بين أيدينا من هذا التراث الاجزءاً يسيرا(٧)، كان سببا فى

---

(١) عبد الحكيم بلبع: أدب المعتزلة، ص١٧٣ (الطبعة الثالثة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ١٩٧٩م).

(٢) زهدي جار الله: المعتزلة، ص٢٢٣ ـ ٢٢٤

(٣) الشريف المرتضى: الأمالى، جـ١، ص١٩٥ ـ ١٩٦

(٤) الخطيب البغدادى: تاريخ بغداد، جـ٦، ص٦٧، ابن نباته: سرح العيون، ص١٢٥

(٥) الشريف المرتضى: المصدر السابق والجزء والصفحة، ياقوت الحموى: معجم الأدباء، جـ١٦، ص٨٧

(١) عبد الحكيم بلبع: أدب المعتزلة، ص١٦٦

(٢) نيبرج: مقدمة كتاب الانتصار للخياط، ص١٠، أبو ريدة: إبراهيم بن سيار النظام وأراؤه الكلامية، ص٧٣

ضـياع كـثيـر من آثارهم، واندثار أكـثـر مناظراتهم، ومـا بقى منها يعـطينا صورة عن قـوة جدلهم[1].

أولا: النثر:

يرى شوقى ضيف أن المسألة لم تقف عند احتفاظ المعتزلة بالقوالب العربية، وأوضاعها اللغوية، وتذليلها للمعانى العلمية والفلسفية، بل امتدت إلى أسلوب مولد جديد، قام على هجر كثير من الألفاظ البدوية الجافة مع العناية بفصاحة اللفظ وجزالته[2].

قيل لعمرو بن عبيد: ما البلاغة؟ قال: هى تخير الألفاظ فى حسن إفهام، وتزيين المعانى فى قلوب المستـفهمين، بالألفاظ الحـسنة، رغبة فى سرعـة استجابتـهم، ونفى الشواغل عن قلوبهم، بالموعظة الناطقـة عن الكتاب والسنة[3]، وقد عرف الرمانى المعتزلى البلاغة بأنها: «إيصـال المعنى إلى القلب فى أحـسن صـورة من اللفظ»[4]، وقـال أحـمـد بن أبى دؤاد: تلخيص المعانى رفق، والاستعانة بالغريب عجز، والخروج عما بنى عليه الكلام إسهاب[5]. ويرسم بشر بن المعتمر للكاتب طريقه فيقول: «خذ من نفسك ساعة نشاطك، وفراغ بالك، وإجابتها إياك، فـإن قليل تلك الساعة أكرم جوهرا، وأشرف حسبـا، وأحسن فى الأسماع، وأجلى فى الصدور»[6].

ولقد تهـيأت للنثـر أسباب كـثيـرة فى هذا العصر لـكى ينمو ويزدهر، فقـد أخذ يمـتد ليستوعب العلوم والفلسفة.

الخطب والمواعظ:

أخـذت الخطابة الدينيـة فى هذا العصـر تضـعف على لسان الولاة، والخـلفاء، ولكنهـا

---

(٣) محمـد أبو زهرة: أبو حنيفة، ص ١٧٨، تاريخ الجـدل، ص٢١٥، (الطبعة الثانيـة، دار الفكر العربى، ١٩٨٠م).

(٤) العصر العباسى الأول، ص٤٤٣ (الطبعة السادسة، دار المعارف بمصر، ١٩٦٦م).

(٥) الجاحظ: البيان والتبيين، جـ١، ص١١٤، ابن عـبد ربه: العـقد الفريد، جـ٢، ص٩٢، عبد الجبار: فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، ص٢٢٤، الحصرى: زهر الآداب، جـ١، ص١٠٢

(١) النكت فى إعجاز الـقرآن، ص٧٥ (ضمن ثلاث رسائل فى إعجـاز القرآن، تحقيق: مـحمد خلف الله أحمد، ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، الطبعة الثانية، مصر ١٩٦٨م)

(٢) ابن عبد ربه: العقد الفريد، جـ٢، ص١٣٣

(٣) الجاحظ: البيان والتبيين، جـ١، ص١٣٥ ـ ١٣٦

أينعت فى بيئة الوعاظ والنساك ممن تزخر بهم مساجد بغداد والبصرة والكوفة، وكانوا أخلاطا من الزهاد والفقهاء والمحدثين والمتكلمين[1]، وكان واصل بن عطاء وأنصاره يجوبون البلاد، داعين إلى الله يخطبون ويناظرون[2]، وكان ألثغ فى حرف الراء، يخلص كلامه منها[3]، ولا يفطن لذلك لسهولة ألفاظه واقتداره[4]، وفى حفل جامع بالعراق، وبين يدى واليه عبد الله بن عمر بن عبد العزيز (١٢٦ ـ ١٢٩هـ/ ٧٤٣م ـ ٧٤٦م) وقف واصل وارتجل خطبته المشهورة التى جانب فيها الراء فنال الإعجاب والتقدير[5].

وهناك نموذج آخر من خطب واصل، قالها ردا على خطبة لجعفر بن محمد الصادق وكان قد رمى واصل بأنه يفرق الجماعة[6].

ويحكى ابن المرتضى أن جعفر بن مبشر كان واعظا وقد رد مال تاجر حتى لا يأخذ أجرا عن الموعظة[7]، ودخل عمرو بن عبيد على الخليفة المنصور يوما فقال له الخليفة: عظنى، فقال عمرو: ان الله اعطاك الدنيا بأسرها، فاشتر نفسك ببعضها، واذكر ليلة تمخض عن يوم لا ليلة بعده، فوجم أبو جعفر من قوله[8].

---

(١) شوقى ضيف: العصر العباسى الأول، ص٤٤٩ وما بعدها.

(٢) ابن المرتضى: المنية والأمل، جـ١، ص٣٥

(٣) دفع إليه رقعة مضمونها: أمر الأمير الأمراء الكرام أن يحفر بئر على قارعة الطريق فيشرب منه الصادر والوارد، فقرأ على الفور: حكم حاكم الحكام الفخام، أن ينبش جب على جادة الممشى فيسقى منه الصادى والغادى، فغير كل لفظ برديفه، وهذا من عجب الاقتدار (ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، جـ١، ص١٨٢ ـ ١٨٣، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م).

(٤) المبرد: الكامل فى اللغة والأدب، جـ٢، ص١٤٤، ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ٤، ص٦١، ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، جـ١، ص١٨٢ ـ ١٨٣، رشيد يوسف عطا الله: تاريخ الآداب العربية، جـ١، ص٤٥٢

(٥) الجاحظ: البيان والتبيين، جـ١، ص٢٤، ياقوت الحموى: معجم الأدباء، جـ١٩، ص٢٤٣ ـ ٢٤٧، نوادر المخطوطات، جـ٢، ص١٣٤ وما بعدها (تحقيق: عبد السلام هارون، طبع القاهرة، ١٩٥١م).

(٦) قال واصل: الحمد لله، العدل فى قضائه، الجواد بعطائه، المتعالى عن كل مذموم، والعالم بكل خفى مكتوم.. (ابن المرتضى: المنية والأمل، جـ١، ص٣٦).

(٧) المصدر السابق، والجزء، ص٦٥

(٨) ابن قتيبة الدينورى: عيون الأخبار، جـ٢، ص٣٣٧، الخطيب البغدادى: تاريخ بغداد، جـ١٢، ص١٦٦ ـ ١٦٨

المناظرات والجدل:

المعتزلة هم أول من أبرز ذلك الاتجاه فى النثر العربى، وتعتمد المناظرات على البراعة فى استخدام الدليل، وعلى المنطق فى إفحام الخصم وإلزامه بالحجة، وكانت مظهرا للفصاحة واللسن[١]، واتسعت فى العصر العباسى المناظرات الكلامية، وحمل لواءها المعتزلة من أصحاب واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد[٢]، ويشيد الجاحظ بالمتكلمين فيقول: «لولا مكانة المتكلمين لهلكت العوام من جميع الأمم[٣].

وكان بالبصرة عدد كير من المتكلمين[٤] وقد أرسل واصل بن عطاء أحد أصحابه الى جهم بن صفوان فناظره وانتصر عليه[٥]، وقد صحب مجوسى معتزلى فقال: ما بالك لا تسلم؟ فقال: حتى يشاء الله، فقال: قد شاء ولكن الشيطان لا يدعك، فقال: أنا مع أقواهما[٦].

ومن أشهر المعتزلة فى الجدال والمناظرة، أبو الهذيل العلاف، حيث أفحم وحده ثلاثة آلاف من خصومه وحملهم على الدخول فى الاسلام[٧]، ومن تلك المناظرات ما حكى عن

---

(١) طاش كبرى زادة: مفتاح السعادة، جـ٢، ص١٥٤، محمد ابو زهرة: تاريخ الجدل، ص٢١٤، عبد الحكيم بلبع: أدب المعتزلة، ص٢٠٤

(٢) ابن المرتضى: المنية والأمل، جـ١، ص٣١ ـ ٤١، شوقى ضيف: الفن ومذاهبه فى النثر العربى، ص١٢٧ (الطبعة الثامنة، دار المعارف، ١٩٧٧م).

(٣) الحيوان، جـ٤، ص٢٠٦

(٤) يروى الأصفهانى أنه: كان بالبصرة ستة من أصحاب الكلام: عمرو بن عبيد، وواصل بن عطاء، وبشار الأعمى، وصالح بن عبد القدوس، وعبد الكريم بن أبى العوجاء، وجرير بن حازم الأزدى، فكانوا يجتمعون فى منزل الأزدى ويختصمون عنده، فأما عمرو وواصل فصارا إلى الاعتزال، وأما عبد الكريم وصالح فصححا التوبة، وأما بشار فبقى متحيرا مخلطا وأما الأزدى فمال إلى السمنية، وهو مذهب من مذاهب الهند (الأغانى، جـ٣، ص٩٩٢ ـ ٩٣٣، تحقيق: إبراهيم الابيارى، طبعة الشعب، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م).

(٥) القاضى عبد الجبار: طبقات المعتزلة، ص٢٦٧، ابن المرتضى: المصدر السابق والجزء، ص٣٥

(٦) الراغب الاصفهانى: محاضرات الأدباء، جـ٤، ص٤٢٥ (دار مكتبة الحياة، بيروت، بدون تاريخ).

(٧) أتى رجل إلى أبى الهذيل فقال له: أشكل على آيات من القرآن توهمنى أنها متناقضة، وآيات توهمنى أنها ملحونة، قال: فهل أجيبك بالجملة، أو تسألنى آية آية؟ قال: بل تجيبنى بالجملة، فقال أبو الهذيل: هل تعلم أن محمدا كان من أوسط العرب، وغير مطعون عليه فى لغته، وأنه كان عند قومه من أعقل العرب فلم يكن مطعونا عليه؟ وأخذ أبو الهذيل يجادل الرجل حتى قال: كفانى هذا (القاضى عبد الجبار: طبقات المعتزلة، ص٢٥٤، ابن المرتضى: المنية والأمل، جـ١، ص٤٤ ـ ٤٥، أحمد أمين: =

عمرو بن عبيد أنه نازعه رجل فى القدر، فانتصر عمرو عليه[1]، ومن المبرزين فى المناظرة من المعتزلة، ابراهيم النظام، فقد ناظر الزنادقة والمجوسية[2] والدهرية[3]، والثنوية[4]، وناقض كثيرا من آراء الفلاسفة[5]، وكان ثمامة بن الأشرس من جلة المتكلمين[6]، وقد ناظر أبا العتاهية وانتصر عليه فى حضرة المأمون[7].

= ضحى الإسلام، جـ٣، ص١٠١، ويروى أن صالح بن عبد القدوس مات له ولد، وكان شديد الجزع عليه فلقى أبا الهذيل العلاف، فقال له: لا أعرف لجزعك عليه وجها، قال صالح: إنما أجزع عليه لأنه لم يقرأ كتاب الشكوك، وهو كتاب وضعته من قرأ فيه شك فيما كان حتى يتوهم أنه لم يكن، وفيما لم يكن حتى يظن أنه كان، قال أبو الهذيل: فشك أنت فى موت ابنك وأفرض أنه لم يمت، وأن كان قد مات، وشك أيضا فى أنه قرأ الكتاب وأن لم يقرأه (ابن النديم: تكملة الفهرست، ص٢، الشريف المرتضى: آمالى المرتضى، جـ١، ص١٨١، ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ٣، ص٣٩٦، ابن نباته: سرح العيون، ص١٢٤، ابن المرتضى: المصدر السابق والجزء، ص٤٥).

(١) قال عمرو: ان الله تعالى قال فى كتابه ما يزيل الشك فى قلوب المؤمنين فى القضاء والقدر، قال تعالى: «فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون» (سورة الحجر، آية: ٩٢ ـ ٩٣) ولم يقل لنسألنهم عما قضيت عليهم، وأقدرته فيهم، أو أردته منهم أو شئته لهم، وليس بعد هذا الأمر إلا الإقرار بالعدل أو السكوت عن الجور (الشريف المرتضى: المصدر السابق والجزء، ص١٧٧).

(٢) المجوسية، أثبتوا خالقين أثنين مدبرين قديمين يقتسمان الخير والشر والنفع والضر والصلاح والفساد، وزعموا أن الخالقين لايجوز أن يكونا قديمين أزليين. بل النور أزلى والظلمة محدثة (البغدادى: الفرق بين الفرق، ص٢٦٩، الاسفراييني: التبصير فى الدين، ص٨٩، الشهرستانى الملل والنحل، جـ٢، ص٥٩).

(٣) الدهرية: يقولون بقدم العالم وينكرون الصانع (الاسفراييني: التبصير فى الدين، ص٨٩

(٤) الثنوية: هؤلاء أصحاب الاثنين الأزليين يزعمون أن النور والظلمة أزليان قديمان، والنور فاعل الخيرات والمنافع، والظلام فاعل الشرور والمضار (البغدادى: الفرق بين الفرق، ص٢٦٩، الشهرستانى: الملل والنحل، جـ٢، ص٦٥).

(٥) الخياط: الانتصار، ص٣٠ ـ ٣١

(٦) ابن النديم: تكملة الفهرست، ص٢ ـ ٣، ابن المرتضى: المنية والأمل، جـ١، ص٥٥

(٧) سأل أبو العتاهية ثمامة بعد أن حرك يده، فقال: من حرك هذه؟ فقال ثمامة: من فعل بأمه فقال أبو العتاهية: يا أمير المؤمنين شتمنى، فقال ثمامة: يا جاهل، تحرك يدل ثم تقول من حركها؟ فإن كان الله حركها فلم اشتمك، وان كنت أنت المحرك لها فهذا قولى قال المأمون: عندك زيادة فى المسألة؟ (ابن عبد ربه: العقد الفريد، جـ٢، ص٢٢١، القاضى عبد الجبار: فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، ص٢٧٤، الخطيب البغدادى: تاريخ بغداد، جـ٧، ص١٤٦ ـ ١٤٧، ابن نباته: سرح العيون، ص٢٥٤، ابن المرتضى: المصدر السابق، جـ١، ص٥٦).

الوصف:

يقول أبو الهـذيل العلاف فى وصف العشق: «العشق يختـم على النواظر، ويطبع على الأفئدة، مرتعـه الأجسام، ومشرعه الأكـباد، وصاحبه متصـرف الظنون، متفنن الأوهام، لا يصفو له مرجو، ولا يسلم له مدعو، تسرع اليه النوائب، وهو جرعة من نقيع الموت[1].

سأل الخليل بن أحمد النظام أن يصف له قدحـا من الزجاج فقال: أبمدح أم بذم؟ قال: بمدح، قال تريك القذى، وتقيك الأذى، وتستر ما ورى، قـال: فذمها، قال: سريع كسرها، بطئ جبرها، قال: فصف هذه النخلة، قال: أبمدح أم بذم؟ قال: بمدح. قال: حلو مجتباها، باسق منتهـاها، ناضر أعلاها. قـال: فذمهـا. قال: وهى صعـبة المرتقى، بعـيدة المجـتبى، محفوفة بالأذى[2].

وقد وصف الجاحظ اللسان فـقال: «هو أداة يظهر بها البيان، وشاهد يعبـر عن الضمير، وحاكم يفـصل الخطاب، وناطق به الجواب ، وشافع تدرك به الحاجـة، وواصف تعرف به الأشياء، وواعظ ينهـى عن القبيح»[3]. وقال أيضا فى وصف الكتـاب «والكتاب وعاء ملئ علمـا، وظرف حشى ظرفـا، واناء شحن مـزاحا وجـدا، ينطق عن المـوتى، ويترجم كـلام الأحياء[4]، وقد وصف العتابى[5] رجلا بليغا فقال: كان يظهر ما غمض من الحجة، ويصور الباطل فى صورة الحق، ويفهمك الحاجة من غير إعادة ولا استعانة، قيل له وما الاستعانة؟

---

(١) ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ٣، ص٣٩٦ ـ ٣٩٧

(٢) الشـريف المـرتضى: الأمـالى، جـ١، ص١٨٩، ١٩٩٥، ابن نبـاته: سـرح العـيـون، ص١٢٣، ابن المرتضى: المنية والأمل، جـ١، ص٤٩، أحمد أمين: ضحى الإسلام، جـ٣، ص١٠٦ ـ ١٠٧

(٣) الجاحظ: رسائل الجاحظ، جـ١، ص٣٧٩، الخطيب البغدادى: تاريخ بغداد، جـ١٢، ص ٢١٨

(٤) الحصرى: زهر الآداب، جـ١، ص١٤٢، الخطيب البـغدادى: المصدر السابق والجزء والصـفحة، ابن الانبارى: نزهة الألبا، ص١٣٢ ـ ١٣٥ (تحقيق: إبراهيم السامرائى، مطبعة المعارف، بغداد ١٩٥٩م).

(٥) العتابى: هو كلثوم بن عمرو بن الحرب التغلبى (ت ٢٢٠هـ/ ٨٣٥م) شاعر مجيد، اجتمع له الخطابة والبيـان والشعـر الجيـد، اختص بالبـرامكة ثم صحـب طاهر بن الحسـين، شغف بالثـقافـة الفارسـية (الحصرى: المـصدر السابق، جـ٢، ص٦٠، الخطيب البغدادى: المصـدر السابق والجزء، ص٤٦٣، ياقوت الحمـوى: معجم الأدباء، جـ١٧، ص٢٦ ـ ٢٨، ابن خلكان: وفيـات الأعيان، جـ٤، ص٢٢ ـ ٢٣، الزركلى الأعلام، جـ٦، ص٨٩ ـ ٩٩٠، حسن أحمد محمود: العالم الإسلامى، ص٢٤٩).

قال: يقول عند مقاطع كلامه، يا هناة، واسمع، وفهمت! وما أشبه ذلك. وهذا من أمارات العجز[1].

الرسائل الأدبية والإخوانية:

كتب واصل بن عطاء إلى عمرو بن عبيد: «أما بعد فان استلاب نعمة العبد بيد الله، وتعجيل المعاقبة بيد الله، ومهما يكن ذلك فباستكمال الآثام، والمجاورة للجدال الذى يحول بين المرء وقلبه»[2]. وكتب الجاحظ الى بعض إخونه «حفظك الله حفظ من وفقه الله للقناعة، واستعمله بالطاعة»[3]، وكتب الى رجل وعده: أما بعد فإن شجرة وعدك قد أورقت فليكن ثمرها سالما من حوائج المطل والسلام[4].

وللعتابى كثير من الرسائل الاخوانية[5]، و له رسائل لبعض أهل السلطان[6].

ومن هذا رسالةبعث بها الصاحب بن عباد[7] الى أحد أصدقائه، وقد شكا اليه علة

---

(١) الحصرى: زهر الآداب، جـ١، ص١٠٦

(٢) ابن عبد ربه: العقد الفريد، جـ٢، ص٢٢٤

(٣) ابن عبد ربه: المصدر السابق والجزء، ص١٨٩

(٤) ابن عبد ربه: المصدر السابق، جـ١، ص٢١٠

(٥) كتب إلى بعض إخوانه قائلا: لو اعتصم شوقى إليك بمثل سلوك عنى، لم أبذل وجه الرغبة إليك، ولم أتجشم مرارة تماديك، ولكن استخفتنا صبابتنا، فاحتملنا قسوتك لعظيم قدر مودتك، وأنت أحق من اقتص لصلتنا من جفائه، ولشوقنا من إبطائه، وله أيضا: كتبت إليك ونفسى رهينة بشكرك، ولسانى علق بالثناء عليك، والغالب على ضميرى لائمة لنفسى، واستقلال لجهدى من مكافأتك، وأنت ـ أصلحك الله ـ فى عز الغنى عنى، وأنا تحت ذل الفاقة إلى عطفك (الثعالبى: يتيمة الدهر، جـ٣، ص٤٢ «طبع القاهرة، ١٩٣٤م»، عبد الحكيم بلبع: أدب المعتزلة، ص٢٧٠ ـ ٢٧١)، وكتب إلى صديق فقال: أما بعد أطال الله بقاءك، وجعله يمتد بك إلى رضوانه والجنة، فإنك كنت عندنا روضة من رياض الكرم، تبتهج النفوس بها، وتستريح القلوب إليها (الشريف المرتضى: الأمالى، جـ٢، ص١٣٧، شوقى ضيف، العصر العباسى الأول، ص٤٩٦).

(٦) قال: أما بعد، فإن كائب وعدك قد أبرقت، فليكن وبلها سالما من علل المطل (ابن عبد ربه: العقد الفريد، جـ١، ص٢١٠

(٧) هو إسماعيل بن عباد بن العباس، ابو القاسم، وزير غلب عليه الأدب. فكان من نوادر الدهر علما وفضلا وتدبيرا وجوده رأى، استوزره مؤيد الدولة ابن بويه ثم أخوة فخر الدولة، (ت ٣٨٥هـ / ٩٩٥م) (ياقوت الحموى: معجم الأدباء، جـ٦، ص ١٦٨ ـ ٢١٨، ابن المرتضى: المنية والأمل، جـ١، ص٩٤، الزركلى: الأعلام جـ١، ص٣١٢ ـ ٣١٣).

ألمت به فقال: قد عرفت ما شرحه مولاى من أمره، وأنبأ عنه أحوال جسمه، فدلتنى جملته على بقايا فى البدن، يحتاج معها الى الصبر على التنقية والرفق بالتصفية[1]. وقد وقع الصاحب على رقعة بقوله: من نظر لدينه نظرنا لدنياه، فان آثرت العدل والتوحيد، بسطنا لك الفضل والتمهيد. وإن أقمت على الجبر لفليس لكسرك من جبر[2].

التهكم والسخرية والمرح:

ان السمو العقلى الذى اختص به المعتزلة، قد عكس على نفوسهم طائفة من الصفات الخلقية التى من أبرزها الحرية العقلية، والنظر الى عامة الناس نظرة تشوبها روح التهكم والسخرية، ومن هذا ما قاله ثمامة بن أشرس للمأمون وهما بصدد الحديث عن العامة[3].

ويروى الخطيب البغدادى أن: لصا لقى أبا الهذيل العلاف فأمسك بمجامع جيبه وقال له: انزع ثيابك. فقال أبو الهذيل: استحالة المسألة. قال كيف؟ قال: تمسك بموضع النزع وتقول له انزع، أأنزعه من ذيلة أم من جيبه؟ قال: أنت أبو الهذيل؟ قال نعم، فتركه[4].

وكان قول المعتزلة بخلق القرآن مبعثا للتهكم والسخرية من بعض الظرفاء[5] وللجاحظ فى ميدان السخرية نوادر كثيرة، فنراه يسخر من بعض المعلمين الذى يعلم الصبيان القرآن

---

(١) الثعالبى: يتيمة الدهر، جـ٣، ص٢٠٤، عبد الحكيم بلبع: أدب المعتزلة، ص٢٧٠ ـ ٢٧١

(٢) الثعالبى: المصدر السابق، والجزء، ص٢٠١، بدوى طبانه: الصاحب بن عباد، ص٢١٠ (سلسلة أعلام العرب رقم (٢٧)، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م).

(٣) قال ثمامة: «... إن هم الا كالأنعام بل هم أضل سبيلا، والله يا أمير المؤمنين لقد مررت على إنسان قد بسط كساءة والقى عليه أدوية وهو ينادى: هذا الدواء لبياض العين والغشاوة والظلمة وضعف البصر، وإن إحدى عينيه لمطموسة، والناس قد اجتمعوا عليه يستوصفونه (ابن المرتضى: المنية والأمل، جـ١، ص٥٧، أحمد أمين: ضحى الإسلام جـ٣، ص١٥٢).

(٤) تاريخ بغداد، جـ٣، ص ٣٦٨

(٥) يروى أنه دخل عبادة المضحك على الخليفة الواثق، فقال: يا أمير المؤمنين أعظم الله أجرك فى القرآن، قال: ويلك، القرآن يموت؟ قال: يا أمير المؤمنين، كل مخلوق يموت، بالله يا أمير المؤمنين بم يصلى الناس التراويح؟ فضحك الخليفة الواثق، وقال: قاتلك الله أمسك. (السبكى: طبقات الشافعية الكبرى، جـ٢، ص٦٠ (تحقيق: عبد الفتاح الحلو، ومحمود الطناحى، الطبعة الأولى، مطبعة عيسى البابى الحلبى ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤م)، محمد الخضرى: تاريخ الأمم الإسلامية ص٢١٧، وسمع أحدهم رجلا يقرأ القرآن قراءة غير صحيحة فقال: أظن هذا القرآن الذى يزعم ابن أبى دؤاد أنه مخلوق (الراغب الاصفهانى: محاضرات الأدباء، جـ٤، ص٤٢٧).

والصبايا الغناء، ومن يحب من لم يرها ولا يعرف أوصافها ولا شئ عنها أكثر من كنيتها (أم عمرو)، ويطير فرحا بهذا الحب، ثم يهتم ويموت كمدا لسماعه خبر موتها[١]، ومن ينبح نباح الكلاب ليجتذب تلميذا اختفى منه، وكان يعرف مقدار حبه لكلبه، ومن يجلس وحده في الكتاب وقد هرب منه الصبيان يتصارعون، ولرهبته من بطشهم خاف إرجاعهم اليه[٢]، ومن يجلس يبكى لأن الصبيان سرقوا خبزه[٣]، وقال الجاحظ: إن بعض الفقهاء لا يقبل شهادة المعلمين، وأن النساء أعدل شهادة منهم[٤].

وأصبح الجاحاظ محل سخرية وتنكيت الآخرين[٥]، وكثيرا ما كان يتفكه بنفسه فى حكاياته قبل أن يتفكه الناس به[٦]، وقد حكى بعض القصص الساخرة عن الآخرين[٧]. وربما كانت هذه القصص حقيقية، وربما كانت من ابتكار الجاحظ كما فعل مع بخلائه[٨].

---

(١) الإبشيهى: المستطرف من كل فن مستظرف، جـ١، ص٢٤٢ (طبعة الحلبى ١٩٩٥٢م)، ابن حجة الحموى: ثمرات الأوراق، جـ٢، ص١٥٧ ـ ١٥٨، ص١٨٠ (هامش المستطرف، طبعة الحلبى ١٩٥٢م)، ابن الجوزى: أخبار الحمقى والمغفلين، ص١٣٧ (مطبعة القدسى، الطبعة الثانية، ١٩٨٣م، نشأت العنانى: فن السخرية فى أدب الجاحظ، ص١٥٧ (الطبعة الأولى، مطبعة السعادة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م).

(٢) الابشيهى: المستطرف من كل فن مستظرف، جـ١، ص١٤١ ـ ١٤٢، نشأت العنانى: المرجع السابق والصفحة.

(٣) ابن الجوزى: المصدر السابق، ص١٣٧ ـ ١٣٨.

(٤) ابن الجوزى: المصدر السابق، ص١٣٦

(٥) قرع عليه أحد أصدقائه الباب فخرج إليه غلام الجاحظ، فسأل الصديق عن الجاحظ، فأجابه الغلام: ها هو يكذب على ربه، قيل له كيف ذلك؟ قال: نظر فى المرآة وجهه فقال: الحمد لله الذى خلقنى فأحسن صورتى (الوطواط: غرر الخصائص، ص١٨٧ ـ ١٨٨، بيروت، دار صعب، بدون تاريخ).

(٦) قال الجاحظ عن نفسه: «أتتنى امرأة وأنا على باب دارى فقالت: لى إليك حاجة، وأريد أن تمشى معى، فقمت معها إلى أن أتت بى إلى صائغ يهودى فقالت له: مثل هذا وانصرفت. فسألت الصائغ عن قولها فقال: إنها أتت إلى بفص وأمرتنى أن أنقش لها عليه صورة شيطان، فقلت ما رأيت الشيطان، فأتت بك وقال ما سمعت. (ابن نباته: سرح العيون، ص١٣٧).

(٧) قال: أخبرنى يحيى بن جعفر قال: كان لى جار بلحية ما رأيت أطول منها قط، وكان طول الليل يبكى ويشهق ويضرب على رأسه وصدره ويردد آية من كتاب الله، فلما رأيت ما نزل به قلت لأسمعن هذه الآية التى قتلت هذا وأذهب نومى فتسمعت عليه فإذا الآية: (يسألونك عن المحيض قل هو أذى) (سورة البقرة، آية ٢٢٢) ابن الجوزى: المصدر السابق ص١٣٢

(٨) أحمد الحوفى: الفكاهة فى الأدب ـ أصولها وأنواعها، جـ١، ص١٠٣ (القاهرة، مكتبة نهضة مصر، ١٩٥٦م).

ومما يؤكد هذه النزعة الفلسفية الساخرة عند المعتزلة «رسالة التربيع والتدوير» التى كتبها الجاحظ فى التهكم بأحمد بن عبد الوهاب أحد أصحاب محمد بن عبد الملك الزيات[1]، فهو يهجوه هجاء مغلفا بثياب المديح، فقد كان قصيرا مفرطا فى القصر، ولإحساسه بالنقص من هذه الناحية كان يدعى أن العرض مقدما على الطول[2]، وقد استطاع الجاحظ أن ينفذ من ذلك الى تشويه أحمد بن عبد الوهاب تشويها ربما كان يتفوق فيه على أصحاب فن التصوير الساخر (الكاريكاتورى) فى العصر الحديث[3].

ومهما يكن من أمر، فقد برزت فى أدب المعتزلة ظاهرة المرح والتفكه، ولكنها لم تكن ساذجة، بل كانت فى معظم أمرها مرتبطة بنزعتهم الفسلفية الساخرة وإحساسهم بالسمو العقلى.

ثانيا: الشعر:

تأثر كثير من شعراء ببيئة المعتزلة، واستخدموا فى أشعارهم بعض ألفاظ المتكلمين ومصطلحاتهم، وكثير من الشعراء خصصوا شعرهم للدفاع عن آراء المعتزلة مثل صفوان الأنصارى، تلميذ واصل بن عطاء[4]، وكان بشر بن المعتمر شيخ معتزلة بغداد ورئيسهم شاعرا، وروى له الجاحظ بعض قصائده[5].

وكان المعتزلة شعراء يردون فى شعرهم على خصومهم من أصحاب النحل المختلفة، وأشهر هؤلاء العتابى[6]، وقد نظم المعتزلة الشعر فى الاحتجاج لآرائهم الكلامية، فيقول

---

(١) رسائل الجاحظ، جـ٣، ص٥٥ ـ ١٠٩ (تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجى بالقاهرة، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م).

(٢) يقول الجاحظ: لولا فضيلة العرض على الطول لما وصف الله تعالى وعز الجنة بالعرض دون الطول، حيث يقول الله تعالى: «وجنة عرضها كعرض السماء والأرض» (سورة الحديد، أية ٢١ (رسائل الجاحظ، الجزء السابق، ص٦٣).

(٣) شوقى ضيف: الفن ومذاهبه فى النثر العربى، ص١٧٩ (دار المعارف، الطبعة الثامنة، ١٩٧٧م).

(٤) الجاحظ: البيان والتبيين، جـ١، ص٢٥ وما بعدها، شوقى ضيف: العصر العباسى الأول، ص٤١٥، محمد عويس: المجتمع العباسى من خلال كتابات الجاحظ، ص٣١٩ ـ ٣٢٠ (القاهرة، ١٩٧٧م).

(٥) الجاحظ: المصدر السابق والجزء، ص١٢٠، ٢٢٠، جـ٣، ص٥٣، جـ٤، ص٥٦، الحيوان، جـ٣، ص٦٣، ٤٤٣، الشريف المرتضى: الأمالى، جـ١، ص١٨٧

(٦) ابن الجوزى: أخبار الظراف والمتماجنين، ص١٠٧، (تقديم: محمد بحر العلوم، النجف، ١٣٨٦هـ / ١٩٦٧م).

واصل بن عطاء:[1]

تحامق مع الحمقى اذا ما لقيتهم ولا تلقهم بالعقل إن كنت ذا عقل
فإن الفتى ذا العقل يشقى بعقله كما كان قبل اليوم يشقى ذوو الجهل

الغزل:

من شعر النظام الذى يدل على تدقيقه وتغلغه فى تصور المعانى قوله[2]:

توهمه طرفى فآلم خده فصار مكان الوهم من نظرى أثر
وصافحه قلبى فآلم كفه فمن صفح قلبى فى أنامله عقر

وتتضح تأثيرات بيئة الاعتزال فى شعر النظام حيث يستخدم كلمة (اللطف) لما لهذه الكلمة من دلالة خاصة عند المعتزلة[3] فيقول[4]:

وشادن ينطق بالطرف يقصر عن منتهى الوصف
رق فلو بزت سرابيله علقه الجو من اللطف

ويستخدم أيضا كلمة (اللطف) فى قوله[5]:

مازلت آخذ روح الزق فى لطف واستبيح دما من غير مجروح
حتى انثنيت ولى روحان فى جسدى والزق مطرح جسم بلا روح

وفى الغزل يقول النظام أيضا[6]:

أريد الفراق وأشتاقكم كأنا افترقنا ولم نفترق

ويقول الصاحب بن عباد فى الغزل[7]:

---

(١) الثعالبى: يتيمة الدهر، جـ٣، ص٢١٧، ياقوت: معجم الأدباء، جـ١٩، ص٣٤٦

(٢) الخطيب البغدادى: تاريخ بغداد، جـ٦، ص٩٧، الشريف المرتضى: المصدر السابق والجزء، ص ١٨٨، أبو ريدة: إبراهيم بن سيار النظام، ص٧

(٣) ابن النديم: تكملة الفهرست، ص٢، الأشعرى: مقالات الإسلاميين، جـ١، ص٣١٣

(٤) الشريف المرتضى: الأمالى، جـ١، ص ١٨٨، الخطيب البغدادى: تاريخ بغداد، جـ٦، ص٩٧، ابن نباته: سرح العيون، ص١٥٦

(٥) البغدادى: الفرق بين الفرق، ص١٣٦، الاسفراييني: التبصير فى الدين، ص٤٤

(٦) ابن نباته: المصدر السابق، ص١٢٥، عبد الحكيم بلبع: أدب المعتزلة ص٣١٣

(٧) الصفدى: الوافى بالوفيات، جـ٩، ص١٤٠ (تحقيق: فان أس، نشر، فرانز شتاينر بفيسبادن، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م).

كنت دهرا أقول بالاستطاعة   وأرى الجبر ضلة وشناعة
ففقدت استطاعتى فى هوى   ظبى فسمعا للمجبرين طاعة

وقد بنى الصاحب فكرته الغزلية على مذهبين متعارضين هما مذهب المعتزلة الذى يقول باستطاعة العبد وقدرته على أفعاله[١]، ومذهب الجبر الذى ينفى هذه الاستطاعة وتلك القدرة[٢]، و يقول الصاحب وفى ذهنه مذهب الاعتزال[٣]:

ولما تناءت بالأحبة دارهم   وصرنا جميعا من عيان الى وهم
تمكن منى الشوق غير مسامح   كمعتزلى قد تمكن من خصم

وقد تأثر كثير من الشعراء ببيئة المعتزلة، واستخدموا فى أشعارهم بعض ألفاظ المتكلمين، ومصطلحاتهم، ومن ذلك فكرة الجزء الذى لا يتجزأ أو فكرة الجوهر الفرد، وكان النظام ينكره، وتجادل فيه مع نظرائه من المعتزلة[٤]، وقد ألم بها أبونواس فى قوله متغزلا[٥]:

يا عاقد القلب منى   هلا تذكرت حلا
تركت منى قليلا   من القليل أقلا
يكاد لا يتجزأ   أقل فى اللفظ من لا

وقد سمع منه النظام هذه الأبيات، فقال له[٦]: «أنت أشعر الناس فى هذا المعنى، والجزء الذى لا يتجزأ ـ منذ دهرنا الأول ـ نخوص فيه ما خرج لنا فيه من القول ما جمعت أنت فى بيت واحد».

---

(١) البغدادى: المصدر السابق، ص٩٤، ابن المرتضى: المنية والأمل، جـ١، ص١٤
(٢) يقول الشهرستانى: الجبر هو نفى الفعل حقيقة عن العبد وإضافته إلى الرب تعالى. (الملل والنحل، جـ١، ص٩٠).
(٣) الثعالبى: يتيمة الدهر، جـ٣، ص١٧ (طبع القاهرة، ١٩٣٤م)، ياقوت الحموى: معجم الأدباء، جـ٦، ص٣١٧، الصفدى: الوافى بالوفيات، جـ٩، ص١٤٠
(٤) الأشعرى: مقالات الإسلاميين، جـ٢، ص٢٤٢، ابن المرتضى: المنية والأمل، جـ٢، ص١٤٢ ـ ١٤٤، شوقى ضيف: العصر العباسى الأول، ص٤١٥، محمد عويس، المجتمع العباسى من خلال كتابات الجاحظ، ص٣١٩ ـ ٣٢٠
(٥) الجاحظ: البيان والتبيين، جـ١، ص١٤١، أحمد أمين: ضحى الإسلام، جـ٣، ص١١٠
(٦) ابن منظور: أخبار أبى نواس، ص١٣ (طبعة مطبعة الاعتماد بالقاهرة، ١٣٤٣هـ).

وقد تأثر أبو نواس بالمتكلمين والمعتزلة، وفى أشعاره كثير من ألفاظهم وأفكارهم، ومن ذلك فكرة التولد[1]، فيقول متغزلا[2]:

وذات خـد مـورد ... فـتـانة المتـجـرد
تأمل العـين منهـا ... محـاسن ليس تنفـد
فبعضها قد تناهى ... وبعضها يتـولد
والحسن فى كل عضو ... فيها معـاد مـردد

وكان أبو تمام يتعمق الاعتزال وعلم الكلام والفلسفة كقوله[3]:

هى من لـه شئ يريد حـجـابه ... مـا بال لا شئ عليـه حـجـاب

وكلمة لا شئ فى اظلباح المتكلمين تعنى العدم[4]، وفى أشعاره بعض إشارات الى المذاهب الكلامية، وعلى رأسها مذهبا الاعتزال والجهمية فيقول فى وصف الخمر[5]:

جـهـمـيـة الأوصاف الا أنهم ... قـد لقبـوها جوهر الأشـيـاء

المدح:

من شعر النظام الذى يتضح فيه مذهبه من ناحية ألفاظه وأفكاره قوله فى تلميذه الجاحظ[6]، الذى كان يبادله حبا بحب وإعجابا بإعجاب[7]:

---

(١) التولد: هو الفعل الذى ينشأ عن فعل آخر دون قصد، وأختلف المتكلمون فى التولد ـ كنحو ذهاب الحجر الحادث عند دفع الدافع له، وانحداره، والألم الحادث عند الضرب، وما أشبه ذلك (الخياط: الانتصار، ص٧٦، الأشعرى: مقالات الإسلاميين، جـ٢، ص٦١ ـ ٩٠، الشهرستانى: الملل والنحل، جـ١، ص٧٠ وما بعدها).

(٢) الجاحظ: البيان والتبيين، جـ١، ص١٤١

(٣) أبو تمام: ديوان أبى تمام، جـ٣، ص٢٢٥ (طبعة دار المعارف).

(٤) شوقى ضيف: العصرى العباسى الأول، ص١٥٧

(٥) أبو تمام: المصدر السابق، جـ١، ص٣٤، المسعودى: مروج الذهب، جـ٣، ص٤٨٦، ابن تيمية: موافقة صريح المعقول، جـ١، ص١٦٦، القاسمى الدمشقى: تاريخ الجهمية والمعتزلة، ص٣٦

(٦) البغدادى: الفرق بين الفرق، ص١١٣، المسعودى: مروج الذهب جـ٣، ص٢٨٧، الشهرستانى: الملل والنحل، جـ١، ص٦٠، ابن المرتضى: المنية والأمل، جـ٢، ص ١٥٨، أحمد أمين: ضحى الإسلام جـ٣، ص١٠٦، دى بور: تاريخ الفلسفة فى الإسلام، ص٥٩

(٧) حسن السندوبى: أدب الجاحظ، ص٧٢ (طبع القاهرة، ١٩٣١م)، أبو ريدة: النظام، ص٤٥، شوقى ضيف: العصر العباسى الأول، ص٤٣٣، عبد الحكيم بلبع: أدب المعتزلة، ص٣١٩

حـبى لعمرو جوهر ثابت | وحبه لى عرض زائل
به جهاتى الست مشغولة | وهو الى غيرى بها مائل

فانظام يستخدم فكرة العرض والجوهر والجهات الست فى تصوير علاقته بالجاحظ، وكان النظام متأثرا بالمذاهب الفلسفية(١).

ومدح صفوان واصل بن عطاء فقال:(٢)

فما مس دينارا ولا مس درهما | ولا عرف الثوب الذى هو قاطعه

وقال صفوان أيضا فى مدح واصل بن عطاء(٣):

ملقن ملهم فيما يحاوله | جم خواطره جواب آفاق

ويقول بشر بن المعتمر مشيدا بفضل المعتزلة(٤):

أهل الرياسة من ينا | زعهم رياستهم فظالم
سهرت عيونهم وأنت | من الذى قاسوه حالم
لا تطلبن رياسة | بالجهل أنت لها مخاصم
لولا مقامهم رأيت | الدين مضطرب الدعائم

ودخل أبو تمام على أحمد بن أبى دؤاد، وكان عتب عليه فى شئ فاعتذر اليه، وقال: أنت الناس كلهم، ولا طاقة لى بغضب جميع الناس، فقال له ابن أبى دؤاد: ما أحسن هذا فمن أين أخذته؟ قال: من قول أبى نواس:

وليس لله بمستنكر | أن جمع العالم فى واحد(٥)

وقد قال أبو تمام مادحا ابن أبى دؤاد(٦):

---

(١) الشهرستانى: المصدر السابق والجزء والصفحة، أحمد أمين: المرجع السابق والجزء والصفحة، إبو ريدة: المرجع السابق والصفحة، عبد الحكيم بلبع: المرجع السابق والصفحة.
(٢) الجاحظ: البيان والتبيين، جـ١، ص٢٧، ابن المرتضى: المصدر السابق، جـ١، ص٣٣
(٣) الجاحظ: المصدر السابق والجزء، ص٢٢، ياقوت الحموى: معجم الأدباء، جـ٩، ص٢٤٩
(٤) ابن المرتضى: المصدر السابق والجزء، ص٥٠
(٥) الصولى: أخبار أبى تمام، ص١٤١ (القاهرة، ١٩٣٧م) ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ١، ص ٦٨
(٦) الصولى: المصدر السابق، ص١٤٦، الحصرى: زهر الآداب، جـ١، ص ٣٣٨ ـ ٣٣٩، الخطيب البغدادى: تاريخ بغداد، جـ٤، ص١٤٥، الصفدى: الوافى بالوفيات، جـ٧، ص٢٨٥ وابن خلكان: المصدر السابق، جـ٢، ص٦٧، السبكى: طبقات الشافعية الكبرى، جـ٢، ص٣٧

لقد أنست مساوئ كل دهر   محاسن أحمد بن أبى دؤاد
فما سافرت فى الأفاق آلا   ومن جدواك راحلتى وزادى
مقيم الظن عندك والأمانى   وإن فلقت ركابى فى البلاد

وقال الخليفة المنصور مادحا عمرو بن عبيد[١]:

كلكم يمشى رويد   كلكم يطلب صيد
غير عمرو بن عبيد

ويتصدى صفوان الأنصارى تلميذ واصل بن عطاء لبشار بن برد لقوله بالرجعة وتفضيله النار على الطين، وبالتالى إبليس على آدم[٢]، ونراه يمدح أستاذه واصلا فيقول[٣]:

تلقب بالغزال[٤] واحد عصره   فمن لليتامى والقبيل المكاثر

ومدح شاعر من المعتزلة واصلا لتخليصه كلامه من الراء[٥]:

---

(١) القاضى عبد الجبار: طبقات المعتزلة، ص ٢٤٨، الخطيب البغدادى: المصدر السابق، جـ٢، ص١٦٩، ابن خلكان: المصدر السابق، جـ٣، ص١٣٢، الذهبى: ميزان الاعتدال فى نقد الرجال، جـ٣، ص٢٧٩

(٢) قال بشار:

إبليس أفضل من أبيكم آدم   فتنبهوا يا معشر الفجار
النار عنصره وآدم طينة   والطين لايسمو سمو النار

(الأصفهانى: الأغانى، جـ٣، ص٩٩١، المبرد: الكامل، جـ٢، ص٤٤٣).

ويقول صفوان فى الرد عليه:

زعمت بأن النار أكر عنصرا   وفى الأرض تحيا بالحجارة والزند
كأنك غضبان على الدين كله   وطالب زحل لايبيت على حقد

(الجاحظ: البيان والتبيين، جـ١، ص٢٧ ـ ٢٨، البغدادى: الفرق بين الفرق، ص٣٩ ـ ٤٢).

(٣) الجاحظ: المصدر السابق والجزء، ص٢٥

(٤) لقب واصل بن عطاء بالغزال، لأنه كان يلزم الغزاليين، ليعرف المتعففات من النساء فيجعل صدقته إليهن (الجاحظ: المصدر السابق والجزء، ص٢٦، المبرد: المصدر السابق والجزء، ص١٤٣، ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ٤، ص٦٣، ابن المرتضى: المنية والأمل، جـ١، ص٣٣).

(٥) الجاحظ: المصدر السابق والجزء، ص٢١ ـ ٢٢، المبرد: المصدر السابق والجزء، ص١٤٤، ياقوت: معجم الأدباء، جـ١٩، ص٢٤٦، الذهبى: ميزان الاعتدال، جـ٤، ص٣٢٩، ابن المرتضى: المصدر السابق والجزء والصفحة.

ويجعل البر قمحا فى تصرفه | وخالف الراء حتى احتال للشعر
ولم يقل مطرا والقول يعجله | فعاد بالغيث إشفاقا من المطر

وكان العطوى[1] ينظم الشعر، صابغا كثيرا من معانيه بأصباغ المعتزلة من مثل قوله يرثى أحمد بن أبى دؤاد:[2].

أحنطته يا نصر بالكافور | وزففته للمنزل المهجور
هلا ببعض خصاله حنطته | فيضوع أفق منازل وقبور

ما قيل فى هجاء وسب المعتزلة:

هجا أبو العتاهية أحمد بن أبى دؤاد بعد أن انتصر الخليفة المتوكل لأهل الحديث والفقه بقوله[3]:

لو كان رأيك منسوبا الى رشد | وكان عزمك عزما فيه توفيق
لكان فى الفقه شغل لو قنعت به | عن أن تقول كلام الله مخلوق

وقال قائل فى ذم أحمد بن أبى دؤاد[4].

نكست الدين يا ابن أبى دؤاد | فأصبح من أطاعك فى ارتداد
زعمت كلام ربك كان خلقا | أمالك عند ربك من معاد؟
كلام الله أنزله بعلم | وأنزله على خير العباد
ومن أمسى ببابك مستضيفا | كمن حل الفلاة بغير زاد

وقد نسب أحد الشعراء واصلا وعمرو بن عبيد الى الخوارج بقوله[5]:

برئت من الخوارج لست منهم | من الغزال منهم وابن باب [6]

---

(١) هو محمد بن عبد الرحمن بن أبى عطيه من المتكلمين، وهو على مذهب الحسين النجار المعتزلى، وهو شاعر من أهل البصرة، وله من الكتب: كتاب خلق الأفعال، وكتاب الإدراك (الأشعرى: مقالات الإسلاميين، جـ٢، ص٨٦ هامش (١)، ابن النديم: الفهرست، ص٢٥٦).

(٢) الأصفهانى: الأغانى، جـ٢٠، ص ٥٨، شوقى ضيف: العصر العباسى الأول، ص ٤١٨

(٣) الطبرى: تاريخ الطبرى، جـ٩، ص٨٩، الخطيب البغدادى: تاريخ بغداد، جـ٤، ص٢٥٣

(٤) الخطيب البغدادى: المصدر السابق والجزء والصفحة.

(٥) البغدادى: الفرق بين الفرق، ص٩٩، ٢٢٤، الاسفرايينى: التبصير فى الدين، ص٤١ ، ٧٢

(٦) هو عمرو بن عبيد بن باب (الخطيب البغدادى: تاريخ بغداد، جـ١٢ ص١٦٦، ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ٣، ص١٣٠، الزركلى: الأعلام، جـ٥، ص٢٥٢).

ولما قال بشار بن برد بالرجعة وتكفير الأمة وتفضيل النار على الطين، تبرأ منه واصل بن عطاء، فهجاه بشار بقوله[١]:

مالى أشايع غزالا له عنق | كنقنق الدوان ولى وان مثلا
عنق الزرافة ما بالى وبالكم | تكفرون رجالا كفروا رجلا

ولما رأى أبو عمرو بن العلاء[٢]، عمرو بن عبيد يقول بالوعد والوعيد، قال له: لا تيئس الناس من عفو ربهم، والعرب تتمدح بإنجاز مواعيدها وتنسى وعيدها، وعلى ذلك قول الشاعر[٣]:

وإنى إذا وعدته أو وعدته | لمخلف ميعادى ومنجز موعدى

وقال شاعر فى هجاد الجاحظ[٤]:

لو يمسخ الخنزير مسخا ثانيا | ما كان الا دون قبح الجاحظ

يقول أبو نواس فى هجاء النظام[٥]:

فقل لمن يدعى فى العلم فلسفة | حفظت شيئا وغابت عنك أشياء
لا تحظر الغفوا أن كنت أمرا حرجا | فإن حظركه بالدين ازراء

وحين أوقف الخليفة المتوكل المحنة قال قائل[٦]:

وبعد فإن السنة اليوم أصبحت | معززة حتى كأن لم تذلل
تصول وتسطو إذ أقيم منارها | وحط منار الإفك والزور من عل
وولى أخو الإبداع فى الدين هاربا | الى النار يهوى مدبرا غير مقبل

---

(١) ابن المرتضى: المنية والأمل، جـ١، ص٣٤
(٢) هو أحد القراء السبعة، وهو من الأعلام فى القرآن، وكان ركنا من أركان علم اللغة بالبصرة (ت١٥٤هـ/ ٧٧٠م) (ابن النديم: الفهرست، ص٤٢، الاسفراييني: المصدر السابق، ص١١٦ هامش (١)).
(٣) الاسفراييني: المصدر السابق، والصفحة، الراغب الأصبهانى: محاضرات الأدباء، جـ٤، ص٤٢٧ - ٤٢٨، الذهبى: ميزان الاعتدال، ص٢٧٩
(٤) البغدادى: المصدر السابق، ص١٦٣، الاسفراييني: المصدر السابق، ص٥١
(٥) ابن النديم: تكملة الفهرست، ص٢، ابن نباته: سرح العيون، ص١٧٧، أبو ريدة: النظام، ص٦٦
(٦) السيوطى: تاريخ الخلفاء، ص٣٤٦

وقال البحترى حين رفع الخليفة المتوكل المحنة[1]:

أمـيـــر المؤمنـين لقــد شكرنـا | إلى آبائك الغـــــــر الحســـان
رددت الدين فــذا بعــد أن قــد | أراه فـــــــــرقـتين تخـاصـمـان
قـصـمـت الظالمين بكل أرض | فـأضـــحى الظلـم مجـهـول المكان
وفى سنة رمـت مـتـجـبـريهم | وعلـى قـــــدر بداهية عــيـان
فـمـــا أبقت من ابـن أبى دؤاد | سـوى جـــسـد يخـــاطب بالمعـــانى

(١) السيوطى: المصدر السابق، ص٣٥٤

٥. أشهر علماء المعتزلة فى بغداد

١- بشر بن المعتمر (ت ٢١٠هـ / ٨٢٥م)

هو أبو سهل بن المعتمر الهلالى، شيخ معتزلة بغداد، ومؤسس فرع الاعتزال فيها[١]، وكان حسن الجدال، قوى الحجة، ويعد فى الذورة من فصحاء المتكلمين وبلغائهم[٢].

ويعتبره بعض الباحثين المحدثين أنه أول من أسس علم البلاغة العربية[٣]، وقد نصح الكاتب بأن يتخير أوقات الكتابة فليس كل وقت صالحا لها [٤].

قال عنه الجاحظ[٥]، لم أر أحدا أقوى على المخمس والمزدوج، ما أقوى عليه بشر. وكان بارعا فى نظم الشعر، غير أنه لم ينظمه فى الأغراض الغنائية التى تعود الشعراء أن ينظموا فيها، بل نظمه فى الاتجاه التعليمى، واتجه به الى الرد على أهل المقالات والنحل من خصوم المعتزلة[٦]، وله قصيدة بلغت أربعين ألف بيت رد فيها على المخالفين[٧]، وقد وظف على نفسه، أن يدعو كل يوم نفسين الى دين الله، فإن أخطأه يوما قضاه[٨].

كان بشر بن المعتمر يعتز بمذهب الاعتزال ويدافع عنه، مولعا بمهاجمة الرافضة وغيرها من الفرق التى تناوئ المعتزلة ولا تذهب مذهبها[٩].

---

(١) الأشعرى: مقالات الإسلاميين، جـ٢، ص٨٧، البغدادى: الفرق بين الفرق، ص١٤١، الشريف المرتضى: الأمالى، جـ١، ص١٨٦، الشهرستانى: الملل والنحل، جـ١، ص٧٠، ابن المرتضى: المنية والأمل، جـ١، ص٤٩

(٢) الشهرستانى: المصدر السابق والجزء والصفحة، شوقى ضيف: كتاب البلاغة، تطور وتاريخ، ص٤١ وما بعدها (طبع دار المعارف).

(٣) أحمد أمين: ضحى الإسلام، جـ٣، ص١٤١ - ١٤٢، عبد الحكيم بلبع: أدب المعتزلة، ص٣٤٥

(٤) الجاحظ: البيان والتبيين، جـ١، ص١٣٥ - ١٣٦

(٥) ابن المرتضى: المصدر السابق والجزء، ص٤٩٩

(٦) الشريف المرتضى: المصدر السابق والجزء، ص١٨٧، أحمد أمين: المرجع السابق والجزء، ص١٤٢ - ١٤٤، شوقى ضيف: العصر العباسى الأول، ص٤٢٧

(٧) القاضى عبد الجبار: فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، ص٢٦٥، ابن المرتضى: المنية والأمل، جـ١، ص٤٩

(٨) القاضى عبد الجبار: المصدر السابق والصفحة.

(٩) ابن المرتضى: المصدر السابق والصفحة.

وهو الذى بدأ القول بالتولد وتوسع فيه[1]، وكان يميل الى الطبيعيين من الفلاسفة فى هذا القـول[2]، وبحثه فى التولد كان الغرض منه تحديـد المسئولية، فالعمل الذى يصدر عن الإنسان قد تتولـد عنه أعمال أخرى[3]، وكان يقول: إن كل ما يتـولد من أفعالنا فينا أو فى غـيرنا فـهو فـعلنا[4]، وكان يجل العقل إجلالا بعـيدا حتى ليرفعه الى مرتبـة مقدسة، وأنه لولاه لذهب الإدراك وفقد الإنسان إنسانيته[5].

ويرى بشـر أن الطفل ليس مـسئـولا عن أعمـاله، وأن الله تعـالى قادر على أن يعـذبه، ولكنه لو فعل ذلك لكان ظالما إياه، ولكنه رأى أن هذا تعبير غـير مستحسن فى جانب الله، فيحـسن أن يعبر عن هذا المعنى تعـبيرا ألطف[6]، وقـال: ان عند الله لطفـا لو أتى به لآمن جميع من فى الأرض ايمانا يستحقون عليه الثواب استحقاقهم لو آمنوا من غير وجوده[7].

ومما يتصل بالمسئولية أيضا قول بشر: إن من تاب عن كبيرة ثم عاد اليها استحق العقوبة على الجريمة الأولى التى تاب عنها، فإن توبته إنما تمحو المسئولية بشرط ألا يعود[8].

وقد عد المعتزلة بشر بن المعتمر من رجال الطبقة السادسة من علمائهم[9]، وتتلمذ على يديه كثيرا من رجال الاعـتزال منهم: أبو موسى المردار، وثمـامة بن الأشرس، وأحـمد بن أبى دؤاد[10]، واليه تنسب الفرقة البشرية من فرق المعتزلة[11].

---

(١) الأشعرى: مقالات الإسلاميين، جـ٢، ص ٩٨، البغدادى: الفرق بين الفرق، ص١٤٣، الاسفراييني: التبصير فى الدين، ص٤٥، الشهرستاني: الملل والنحل، جـ١، ص٧٠، ابن المرتضى: المصدر السابق، جـ٢، ص١٦٦

(٢) الشهرستاني: المصدر السابق والجزء، ص٣٤

(٣) ابن المرتضى: المصدر السابق والجزء والصفحة، أحمد أمين: ضحى الإسلام، جـ٣، ص١٤٥

(٤) الشهرستاني: المصدر السابق والجزء، ص٧١

(٥) ابن المرتضى: المصدر السابق والجزء، ص١٦٧

(٦) الشهرستاني: الملل والنحل، جـ١، ص٧١، ابن المرتضى: المنية والأمل، جـ٢، ص١٦٦

(٧) الأشعرى: مقـالات الإسلاميين، جـ١، ص٣١٣، الشهرستـاني: المصدر السابق والجزء، ص٧٢، ابن المرتضى: المصدر السابق والجزء، ص١٦٧

(٨) الشهرستاني: المصدر السابق والجزء والصفحة، ابن المرتضى: المصدر السابق والجزء والصفحة.

(٩) القاضى عبد الجبار: طبقات المعتزلة، ص٢٦٥، ابن المرتضى: المصدر السابق والجزء، ص٤٩

(١٠) البغدادى: الفرق بين الفرق، ص١٥٢، الشهرستاني: المصدر السابق والجزء، ص٣٤، ابن المرتضى: المصدر السابق والجزء، ص٥٠، أحمد أمين: ضحى الإسلام، جـ٣، ص١٤٥

(١١) البغـدادى: المصدر السـابق، ص١٤١، الاسفراييني: التبصـير فى الدين، ص٤٥، الشهـرستـاني: المصدر السابق والجزء، ص٧٠، ابن المرتضى: المصدر السابق، جـ٢، ص١٦٦، زهدى جار الله: المعتزلة، ص١٣٤

٢. ثمامة بن الأشرس: (ت٢١٣هـ/ ٨٢٨م)

يكنى أبا معن النميرى، وكان مشهورا فى العلم والأدب، ومن جملة المتكلمين المعتزلة[١]، وهو لون آخر من ألوان الاعتزال، ليس بالزاهد، ولكنه المعتزلى المقامر فى شئون الدنيا، المتردد على قصور الخلفاء، المنادم لهم، الذى يزين مجالسهم بالكلام العذب فى الأدب، المناظر فى مسائل الاعتزال وغير الاعتزال، فقد ملئت كتب الأدب بأحاديثه الممتعة، ونوادره الطريفة[٢].

وكان زعيم المعتزلة، وهو الذى دعا المأمون الى الاعتزال [٣]، وله فرقة تنسب اليه وترى رأيه، اسمها الثمامية[٤]، وهو من رجال الطبقة السابعة من طبقات المعتزلة[٥].

يقول الشهرستانى: إنه كان جامعا بين سخافة الدين وخلاعة النفس مع اعتقاده بأن الفاسق مخلد فى النار إذا مات على فسقه من غير توبة، وهو فى حال حياته فى منزلة بين المنزلتين[٦]، وكان يتهكم على الناس ويسخر منهم[٧]، ويعطى لنفسه حظها فى الحياة، فيتنعم بالطيبات ولا يتورع ولا يتزهد[٨].

قال ثمامة[٩]: لا تخلو أفعال العباد من ثلاثة أوجه، إما كلها من الله، ولا فعل لهم ولم

---

(١) ابن النديم: تكملة الفهرست، ص٢، الاسفراييني: التبصير في الدين، ص ٤٨، الشهرستاني: الملل والنحل، جـ١، ص٧٠، ابن المرتضى: المنية والأمل، جـ١، ص٥٥

(٢) ابن عبد ربه: العقد الفريد، جـ٢، ص٤١ ـ ٢٢١، الأشعرى: مقالات الإسلاميين، جـ٢، ص٢٥٧، ابن النديم: المصدر السابق، ص٢ ـ ٣، ابن المرتضى: المصدر السابق والجزء، ص٥٥ ـ ٥٦، أحمد أمين: ضحى الإسلام، جـ٣، ص١٤٩، زهدى جار الله: المعتزلة، ص١٢٩ ـ ١٣٠

(٣) البغدادى: الفرق بين الفرق، ص١٥٧، الاسفراييني: المصدر السابق والصفحة.

(٤) البغدادى: المصدر السابق والصفحة، الاسفراييني: المصدر السابق والصفحة، الشهرستانى: المصدر السابق والجزء، ص٧٧، الرازى: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، ص٤٢

(٥) القاضى عبد الجبار: فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، ص٢٧٢، ابن المرتضى: المصدر السابق والجزء، ص٥٥

(٦) المصدر السابق والجزء، ص٧٧

(٧) ابن قتيبة: تأويل مختلف الحديث، ص٤٩، البغدادى: الفرق بين الفرق، ص ١٥٨، الاسفراييني: التبصير فى الدين، ص ٤٨ ـ ٤٩

(٨) ابن المرتضى: المنية والأمل، جـ١، ص٥٧ ـ ٥٨، أحمد أمين: ضحى الإسلام، جـ٣، ص١٤٩ ـ ١٥٠

(٩) ابن النديم: تكملة الفهرست، ص٢ ـ ٣، ابن المرتضى: المصدر السابق والجزء، ص٥٥

يستحقوا ثوابا ولا عقابا ولا مدحا ولا ذما ـ أو تكون منهم ومن الله وجب المدح والذم لهم جميعا ـ أو منهم فقط كان لهم الثواب والعقاب والمدح والذم».

وقال: لا فعل للإنسان إلا الإرادة، وماعدا ذلك من أعماله فهو حدث لا محدث له[١]، وقد تمادى في الوعيد فجعل من مات من المسلمين مصرا على كبيرة واحدة مخلدا فى النار مع فرعون وأبى لهب وأبى جهل[٢].

وحكى عن ثمامة أنه قال فى القرآن: يجوز أن يكون من الطبيعة، ويجوز أن الله سبحانه يبتدئه، فإن كان الله ابتدأه فهو مخلوق، وإن كان فعل الطبيعة فهو لا خالق ولا مخلوق[٣].

وقد وسع نظرية التولد وقال: إن المعارف متولدة من النظر، وهى فعل لا فاعل له كسائر المتولدات، كما توسع فى نظرية التحسين والتقبيح العقليين وقال: «إن العالم فعل الله بطباعه»[٤].

وكان مشهورا بالمناظرة يقطع الخصم بأقل كلام[٥]، وقال ثمامة يوما للمأمون لما صارت اليه الخلافة: كان لى أملان، أمل لك وأمل بك، فأما أملى لك فقد بلغته، وأما أملى بك فلا أدرى ما يكون منك فيه، قال: يكون أفضل ما رجوت وأملت، وجعله من سماره وخاصته[٦]، وبلغ عند المأمون منزلة جليلة وقد عرض عليه المأمون الوزارة فامتنع[٧]، وقد حرض ثمامة المأمون على لعن معاوية ولكن يحيى بن أكثم نهى المأمون عن ذلك[٨].

---

(١) الشهرستانى: الملل والنحل، جـ١، ص ٧٨

(٢) ابن حزم: الفصل، جـ٤، ص ١٤٨ ـ ١٤٩

(٣) الأشعرى: مقالات الإسلاميين، جـ٢، ص٢٥٧

(٤) البغدادى: الفرق بين الفرق، ص١٥٧، ابن حزم: الفصل، جـ٤، ص ١٤٨، الاسفراييني: التبصير فى الدين، ص ٤٨، الشهرستانى: الملل والنحل، جـ١، ص ٧٨، ابن المرتضى: المنية والأمل، جـ٢، ص١٧١

(٥) ابن عبد ربه: العقد الفريد، جـ٢، ص٢٢١، ابن المرتضى: المصدر السابق، جـ١، ص٥٥ ـ ٥٦، أحمد أمين: ضحى الإسلام، جـ٣، ص١٥٣ ـ ١٥٤

(٦) ابن عبد ربه: المصدر السابق والجزء، ص٤١

(٧) ابن النديم: تكملة الفهرست، ص٢، الشهرستانى: المصدر السابق والجزء والصفحة.

(٨) ابن المرتضى: المصدر السابق والجزء، ص٥٦ ـ ٥٧

٣.أبو موسى المردار (ت٢٢٦هـ / ٨٤٠م):

هو عيسى بن صبيح، المكنى بأبي موسى، الملقب بالمردار، وكان زاهدا، وقد سمي «راهب المعتزلة»[(١)]، واليه يرجع الفضل في انتشار الاعتزال ببغداد بورعه، وبقوة لسانه،وفصاحته وقدرته على الوعظ وحسن القصص[(٢)].

حضر مجلسه يوما أبو الهذيل العلاف، فسمع قصصه بالعدل وحسن ثنائه على الله، ووصف له بالإحسان الى خلقه، والتفضل على عبيده، وإساءتهم الى أنفسهم، وتقصيرهم فيما يجب لله عليهم، فبكى وقال: هكذا شهدت مجالس أشياخنا الماضين من أصحاب واصل بن عطاء، وعمرو بن عبيد رضوان الله عليهم[(٣)]، ولما حضرته والوفاة، شك فيما لديه من المال فوزعه على الفقراء[(٤)]، وهو أستاذ الجعفريين[(٥)]. وناحيته الاعتزالية من جنس شخصيته، فهو غال في الاعتزال، شديد الغلو، يمعن في تكفير الناس، فمن قال: ان الله يرى بالأبصار فهو كافر، ومن قال: إن أعمال العباد مخلوقة لله فهو كافر، ومن لابس السلطان فهو كافر لا يورث[(٦)].

وقد وافق استاذه بشر بن المعتمر في القول بالتولد، وزاد عليه جواز وقوع فعل واحد من فاعلين على سبيل التولد[(٧)].

---

(١) البغدادي: المصدر السابق، ص١٥١، الإسفراييني: التبصير في الدين، ص٤٧، الشهرستاني: المصدر السابق والجزء، ص٧٥، ابن المرتضى: المصدر السابق، جـ٢، ص١٧٠، أحمد أمين: المرجع السابق والجزء، ص١٤٦

(٢) ابن المرتضى: المصدر السابق، جـ١، ص٦٠، أحمد أمين المرجع السابق والجزء والصفحة.

(٣) الخياط: الانتصار، ص٦٧، القاضي عبد الجبار، طبقات المعتزلة، ص٢٧٧ ـ ٢٧٨، ابن المرتضى: المنية والأمل، جـ٢، ص١٧٠

(٤) الخياط: المصدر السابق، ص٦٩، القاضي عبد الجبار: المصدر السابق، ص ٢٧٨، البغدادي: الفرق بين الفرق، ص١٥٢، ابن المرتضى: المصدر السابق والجزء والصفحة.

(٥) هما جعفر بن بشر، وجعفر بن حرب. (الرازي: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، ص٤٣، ابن المرتضى: المصدر السابق، جـ١، ص٦٠).

(٦) الخياط: المصدر السابق، ص٦٧ ـ ٦٨، البغدادي: المصدر السابق، ص١٥١ ـ ١٥٢، الشهرستاني: الملل والنحل، جـ١، ص٧٦، أحمد أمين: ضحى الإسلام، جـ٣، ص١٤٦، زهدي جار الله: المعتزلة، ص٢٣١

(٥) الخياط: المصدر السابق، ص٦٦، البغدادي: المصدر السابق، ص١٥٢، الشهرستاني: المصدر السابق والجزء والصفحة.

وهو أول من أشعل النار في بغداد في فتنة خلق القرآن، فزعم أن الناس قادرون على مثل القرآن فصاحة وبلاغة ونظما، وبالغ في القول بخلق القرآن، وكفر من قال بقدمه، وقال: من قال بذلك فقد أثبت قديمين[1].

وهو من رجال الطبقة السابقة من طبقات المتعتزلة[2]، واليه تنسب الفرقة المردارية من فرقهم[3].

٤.جعفر بن مبشر (ت ٢٣٤هـ / ٨٤٨م):

هو أبو محمد جعفر بن مبشر الثقفي، وكان مشهورا بالعلم والورع[4]، ولقد بلغ في العلم والعمل هو وجعفر بن حرب حتى كان يضرب بهما المثل، فكان يقال: (علم الجعفرين وزهدهما)، كما يضرب بهما المثل في حسن السيرة[5]، وتنسب اليهما الفرقة الجعفرية من فرق المعتزلة[6]

وقال جعفر بن مبشر: إن فساق هذه الأمة شر من اليهود والنصارى والمجوس والزنادقة، هذا مع قوله بأن القاسق موحد وليس بمؤمن ولا كافر[7]، وقال أيضا: كل عمد كبير، وكل مرتكب لمعصية متعمدا لها فهو مرتكب لكبيرة[8].

وقد سأل الخياط جعفر بن مبشر عن قوله تعالى: «فيضل من يشاء ويهدي من

(١) البغدادي: الفرق بين الفرق، ص١٥١، الاسفراييني: التبصير في الدين، ص٤٧، الشهرستاني: الملل والنحل، جـ١، ص٧٦، أحمد أمين: ضحى الإسلام، جـ٣، ص١٤٧

(٢) القاضي عبد الجبار: طبقات المعتزلة، ص٢٧٧، ابن المرتضى: المنية والأمل، جـ١، ص٥٤

(٣) البغدادي: المصدر السابق والصفحة، الاسفراييني: المصدر السابق والصفحة، الشهرستاني: المصدر السابق والجزء، ص٧٥، ابن المرتضى: المصدر السابق، جـ٢، ص١٧٠، زهدي جار الله: المعتزلة، ص ١٣٨

(٤) القاضي عبد الجبار: المصدر السابق، ص٢٨٣، ابن المرتضى: المصدر السابق، جـ١، ص٦٤، أحمد أمين: المرجع السابق والجزء ص ١٤٨

(٥) الخياط: الانتصار، ص٨١ ـ ٨٢، القاضي عبد الجبار، المصدر السابق والصفحة، ابن المرتضى: المصدر السابق والجزء والصفحة.

(٦) البغدادي: المصدر السابق ص١٥٣، الاسفراييني: المصدر السابق والصفحة.

(٧) الخياط: المصدر السابق، ص٨١، البغدادي: المصدر السابق والصفحة.

(٨) الأشعري: مقالات الإسلاميين، جـ١، ص٣٣٢

يشـاء»[1]، وعن الختم والطبع فـقال[2]: «أنا مبادر الى حـاجة، ولكنى ألقى عليك جملة تعمل عليها: أعلم أنه لا يجوز على أحكم الحاكمين أن يأمر بمكرمة ثم يحول دونها، ولا أن ينهى عن قاذورة ثم يدخل فيها، وتأول الآيات بعد هذا كيف شئت».

وهو أحد المـعتـزلة البغداديـين، وله كتب مصنفـة فى الكلام[3]، ومن كـتـبه: كـتـاب الطهارة، وكتاب السنة والأحكام، وكتاب الرد على أصحاب الرأى والقياس، وكتاب فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وكتاب الأشـربة، وكتاب الحكاية والمحكى، وكتاب الخراج، وكتاب معرفة الحجج، وكتاب الناسخ والمنسوخ[4].

قال الخليفـة الواثق لأحمـد بن أبى دؤاد: «لم لا تولى أصحـابى القضـاء، كمـا تولى غيرهم؟» (يقصد المعتزلة)، فقـال: يا أمير المؤمنين إن أصحابك يمتنعون عن ذلك، وهذا جعـفر بن مـبشر، وجـهت اليه بعـشرة آلاف درهم فـأبى أن يقبلهـا، فذهبت اليه بنفسى، واستأذنت فـأبى أن يأذن لى، فدخلت من غيـر إذن، فسل سيفه فى وجـهى وقال: الآن حل قتلك، فانصرفت عنه، فكيف أولى القضاء مثله؟»[5]

وكان لرقة قـصصه وحسن حديثـه أثر كبير فى نشـر الاعتزال[6]، وكـان يعـظ الناس ويرفض أن يأخذ أجرا على ذلك[7]، وهو من رجال الطبقة السابعة من طبقات المعتزلة[8].

---

(١) سورة إبراهيم: آية ٤

(٢) ابن المرتضى: المنية والأمل، جـ١، ص٦٤

(٣) الخطيب البغدادى: تاريخ بغداد، جـ٧، ص١٦٢، الزركلى: الأعلام، جـ٢، ص١٢١

(٤) الخيـاط: الانتـصار، ص٨١، ١٩٩، ابن الـمرتضى: المـصدر السابق والجـزء، ص٦٥ ـ ٦٦، البيـر نصرى نادر: فلسفة المعتزلة، جـ١، ص٣٠ ـ ٣١

(٥) القاضى عبد الجبار: فضل الاعتزال، ص٢٨٣، ابن المرتضى: المنية والأمل، جـ١، ص٦٥

(٦) الخياط: الانتصار، ص٨١، ٨٩، أحمد أمين: ضحى الإسلام، جـ٣، ص ١٤٨

(٧) روى أنه أضرت به الحـاجة، حـتى كان يقبـل القليل من زكاة إخوانـه، فحضـره يوما بعض التـجار، فتكلم فى خطبة نكاح، فأعجب به التاجر، وبعث إليه بخـمسمائة دينار، فردها، فقيل له: عذرناك فى رد مال السلطان للشـبهة، وهذا تاجر ماله من كـسبه، فقال: إنه اسـتحسن كلامى، أفـترانى آخذ على دعائى إلى الله ومـوعظتى ثمنا. (القاضى عـبد الجبـار: المصدر السـابق، ص٢٨٣، ابن المرتضى: المصدر السابق والجزء والصفحة).

(٨) القاضى عبد الجبار: المصدر السابق والصفحة، ابن المرتضى: المصدر السابق والجزء، ص٥٥، ٦٤

٥. جعفر بن حرب الهمذانى (ت ٢٣٦هـ / ٨٥٠م)

كن جـعفـر بن حرب من أعظم الرجـال فى العلم والصـدق والورع والزهد والعبـادة، درس الكلام فى البصـرة على يد أبى الهذيل العلاف، ثم درس فى بغـداد على أبى موسى المردار، وقد عنى بالرد على شيخه العلاف(١)، وكان ينازع المخالفين له فى المذهب ويتغلب عليهم(٢).

كان أبوه من أصحاب السلطان، خلف ثورة من ضياع ومال، وقد بلغ من زهده فى آخر عمره أن ترك ضيـاعه وماله واعتزال الناس، وترك الكلام فى الدقـيق وأقبل على التصنيف فى الجلى الواضح(٣).

وصنف كتبا معروفة عند المتكلمين(٤)، ومن مصنفاته: كتاب توبيخ أبى الهذيل، وكتاب فى تكفيـر النظام بإبطاله الجـزء الذى لا يتـجـزأ، وكتـاب الإيضـاح، ونصيـحة العـامـة، والمسترشد، والمتعلم، والأصول الخمسة(٥)، ومتشابه القرآن(٦)، وكتاب الديانة(٧).

قال جـعفر بن حـرب: التوفـيق والتسديد لـطفان من ألطاف الله سبـحانه، لا يوجـبان الطاعة فى العبد، ولايضطرانه اليها، فإذا أتى الإنسان بالطاعة كان موفقا مسددا(٨).

وحكي أن جعـفر بن حرب كان يحـضر مجلس الخليـفة الواثق للمناظرة، فحضـر مرة وقت الصـلاة فقامـوا لها، وتقـدم الخليفـة وصلى بهم، وتنحى جـعفر فـنزع خفيـه وصلى

---

(١) الخياط: المـصدر السابق، ص١٨٠ ـ ١٨١، القاضى عـبد الجبار: المصـدر السابق، ص٢٨١، الخطيب البـغـدادى: تاريخ بغـداد، جـ٧، ص١٦٢ ـ ١٦٣، ابن المرتضى: المصـدر السـابق والجـزء، ص٦٢، الزركلى: الأعـلام، جـ٢، ص١١٦ ـ ١١٧، أحمـد أمين: المصـدر السابق والجـزء والصفـحة، ألبـير نصرى: فلسفة المعتزلة، جـ١، ص٣١

(٢) الخياط: المصدر السابق، ص١١٠

(٣) القاضى عبد الجبار: فضل الاعتزال، ص٢٨٢، ابن المرتضى: المنية والأمل، جـ٢، ص٦٢

(٤) الخطيب البغدادى: تاريخ بغداد، جـ٧، ص١٦٣

(٥) الخيـاط: الانتصار، ص١١٠، البـغدادى: الفـرق بين الفرق، ص١٠٢، ابن المرتضى: المصـدر السابق والجزء والصفحة، ألبير نصرى نادر: فلسفة المعتزلة، جـ١، ص٣١

(٦) ابن النديم: الفهرست، ص٥٥

(٧) القاضى عبد الجبار: المصدر السابق، والصفحة.

(٨) الأشعرى: مقالات الإسلاميين، جـ١، ص٣٢٦

وحده، فقال له أحمد بن أبى دؤاد: إن هذا (يشير الى الواثق) لا يحتملك على هذا الفعل، فإن عزمت عليه فلا تحضر مجلسه، قال جعفر: ما أريد الحضور لولا أنك تحملنى عليه[1].

وكان يقول: المؤمن كالتاجر البصير العاقل الذى ينظر أى التجارة أربح له، وأسلم لبضاعته، فيقصد اليها، يطلب الحلال من المعاش[2].

وقال جعفر بن حرب، وجعفر بن مبشر: إن الله تعالى خلق القرآن فى اللوح المحفوظ، لا يجوز أن ينتقل، ويستحيل أن يكون الشئ الواحد فى مكانين فى حالة واحدة، وما نقرؤه فهو عبارة عن المكتوب الأول فى اللوح المحفوظ[3]، وقالا فى تحسين العقل وتقبيحه: إن العقل يوجب معرفة الله تعالى بجميع أحكامه وصفاته قبل ورود الشرع[4]، ويعتبر المعتزلة جعفر بن حرب من رجال الطبقة السابعة من طبقات رجالهم[5].

٦.أحمد بن أبى دؤاد (ت ٢٤٠هـ / ٨٥٤م):

هو أبو عبد الله أحمد بن أبى دؤاد الأيادى، ولد بالبصرة (١٦٠ هـ / ٧٧٦م) وتوفى فى خلافة المتوكل[6]، ونشأ فى طلب التعلم والفقه والكلام، وكان فصيحا وشاعرا[7].

قال أبو العيناء[8]: ما رأيت فى الدنيا أحدا أحرص ولا أقوم على أدب من ابن أبى دؤاد[9].

---

(١) القاضى عبد الجبار: المصدر السابق والصفحة، ابن المرتضى: المصدر السابق والجزء، ص٦٢ ـ ٦٣

(٢) القاضى عبد الجبار: فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، ص٢٨٢

(٣) الخياط: الانتصار، ص٨٢، الأشعرى: مقالات الإسلاميين، جـ٢، ص ٢٦٨، الشهرستانى: الملل والنحل، جـ١، ص٧٦

(٤) الشهرستانى: المصدر السابق والجزء، ص٧٧

(٥) القاضى عبد الجبار: المصدر السابق، ص٢٨١، ابن المرتضى: المنية والأمل، جـ١، ص٦٢

(٦) ابن النديم: تكملة الفهرست، ص٣ ـ ٤، الخطيب البغدادى: تاريخ بغداد: ص١٤٢

(٧) الخطيب البغدادى: المصدر السابق والجزء، ص ١٤٨، ياقوت الحموى: معجم البلدان، جـ١١، ص٩١، ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ١، ص٦٦، السبكى: طبقات الشافعية الكبرى، جـ٢، ص٣٧

(٨) هو ابو عبد الله محمد بن القاسم، الضرير المعروف بأبى العيناء (توفى ٢٨٣هـ / ٨٩٦م) أديب فصيح من الظرفاء، ومن أسرع الناس جوابا، اشتهر بنوادره ولطائفه، كف بصره بعد بلوغه أربعين سنة من عمره. (ابن النديم: تكملة الفهرست، ص١٨١، ياقوت الحموى: معجم البلدان، جـ١٨، ص٢٨٦، ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ٣، ص٤٦٦، الزركلى: الأعلام، جـ٧، ص٢٢٦).

(٩) الخطيب البغدادى: تاريخ بغداد، جـ٤، ص ١٤٨، ابن الجوزى: أخبار الأذكياء، ص٧١ (تحقيق: محمد مرسى الخولى، مطابع الأهرام، التجارية، ١٩٧٠م).

وقد اتصل بالمأمون عن طريق يحيى بن أكثم، فكان يحضر مجالس المأمون في الجدل والمناظرة، فأعجب المأمون بعقله وحسن منطقه فقربه اليه وأصبح ذا نفوذ كبير في قصره[١]، قال إبراهيم بن الحسن: كنا عند المأمون فذكروا من بايع من الأنصار ليلة العقبة، فاختلفوا في ذلك، ودخل ابن أبي دؤاد فعدهم واحدا واحدا بأسمائهم وكناهم وأنسابهم[٢].

وكان معظما لدى الخليفة المأمون، يقبل شفاعاته، ويصغي الى كلامه وقد حسن له القول بخلق القرآن[٣]، وكان من وصية الخليفة المأمون للمعتصم (وأبو عبد الله بن أبي دؤاد فلا يفارقك، وأشركه في المشورة في كل أمرك، فإنه موضع لذلك منك)[٤].

ولما ولي المعتصم الخلافة جعل ابن أبي دؤاد قاضيا للقضاة[٥]، وكان الخليفة المعتصم خاضعا لرأيه، واقعا تحت نفوذه، وكان لا يفعل فعلا باطنا ولا ظاهرا إلا برأيه[٦]، وأصبح تأثيره عليه يفوق كثيرا تأثيره على الخليفة المأمون حتى قال قائل في ذلك: (ما رأيت أحدا أطوع لأحد من المعتصم لابن أبي دؤاد، كان يسأل (أي المعتصم) الشئ اليسير فيمتنع منه ثم يدخل ابن أبي دؤاد فيجيبه الى كل ما يريد[٧].

وكان المعتصم يعوده إذا مرض ويقول: كيف لا أعود رجلا ما وقعت عيني عليه قط الا ساق اليّ أجرا أو أوجب لي شكرا أو أفادني فائدة تنفعني في ديني ودنياي، وما سألني

---

(١) ابن خلكان: المصدر السابق، جـ١، ص٦٦، جمال الدين القاسمي: تاريخ الجهمية والمعتزلة، ص٦٤ ـ ٦٥، زهدي جار الله: المعتزلة، ص١٦٤

(٢) ابن خلكان: المصدر السابق والجزء، ص٦٤، الصفدي: الوافي بالوفيات، جـ٧، ص٢٨٣

(٣) الصفدي: المصدر السابق والجزء والصفحة، السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، جـ٢، ص ٣٨، زهدي جار الله: المرجع السابق، الصفحة.

(٤) الطبري: تاريخ الطبري، جـ ٨، ص٦٤٩، ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ١، ص٦٧، الزركلي: الأعلام، جـ١، ص١٢٤، أحمد أمين: ضحى الإسلام، جـ٣، ص١٥٦، محمد الخضري: تاريخ الأمم الإسلامية، ص٢٣٣

(٥) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، جـ٤، ص١٤٢، ابن خلكان: المصدر السابق والجزء والصفحة.

(٦) الخطيب البغدادي: المصدر السابق والجزء والصفحة، ابن خلكان: المصدر السابق والجزء والصفحة، باتون: أحمد بن حنبل والمحنة، ص ٩٨، محمد الخضري: المرجع السابق، ص٢٣٤

(٧) ابن الجوزي: مناقب الإمام أحمد بن حنبل، ص٣١٩، زهدي جار الله: المعتزلة، ص١٧١

حاجة لنفسه قط[١].

وبعد وفاة الخليفة المعتصم وتولى الخليفة الواثق، استمر ابن أبى دؤاد فى منصب قاضى القضاة[٢]، وكان يقوم بامتحان الفقهاء فى القول بخلق القرآن[٣].

قال الواثق يوما لأحمد بن أبى دؤاد[٤]: «قد اختلت بيوت الأموال بطلباتك، للائذين بك، والمتوسلين اليك، فقال: يا أمير المؤمنين نتائج شكرها متصلة بك، وذخائر أجرها مكتوبة لك، ومالى من ذلك إلا عشق اتصال الألسن بحلو المديح فيك، فقال: يا أبا عبد الله لامنعناك ما يزيد فى عشقك، ويقوى من همتك، فتناولنا بما أحببت».

وحين تولى الخليفة المتوكل الخلافة صادر أموال أحمد بن أبى دؤاد[٥]، وحبسه فأصابه فى حبسه الفالج الى أن مات[٦].

وكان ابن أبى دؤاد عظيم الجاه، قوى النفوذ، وقد كسب نفوذه من شخصيته الفذة ومكانته من الخلفاء، وأعلى بكرمه شأن العرب كما أعلى البرامكة شأن الفرس[٧]، وقد شغل منصبا من المناصب الواسعة النفوذ، فى عهد ثلاثة من خلفائهم: المأمون والمعتصم والواثق[٨]، وهو الذى جعل مذهب الاعتزال مذهب الدولة الرسمى، وممن لهم قدم

---

(١) مرض أحمد بن أبى دؤاد فقال له المعتصم: إنى نذرت إن عافاك الله أن أتصدق بعشرة آلاف دينار، فقال له: يا أمير المؤمنين اجعلها لأهل الحرمين فقد لقوا من غلاء الأسعار عنفا، فقال: نويت أن أتصدق بها ها هنا، وأن أطلق لأهل الحرمين مثلها. (الخطيب البغدادى: المصدر السابق والجزء، ص١٤٩ ـ ١٥٠).

(٢) الخطيب البغدادى: تاريخ بغداد، جـ٤، ص١٤٢، ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ١، ص٦٧

(٣) الطبرى: تاريخ الطبرى، جـ٩، ص٣٨ ـ ٣٩، ابن عبد ربه: العقد الفريد، جـ٢، ص٢٩٧، ابن خلكان: المصدر السابق والجزء، ص ٦٦، أحمد أمين: ضحى الإسلام، جـ٣، ص١٥٦.

(٤) الحصرى: زهر الآداب، جـ٢، ص٦٩٧، الخطيب البغدادى: المصدر السابق والجزء، ص١٤٦.

(٥) الطبرى: المصدر السابق، والجزء، ص١٨٩، ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، جـ٢، ص٨٧ (طبعة دار المسيرة، بيروت، الطبعة الثانية ، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م).

(٦) البغدادى: الفرق بين الفرق، ص١٥٩، ابن خلكان: المصدر السابق، والجزء والصفحة.

(٧)الخطيب البغدادى: المصدر اسابق، والجزء والصفحة، الزركلى: الأعلام، جـ١، ص١٢٠، أحمد أمين: المرجع السابق والجزء والصفحة.

(٨) الصفدى: الوافى بالوفيات، جـ٧، ص٢٨١.

راسخة فى الأدب والكلام والفقه[1]، ويصفه ابن المرتضى (بأن آثاره مشهورة)[2]، وقد عده المعتزلة فى الطبقة السابعة من طبقات رجالهم[3].

(٢)الخياط: الانتصار، ص٢٢٤ ـ ٢٢٥، ألبير نصرى نادر: فلسفة المعتزلة، جـ١، ص٢٩ ـ ٣٠.

(٣) المنية والامل، جـ١، ص٥٥.

(٤) القاضى عبد الجبار: طبقات المعتزلة، ص٢٧٦، ابن المرتضى: المنية والأمل.

الفصل الرابع

أثر المعتزلة فى العالم الإسلامى سياسيا وفكريا

- تمهيد
- فى بغداد والمشرق
- فى مصر والشام
- فى المغرب

أثر المعتزلة فى العالم الإسلامى سياسيا وفكريا:

تمهيد:

تبوأت بغـداد مكانة بين المدن، لا فى العـالم الإسلامى إبان ازدهاره فحسب، وإنما فى كافـة بلدان العالم فى العصـور الوسطى، وترجع هذه المكانة الى ما توفـر فيهـا من أحوال جلبت اليها الناس للاستقرار والعمل والإبداع(١).

ولقد كان موقعها هو أنسب موقع لعاصمة فى بلاد الإسلام التى امتدت من المغرب الى السند، فكانت واسطة العقد فى ملك العـباسيين، لوقوعها عـلى حدود عالم العرب الذين ينسبون اليه، وعالم العجم الذى قامت دولتهم على أكتافه(٢).

وقد كان إنشاء الخليفة المنصور (ت ١٥٨ هـ/ ٧٧٥م) للعاصمة بغداد ضرورة سياسية وليس ضرورة اجتماعية(٣)، فعلى الرغم من أن العباسيين قضوا على بنى أمية قضاء مبرما، فـإنهم لم يشـعـروا بالأمن بين أشـد رعاياهم إخـلاصـا لهم، كـمـا أنهم لم يطمـئنوا الى الاستـقرار فى مدن العـراق الكبرى، وهى الكوفـة، والحيرة، والأنبـار، ولذا صمـموا على تأسيس عاصمة جديدة لأنفسهم، جاء موقعها وتصميمها إيذانا بقيام عهد جديد(٤).

ومن الدوافع التى جعلت الخليـفة المنصور يقيم عاصـمة جديدة قيام حـركة خطيرة من حـــركـات الـــزنـادقة، وهى الـــــراوندية(٥)، وكـــان المنصـور دقـيقـا فى اختيـاره لموقع

---

(١) الخطيب البغدادى: تاريخ بغـداد، جـ١، ص٤٤ ـ ٥٠ ـ ٥١، ٥٤، صالح أحمد العلى: مقـدمة كتاب خطط بغـداد فى العهـود العبـاسية الأولى لـيعقـوب ليسـر، ص٣ (مطبعـة المجمع العلمى الـعراقى، ١٩٨٤م، ترجمة: صالح أحمد العلى).

(٢) عبد المنعم ماجد: العصر العباسى الأول، جـ١، ص١٠٠.

(٣) رمزية الأطرقـجى: الحيـاة الاجتـماعيـة فى بغداد، ص٤٥ (مطبـعة الجامـعة ببـغداد، الطبـعة الأولى، ١٩٩٨٢م).

(٤) رمزية الأطرقجى: المرجع السابق ص٤٥ ـ ٤٦.

(٥) الروالندية: نسبة الى راوند القريبـة من أصفهان التى كانت مهد هذه الحركـة التى تزعمها رجل أبرص يدعى (الأبلق) ونادى بمبادئ غريبة على الإسلام، فقـد زعم أن الروح التى كانت فى عيسى بن مريم قد انتقلت الى عـلى بن أبى طالب ثم حلت فى الأئمة العلويين على التوالى حـتى انتهت الى الإمام العباسى إبراهيم بن محـمد، واستحلت الراوندية الحرمات، وعبثوا بالآداب الـعامة (النوبختى: فرق الشيعة، ص٤٦ ـ ٤٨، الطبرى: تاريخ الطبـرى، جـ ٨، ص٨٣، السيوطى: تاريخ الخلفاء، ص٢٦١، رمزية الأطرقجى: المرجع السابق، ص٤٥.

مدينة بغداد[١].

وقد نجح الخليفة المنصور فى تثبيت دعائم الدولة العباسية، ولذا ورث الخليفة المهدى (ت ١٦٦ هـ / ٧٨٣م) عن أبيه دولة مستقرة الأوضاع، وقد عبر المنصور عن ذلك بقوله لولده المهدى: «يا بنى، إنى قد جمعت لك من الأموال ما لم يجمعه خليفة قبلى، وجمعت لك من الموالى ما لم يجمعه خليفة قبلى، وبنيت لك مدينة لم يكن فى الإسلام مثلها»[٢].

أصبحت بغداد فى العصر العباسى الأول أم المدائن ومركز التجارة وكعبة العلوم والآداب، ومنبع الثروة والرخاء[٣]، وقد جعلها موقعها الجغرافى الفريد ميناء داخليا كبيرا، ومركزا عظيما للتجارة البرية، وكانت مركز ادارة دولة واسعة، كما كانت مركزا عظيما للدراسات الدينية والدراسات العلمية الأخرى، وكانت أكبر مدينة فى العالم الإسلامى الوسيط، وقد أطلق عليها بعض الباحثين اسم (سرة الدنيا)[٤]، لما لها من مركز سياسى واجتماعى واقتصادى عالمى، ينافس سائر مراكز الحضارة فى العالم حينئذ، وأن ما كان يجرى فيها من أحداث يترك صدى عميقا فى كافة الأنحاء، عن طريق النفوذ السياسى للخلافة، وسطوة الولاة، والعلاقات التجارية التى لا تنقطع.

وسنحاول أن نعرض لصدى ذلك وأثر المعتزلة سياسيا وفكريا فى العالم الإسلامى خارج بغداد بقدر ما تسعفنا به المصادر من مادة.

---

(١) الخطيب البغدادى: تاريخ بغداد، جـ١، ص٦٩ ـ٧٩.

(٢) الطبرى: تاريخ الطبرى، جـ٨، ص١٠٦.

(٣) حسن ابراهيم: تاريخ الإسلام السياسى، جـ٢، ص٣٨، رمزية الأطرقجى: الحياة الاجتماعية فى بغداد، ص٤٩.

(٤) ليسر: خطط بغداد فى العهود العباسية الأولى، ص١٨.

في بغداد والمشرق

كانت مسألة خلق القرآن هي المسألة التي تركز فيها الاعتزال في زمن الخليفة المأمون[١]، وقد بدأ المأمون في حمل الناس على القول بخلق القرآن سنة ٢١٨هـ / ٨٣٣م، وأرسل عدة كتب إلى والي بغداد إسحق بن إبراهيم أمره بامتحان القضاة والشهود والمحدثين في خلق القرآن[٢]، وعمل على عدم الاستعانة إلا بمن يقول بخلق القرآن[٣]، ومن لا يقول بذلك لا يصلح لتولي أي عمل[٤].

وبعد وفاة المأمون عمل المعتصم على حمل الناس على القول بخلق القرآن، وامتحنهم في ذلك، وعمل على تعليم الصبية هذا المذهب[٥]، وأسند إلى المعتزلة بعض مناصب الدولة واعتمد عليهم في إدار شئونها[٦].

وفي عهد الواثق كان المعتزلة في أوج قوتهم، فحملوا الخليفة على مواصلة محنة خلق القرآن[٧].

وقد انتشر الاعتزال في بغداد نتيجة لسياسة الخلفاء المأمون، والمعتصم، والواثق[٨]، وقد وجد المقدسي في العراق كثيراً من المعتزلة، ولا سيما في الشمال[٩].

---

(١) الطبري: تاريخ الطبري، جـ٨، ص٦٣١، الشهرستاني: الملل والنحل، جـ١، ص٧٦، أحمد أمين: ضحى الإسلام، جـ٣، ص١٥٦.

(٢) الطبري: المصدر السابق والجزء، ص٦٣١، وما بعدها، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ٢، ص٢١٩ - ٢٢٢.

(٣) الطبري: المصدر السابق والجزء ص٦٣٣، القاسمي الدمشقي: تاريخ الجهمية والمعتزلة، ص٦٧.

(٤) الطبري: المصدر السابق والجزء، ص٦٣٣ - ٦٣٧، أبو المحاسن: المصدر السابق والجزء ص٢١٩- ٢٢٠، أحمد أمين: المصدر السابق والجزء ص١٧٦.

(٥) السيوطي: تاريخ الخلفاء ص٣٣٤ - ٣٣٥.

(٦) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، جـ٤، ص١٤٢، ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ١، ص٦٧.

(٧) المسعودي: مروج الذهب جـ٢، ص٣٧٥، التنبيه والإشراف، ص٣١٣، ابن الجوزي: مناقب الإمام أحمد بن حنبل، ص٣٤٨، أبو الفدا: تاريخ أبو الفدا جـ٢، ص٣٦، الدميري: حياة الحيوان الكبرى، جـ١، ص٧٣، القرماني: أخبار الدول، ص١٥٦.

(٨) الجاحظ: الحيوان، جـ٥، ص٥٣، التنوخي: نشبوار المحاضرة، جـ١، ص٢٧٤.

(٩) أحسن التقاسيم، ص١٢٦، ١٣٢.

أما فى الشرق، فقد بعث واصل بن عطاء إلى خراسان[١] حفص بن سالم فلزم المسجد فى ترمذ[٢] حتى اشتهر أمره، وناظر جهما فأنتصر عليه، ولما عاد حفص إلى البصرة، رجع جهم إلى قول الباطل[٣].

انتشر مذهب الاعتزال تحت ظل الدولة البويهية فى العراق وخراسان وما وراء النهر[٤]، فدخل فيه جماعة من مشاهير القراء[٥].

ويقول المقدسى: إنه وجد أكثر الشيعة فى بلاد العجم معتزلة، وأكثر فقائهم على الاعتزال، والأمير البويهى عضد الدولة (ت ٣٧٢هـ/ ٩٨٢م) يعمل على مذهب المعتزلة[٦]، ووجد العوام فى الرى[٧] يتابعون الفقهاء فى خلق القرآن، حتى لتقع العصبيات بينهم فى ذلك[٨]، وفى خوزستان كان معظم السكان المعتزلة أيضا[٩]، وقد التقى فى رام هرمز إحدى مدن خوزستان بشيخ يدرس الكلام على مذهب المعتزلة[١٠]، أما شيعة عمان وصعدة والسروات وسواحل البحرين، فكلهم معتزلة[١١].

وكان المعتزلة أذلاء مستضعفين فى البلاد التى غلب عليها أهل السنة، وأنهم لم يكن لهم وجود ولا كيان إلا فى الجهات التى غلب عليها الشيعة كفارس والعراق واليمن[١٢].

---

(١) خراسان: بلاد واسعة أول حدودها مما يلى العراق وآخر حدودها مما يلى الهند (ياقوت الحموى: معجم البلدان، جـ٢، ص٣٥٠ (دار صادر ـ بيروت ـ ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م).

(٢)ترمذ: مدينة مشهورة من أمهات المدن على نهر جيحون من جانبه الشرقى. (ياقوت: المصدر السابق، جـ٢، ص٢٦ (دار إحياء التراث العربى ـ بيروت ـ لبنان).

(٣) القاضى عبد الجبار: فضل الاعتزال، ص٢٣٧، ابن المرتضى: المنية والأمل، جـ١، ص٣٥.

(٤) ما وراء النهر: يراد به ما وراء نهر جيحون بخراسان (ياقوت: المصدر السابق، حـ٥، ص٤٥.

(٥) المقريزى: الخطط، جـ٤، ص١٨٤.

(٦) أحسم التقاسيم، ص٤٣٩.

(٧) الرى: محط الحاج على طريق السابلة وقصبة بلاد الجبال، بيهما وبين نيسابور مائة وستون فرسخا والى قزوين سبعة وعشرون فرسخا. (ياقوت الحموى: معجم البلدان، جـ٣، ص١١٦).

(٨) أحسن التقاسيم، ص٣٩٥ ـ ٣٩٦.

(٩) المصدر السابق، ص٤١٥.

(١٠) المصدر السابق، ص٤١٣.

(١١) المصدر السابق، ص٩٦.

(١٢) زهدى جار الله: المعتزلة، ص٢٠٧.

وكـان المعتـزلة أقـوياء فى زمن بنى بويه[1]، وكانت لهم حلقـات كبيـرة يدرسون فيـها أصـولهم وقواعـدهم بدون معـارضة مـثل حلقـة الحسن بن رجـاء الدهان (ت ٤٤٧هـ / ١٠٥٥م)[2].

واستمر كثير من المعتزلة يشغلون مراكز عالية فى القضاء مثل القاضى عبد الجبار أحمد بن عبد الجبار (ت ٤١٤هـ / ١٠٢٣م) قاضى قضاة الرى وأعمالها وأعظم شيوخ الاعتزال فى ذلك العصر بعـد الصاحب بن عباد، والمعتـزلة يلقبونه قاضى القـضاة، ولا يطلقون هذا اللقب على أحد سواه ولا يعنون أحدا غيره[3].

ويروى السـبكى أن أبا يوسف عـبـد السـلام القـزوينى (ت ٤٤٨هـ / ١٠٥٦م) كـان فخوراً بالاعتـزال يتظاهر به حتى على باب نظام الملك الوزير السلجوقى الأشعـرى فيقول لمن يستأذن عليه: قل أبو يوسف القزوينى المعتزلى[4].

على أن المعتزلة لم يبلغوا فى ذلك العصر درجة من القوة يعتد بها ويحسب حسابها إلا فى وزارة الصـاحب بن عـبـاد (٣٨٥هـ / ٩٩٥م) لفـخر الـدولة البـويهى، فـقد اسـتـقل الصاحب الوزارة ثمـانية عشر عـاماً (٣٦٧هـ ـ ٣٨٥هـ) (٩٧٧م / ٩٩٥م) [5]، وأطـلـق مليكه يـده فى الحكم[6]، فبلغ الصاحب حدا من القوة، ومرتبة عالية من العظمة حتى أنهم يقولون أنه لم يـكن يقوم من مجلسـه لأحد، ولا يشيـر إلى القيام، ولا يطـمع أحد منه فى ذلك، وكان أبناء الملوك والقواد وسائر من سـاواهم من الزعمـاء والكبراء يحضرون إلى باب داره فيقفون على دوابهم مطرقين لا يتكـلم واحد منهم هيبة واعظاما له إلى أن يخرج الحاجـب فيأمـر أحدهـم بـالدخول أو يأمـرهـم بالانصراف، وكـانوا اذا دخلوا عليه يقـبلون

---

(١) ابن القيم الجوزية: الصواعق المرسلة، جـ٢، ص٨٣

(٢) ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، جـ٣، ص٢٥٩

(٣) الخطيب البـغـدادى: تاريخ بغداد، جـ١١، ص١١٣، السـبكى: طبـقـات الشافـعـية الكبـرى، جـ٣، ص٢١٩ ـ ٢٢٠، الزركلى: الأعلام ، جـ٤، ص٤٧.

(٤) السبكى: المصدر السابق والجزء ، ص٢٣٠، زهدى جار الله: المعتزلة، ص٢٠٩.

(٥) ياقوت: معجم الأدباء ، جـ٦، ص٢٥١.

(٦) ياقوت: المصدر السابق والجزء ، ص٢٤٧، زهدى جار الله: المرجع السابق والصفحة.

الأرض مرارا بين يديه[١]، وقد أخذ الصاحب مذهب الأعتزال عن أبيه الحسن بن عباد بن عباس[٢].

لما اجتمعت في يده السلطة، استخدمها في نصـرة الاعتزال ونشره، فجمع حوله المعتزلة من كل صقع، وأسند إليهم المناصب العاليـة، وأغدق عليهم الأموال الجزيلة، فكانت الرى لهم في عهد فخر الدولة كـبغداد في عهد المأمون والمعتصم، وكـان الصاحب لهم كما كان ابن أبي دؤاد[٣].

بذل الصاحب جهده في نشـر الاعتزال وحمل الناس على انتحاله متبعا في ذلك شتى الطرق، فكان يناظر من يحضر مجلسه في خلق القرآن حتى يستميلهم بالحجة والإقناع[٤]، وكان يلجـأ إلى الترغيب والإغـراء، فلا يوظف الا من اتبعه فـي مذهبه، وقال بقـوله، وقد أرسل إلى أحدهم يقول: (من نظر لدينه نظرنا لدنياه، فإن آثرت العدل والتوحيد بسطنا لك الفضل والتمهيد، وأن أقـمت على الجبر فليس لكسرك من جبر)[٥]، وقـد دخل الناس في مذهب الصاحب رغبة في ما لديه[٦].

وبعد وفاة الصـاحب قام فخر الدولة بالاستيلاء على داره[٧]، وتنكر لرجـاله وأعـوانه وقبض عليهم وأخذ أموالهم[٨].

وتتابعت بعد ذلـك المحن على المعتزلة، وكان آل بويه قد بدأوا يـضعفون، فقـام الخليفة القادر بالله (٣٨١هـ/ ٤٢٢م) (٩٩١م/ ١٠٣٠م) على تصنيف كتـاب في الأصول ذكر فيـه فضـائل الصحـابة على ترتيب مـذهب أهل الحديث، وكـفر المعـتزلة والقـائلين بخلق

---

(١) ياقوت الحموي: المصدر السابق والجزء ص٢٤٥ ـ ٢٤٦.
(٢) ياقوت الحموي: المصدر السابق والجزء، ص١٧٢.
(٣) زهدي جار الله: المعتزلة ص٢١٠.
(٤) ياقوت الحموي: المصدر السابق والجزء، ص٢١١ ـ ٢١٢.
(٥) الثعالبي: يتيمة الدهر، جـ٣، ص٢٠١، ياقوت الحموي: معجم الأدباء، جـ٦، ص٢٨٦، بدوي طبانة: الصـاحب بن عبـاد، ص٢١٠ (سلسلة أعلام العـرب، ٢٧)، المؤسـسة المصـرية للتأليف والتـرجمـة والطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م).
(٦) ياقوت الحموي: المصدر السابق والجزء، ص٢٢٥.
(٧) أبو شجاع محمد بن الحسين: ذيل تجارب الأمم، ص٢٦٢ (القاهرة، ١٣٣٢هـ/ ١٩١٣م).
(٨) ابن الأثير: الكامل، جـ٩، ص٧٨.

القرآن، وكان الكتاب يقرأ كل جمعة بجامع المهدى ببغداد ويحضر الناس سماعه[١].

تجلى خضوع السلطان محمود الغزنوى[٢] (٣٦١هـ / ٤٢١هـ) (٩٧١م / ١٠٣٠م) لتعاليم الخلافة الدينية سنة ٤٠٨هـ / ١٠١٨م، حين استتاب الخليفة القادر فقهاء المعتزلة، وأظهروا التبرأ من الاعتزال، واستن السلطان محمود بسنته، فقبض على المعتزلة وغيرهم من الفرق وصلبهم وحبسهم ونفاهم وأمر بلعنهم على منابر المسلمين[٣].

ولما فتح السلطان محمود الرى سنة ٤٢٠هـ / ١٠٢٩م ألقى القبض على أميرها مجد الدولة بن فخر الدولة بن بويه، ونفى المعتزلة من الرى إلى خراسان وأحرق كتبهم وسائر كتب الفلسفة والنجوم[٤].

عمل الكندرى[٥] وزير طغرلبك السلجوقى (٣٨٥هـ / ٤٥٥هـ) (٩٩٥م / ١٠٦٣م) على تقديم جماعة المعتزلة واستعان بهم فى إدارة شئون الدولة، وذلك لأنه كان معتزليا متحمسا للاعتزال، مبغضا لمخالفيه[٦]، ثم تمادى فى ذلك فاجترأ على لعن الأشعرية[٧]،

---

(١) الخطيب البغدادى: تاريخ بغداد، جـ٤، ص٣٨، ابن الأثير: المصدر السابق والجزء، ص٢٨٣.

(٢) هو أبو القاسم محمود بن ناصر الدولة أبى منصور سبكتكين (ت٤٢١هـ/ ١٠١٣٠م)، الملقب سيف الدولة، ثم لقبه الإمام القادر بالله يمين الدولة، كان مولعا بعلم الحديث، وقد تمسك بمذهب الامام الشافعى، ملك بلاد خراسان، واستتب له الملك فيها، وسير له الإمام القادر بالله خلعة السلطنة، ولم يزل يفتح فى بلاد الهند حتى انتهى الى حيث لم تبلغه فى الإسلام راية. (ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ٥، ص١٧٥ ـ ١٨١ (تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت ـ لبنان).

(٣) ابن الجوزى: المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم، جـ٧، ص٢٨٧ (حيدر آباد، ١٣٨٥هـ)، عصام الدين عبد الرؤوف: الدولة الإسلامية المتقلة فى الشرق ص٨٥ (دار الفكر العربى ـ بدون تاريخ).

(٤) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، جـ٩، ص٢٦١ ـ ٢٦٢، زهدى جار الله: المعتزلة، ص٢١٣، عصام الدين عبد الرؤوف: المرجع السابق، ص١٩٣.

(٥) الكندرى: هو أبو نصر محمد بن منصور الكندرى (٤١٦هـ ـ ٤٥٦هـ)/ (١٠٢٥م ـ ١٠٦٤م)، المعروف بعميد الملك، وزر لطغرلبك، ونال عنده الرتبة العالية والمنزلة الجليلة، وكان معتزليا متحمسا للاعتزال، مبغضا لمخالفيه. (ابن خلكان: وفيات الأعيان، جـ٢، ص١٠٣، السبكى: طبقات الشافعية، جـ٢، ص٢٧٠).

(٦) السبكى: المصدر السابق والجزء والصفحة، زهدى جار الله: المعتزلة ص٢١٤.

(٧) الأشعرية: أصحاب أبى الحسن على بن إسماعيل الأشعرى، (ت٣٣٠هـ/ ٩٤١م)، وقد بدأت هذه الحركة الأشعرية فى القرن الرابع الهجرى العاشر الميلادى، واشتبكت فى نضال مع الفرق الأخرى ومع المعتزلة بوجه خاص، والأشاعرة يثبتون صفات البارى كما وردت. (الشهرستانى: الملل والنحل، جـ١، ص٩٧ وما بعدها).

وأهل السنة جميعا[١].

وهكذا بدأت الفتنة في خراسان بين المعتزلة وبين الأشعرية، تلك الفتنة التي قال عنها السبكي: (وهى الفتنة التي طار شررها فملأ الآفاق، وطال ضررها فشمل خراسان والشام والحجاز والعراق، وعظم خطبها وبلاؤها)[٢]، وحمل عميد الملك السلطان على إصدار أمره بالقبض على رؤساء الأشعرية في خراسان[٣].

وقد استمرت هذه الفتنة نحو عشر سنين، وفر بسببها أمام الحرمين الجويني(ت٤٧٨هـ / ١٠٨٥م) إلى الحجاز، وسجن فيها بعض كبار الأشاعرة[٤]، ومن بينهم القشيري الصوفي (ت ٤٦٦هـ/ ١٠٧٤م) الذى وضع رسالة عنوانها: «شكاية أهل السنة بحكاية ما نالهم من المحنة»، وقد نشرت هذه الرسالة، وكان لها صدى كبير في البلاد الإسلامية[٥].

وبعد مصرع العميد الكندري أعاد نظام الملك الوزير الجديد مذهب الأشعرى، وأمر باسقاط اللعن وتأديب من فعله، وكان نظام الملك (ت ٤٨٤هـ/ ١٠٩٢م) أشعريا شافعيا[٦]، فنصر الأشعرية وبنى المدارس للتدريس فيها على أصولها، ولا سيما المدرسة النظامية في بغداد، والمدرسة النظامية في نيسابور[٧].

ولجأ المعتزلة إلى خوارزم[٨]، ونشروا فيها مذهبهم على يد ابن جرير الأصبهاني[٩]،

---

(١) السبكي: طبقات الشافعية، جـ٢، ص٢٧٠.

(٢) السبكي: المصدر السابق والجزء والصفحة.

(٣) السبكي: المصدر السابق والجزء ص٢٧٠ ـ ٢٧٢، زهدى جارالله: المرجع السابق، ص٢١٤ ـ ٢١٥.

(٤) ابن الأثير: الكامل، جـ١، ص٢١٠، إبراهيم مدكور: في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه، جـ٢، ص٤٧ (دار المعارف ـ القاهرة ـ ١٩٨٣م).

(٥) السبكي: المصدر السابق والجزء، ص٢٧٢ ـ ٢٨٨، زهدى جار الله: المعتزلة ص٢١٥ ـ ٢١٦، إبراهيم مدكور: المرجع السابق والجزء والصفحة.

(٦) السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، جـ٢، ص٢٧١، زهدى جارالله: المرجع السابق، ص٢١٦ ـ ٢١٧.

(٧) السبكي: المصدر السابق والجزء، ص٩٠.

(٨) يقول ياقوت: ان خوارزم ليس اسما لمدينة إنما هو اسم للناحية بجملتها، وهى فى الإقليم السادس، ومثل خوارزم في إقليم الشرق كجلماسة في الغرب، وطباع أهل خوارزم كطباع البربر. (معجم البلدان، جـ٢، ص٣٩٥ ـ ٣٩٧ (دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان).

(٩) هو أبو مضر محمود بن جريد الأصبهاني (ت ٥٠٧هـ/ ١١١٣م) وكان من كبار العلماء يضرب به المثل في العلم والفضل. فاجتمع عليه أهل خوارزم لجلالته، وتمذهبوا بمذهبه. (السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ص٣٨٦ ـ ٣٨٨ (القاهرة، ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م).

وتخرج عليه جماعة من أكابرهم كمحمود الزمخشرى[١]، وقد ترك الأصبهانى فى الزمخشرى أثراً عميقاً، فنشأ معتزليا قويا فى مذهبه فخوراً به[٢]، وأصبح الزمخشرى قوة للاعتزال، وداعية له، واشتغل بنشره[٣].

يقول جمال الدين القاسمى الدمشقى: (إن هذه الفرقة ـ كفرقة أهل السنة والجماعة ـ من أعظم الفرق رجالا وأكثرها تابعاً. فإن شيعة العراق على الإطلاق معتزلة، وكذلك شيعة الأقطار الهندية والشامية والبلاد الفارسية، ومثلهم الزيدية فى اليمن، فإنهم على مذهب المعتزلة فى الأصول[٤].

(١) هو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخورارزمى الزمخشرى وزمخشر، قرية من قرى خوارزم (ت٥٣٨هـ/ ١١٤٣م) وهو إمام فى التفسير والحديث والنحو وعلم البيان، ومن تصانيفه: «الكشاف» فى تفسير القرآن و«أساس البلاغة» فى اللغة. (ابن خلكان: وفيات الأعيان جـ٥، ص١٦٨ (تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت ـ لبنان).

(٢) ابن خلكان: المصدر السابق والجزء، ص١٧٠، السيوطى المصدر السابق، ص٣٨٨.

(٣) زهدى جار الله: المعتزلة، ص٢١٨.

(٤) تاريخ الجهمية والمعتزلة، ص ٥٦.

فى مصر والشام

بدأت المحنة فى مصر عندما كان المأمون لايزال على قيد الحياة، والكتاب الخاص بالمحنة الذى أرسل إلى مصر لم يكن هو نفس الكتاب الأول الذى أرسله المأمون لعامله على بغداد إسحق بن إبراهيم، إنما هو كتاب آخر أرسله أخو الخليفة المأمون الذى كان يسمى عند توليه الخلافة بالمعتصم، وكان اسمه آنذاك أبا إسحق بن هارون الرشيد(١)، وقد أرسله أبو إسحق إلى كيدر «نصر بن عبد الله» والى مصر من قبل المأمون، وورد هذا الكتاب على كيدر فى جمادى الآخرة سنة ٢١٨هـ / ٨٣٣م، أى بعد وصول كتاب المأمون إلى بغداد بنحو ثلاثة أشهر(٢).

ولا تخرج التعليمات التى وردت لوالى مصر عن نظائرها الى وردت فى كتاب المأمون لحاكم بغداد، وتتلخص فى فصل القضاة ما لم يقروا بأن القرآن مخلوق، وإسقاط عدالة الشهود فى القضاء ما لم يقروا بهذه العقيدة، أى إبطال شهادتهم، ومنع الفقهاء والمحدثين فى المساجد من الإفتاء أو رواية الحديث ما لم يعلنوا إيمانهم بخلق القرآن(٣).

امتحن كيدر قاضى مصر هارون بن عبد الله الزهرى فأجاب بالقول بخلق القرآن، وامتحن الشهود، فمن توقف منهم عن القول بذلك سقطت شهادته، وامتحن القضاة وأهل الحديث وغيرهم(٤).

وكان قاضى مصر هارون بن عبد الله إذا شهد عنده شاهدان سألهما عن القرآن، فإن أقرا أنه مخلوق قبلهما وإلا أوقف شهادتهما(٥).

---

(١) قال: أبو إسحق (المعتصم) فى كتابه: بسم الله الرحمن الرحيم، من أبى إسحق ابن أمير المؤمنين الرشيد، أخى أمير المؤمنين الى نصر بن عبدالله كيدر مولى أمير المؤمنين...)، الكندى: الولاة والقضاة، ص٤٤٥، وما بعدها (طبع مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٨م).

(٢) الكندى: المصدر السابق، ص٤٤٥ ـ ٤٤٧. أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، جـ٢، ص٢١٨.

(٣) الكندى: القضاة والولاة، ص٤٤٥ ـ ٤٤٧، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، جـ٢، ص٢١٨.

(٤) الكندى: المصدر السابق، ص١٩٣، أبو المحاسن: المصدر السابق والجزء والصفحة، باتون: أحمد بن حنبل والمحنة، ص١٠٤، أحمد أمين: ضحى الإسلام، جـ٣، ص١٨٣.

(٥) الكندى: المصدر السابق، ص٤٤٧.

وكان ممن حمل من أهل مصر إلى العراق أيام المحنة فى عهد المأمون، الحارث بن مسكين[1]، وكان ابن أبى دؤاد يمتحن الناس بخلق القرآن فقال للحارث: أشهد أن القرآن مخلوق، فقال: أشهد أن هذه الأربعة مخلوقة، وبسط أصابعة الأربع، فقال: التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، فعرض وكنى وتخلص من القتل[2].

وكان كيدر يمتحن الناس حتى جاء الخبر بموت المأمون قبل أن يقبض على من طلبه المأمون[3]، ثم بويع المعتصم بالخلافة، وولى مصر المظفر ابن كيدر فى شهر ربيع الآخر ٢١٩هـ/ ٨٣٤م بعد موت أبيه كيدر، فأتاه كتاب المعتصم يأمره أن يمتحن العلماء بخلق القرآن بمصر ففعل ذلك[4].

ثم ولى موسى بن العباس مصر فى رمضان سنة ٢١٩هـ/ ٨٣٤م بعد عزل المظفر بن كيدر، فيذكر أبو المحاسن: (أنه أباد فقهاء مصر وعلماءها إلى أن أجاب غالبهم بالقول بخلق القرآن)[5].

وكان من أشد الناس تحمساً للقول بخلق القرآن وتعذيب من أنكر من المصريين، محمد بن أبى الليث قاضى مصر فى بعض أيام المعتصم وفى أيام الواثق، وكان يناصر المعتزلة، وقد استغل المحنة فى اضطهاد المالكية والشافعية وتعذيبهم والإيقاع بهم حيث كان حنفى المذهب[6].

---

(١) الحارث بن مسكين (ت٢٥٠هـ/ ٨٥٩م) محدث ثقة حمل فى أيام المأمون الى العراق، وسجن فى أيام المحمة، فلما ولى المتوكل أطلقه فعاد الى مصر وولى فيها القضاء سنة ٢٣٧هـ/ ٨٥١م، ثم استعفى سنة ٢٤٥هـ/ ٨٥٩م، وكان كثير الابتعاد عن الملوك. (الكندى: المصدر السابق، ص٤٦٧، الخطيب البغدادى: تاريخ بغداد، جـ٧، ص٢١٦).

(٢) أبو الفرج بن الجوزى: أخبار الأذكياء، ص١٣٥ (تحقيق: محمد مرسى الخولى، مطابع الأهرام التجارية، ١٩٧٠م).

(٣) أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، جـ٢، ص٢٢٢، باتون: أحمد بن حنبل والمحنة، ص١٠٤ ـ ١٠٥، أحمد أمين: ضحى الإسلام، جـ٣، ص١٨٣.

(٤) الكندى: المصدر السابق ص١٩٣، أبو المحاسن: المصدر السابق والجزء، ص٢٢٢ ـ ٢٢٣، ص٢٢٩ ـ ٢٣٠، باتون: المرجع السابق، ص١٥٩، أحمد أمين: المرجع السابق والجزء والصفحة.

(٥) أبو المحاسن: المصدر السابق والجزء، ص٢٣١ ـ ٢٣٢.

(٦) الكندى: المصدر السابق، ص٤٤٧، أحمد أمين: ضحى الإسلام، جـ٣، ص ١٨٣

فبعض الناس لزم بيته فلم يظهر، وبعضهم هرب إلى اليمن، وقد اختفى ذون النون بن إبراهيم الأخميمى (ذو النون المصرى)، ثم عاد فقبض عليه وامتحن فأقر بالمحنة[1].

وكان ممن أحضر من مصر لهذه الغاية نعيم بن حماد (ت ٢٢٨هـ / ٨٤٢م)، وسئل عن خلق القرآن فامتنع فحبسوه بسامراً حتى مات[2].

ولكن يبدو أن أمر المحنة كان سهلا فى ولاية المعتصم، ولم يكن الناس يؤخذون بها شاءوا أو أبوا حتى مات المعتصم[3].

ولما ولى الخليفة الواثق ورد كتابه على محمد بن أبى الليث بامتحان الناس أجمعين، فلم يبق أحد من فقيه ولا محدث ولا مؤذن ولا معلم حتى أخذ بالمحنة، وأمر ابن أبى الليث أن يكتب على المساجد: (لا اله إلا الله رب القرآن المخلوق)، فكتب ذلك على المساجد بفسطاط مصر، ومنع الفقهاء من أصحاب مالك والشافعى من الجلوس فى المسجد وأمرهم أن لا يقربوه[4].

وقد حمل أبو يعقوب يوسف بن يحيى البويطى (ت ٢٣٢هـ/ ٨٤٦م)، المنقشف من مصر إلى العراق للامتحان فامتنع عن الجواب، وقيد وسجن وهو يقول: والله لأموتن فى حديدى حتى يأتى من بعدى قوم يعلمون أنه مات فى هذا الشأن قوم فى حديدهم[5].

ولم يقتصر الأمر على محاكمة الولاة للناس، بل كانت مجالس الخاصة والعامة تردد هذه المسألة. فإذا جلس عالم مجلساً سأله سائل: هل القرآن مخلوق؟ وإذا خلا بعضهم إلى بعض تحدثوا فى أخبار خلق القرآن، ومن حقد على آخر وأراد أن يدس له اتهمه بأنه يقول القرآن غير مخلوق[6].

(١) الكندى: المصدر السابق، ص٤٥٣، أحمد أمين: المرجع السابق، جـ٣، ص١٨٤.
(٢) الكندى: المصدر السابق، ص٤٤٧، ابن الجوزى: مناقب الإمام أحمد بن حنبل، ص٣٦٧، باتون: أحمد بن حنبل والمحنة ص١٦٦ ـ ١٦٧، زهدى جار الله: المعتزلة، ص١٧٢.
(٣) الكندى: المصدر السابق، ص٤٥١.
(٤) الكندى: المصدر السابق والصفحة، أحمد أمين: المرجع السابق والجزء والصفحة.
(٥) الكندى: المصدر السابق، ص٤٤٧، باتون: أحمد بن حنبل والمحنة ص١٦٧ ـ ١٦٨، احمد أمين: ضحى الإسلام، حـ٣، ص١٨٤، زهدى جارالله: المعتزلة، ص١٧٧.
(٦) الكندى: المصدر السابق، ص٤٥١ ـ ٤٥٣، السيوطى: بغية الوعاة، ص١٠٨ (القاهرة ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م)، أحمد أمين: المرجع السابق والجزء، ص١٨٥، زهدى جارلله: المرجع السابق ص٢٠٨ ـ ٢٠٩.

ولما تولى المتوكل سنة ٢٣٢هـ/ ٨٤٦م لم يتحمس للقول بخلق القرآن، وأظهر الميل إلى السنة[١]، ثم ورد كتاب المتوكل إلى والى مصر (هرثمة بن النضر الجبلى) يأمره بترك الجدال فى القرآن واتباع السنة وعدم القول بخلق القرآن، وكان هرثمة يحب السنة، فأخذ فى إظهارها والعمل بها، وفرح الناس بذلك وتباشروا بولايته[٢].

وفى سنة ٢٣٧هـ/ ٨٥١م أطلق المتوكل جميع من كان فى السجن ممن امتنع من القول بخلق القرآن فى أيام أبيه[٣]، وأمر نائب مصر أن يحلق لحية قاضى القضاة بمصر أبى بكر محمد بن أبى الليث، وهو الذى عذب الناس فى المحنة، وأن يضربه ويطوف به على حمار ففعل، وولى القضاء بدله الحارث بن مسكين من أصحاب مالك[٤].

أما فى الشام فقد وجدت المذاهب غير الإسلامية كالنصرانية، وكان فيها فرق أصحاب جدل كالنساطرة[٥]، واليعاقبة[٦]، وكان جدلهم يتعلق بطبيعة المسيح، وكان النساطرة فى

---

(١) الدميرى: حياة الحيوان الكبرى، جـ١، ص٧٧ (المطبعة الخيرية، مصر ١٣٠٩هـ)، الديار بكرى: تاريخ الخميس، ص٣٣٨، المطبعة الوهبية، القاهرة، ١٢٨٣هـ)، السيوطى: تاريخ الخلفاء ص٣٤٦، القاسمى الدمشقى: تاريخ الجهمية والمعتزلة، ص٦٩.

(٢) الكندى: القضاة والولاة، ص١٩٧، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، جـ٢، ص٢٢٦.

(٣) أبو المحاسن: المصدر السابق والجزء، ص٢٩٠.

(٤) أبو المحاسن: المصدر السابق والجزء، ص٢٨٨ ـ ٢٨٩، السيوطى: تاريخ الخلفاء، ص٣٤٧، أحمد أمين: ضحى الإسلام، جـ٣، ص١٩٨.

(٥) النساطرة: أصحاب نسطور الحكيم الذى ظهر فى زمان المأمون، وقال إن الله تعالى واحد ذو أقانيم ثلاثة هى الوجود والعلم والحياة، وهى ليست زائدة على الذات ولا هى هو، وأشبه المذاهب بمذهب نسطور فى الأقانيم، أحوال أبوهاشم الجبائى من المعتزلة فإنه يثبت خواص مختلفة لشئ واحد. (الاسفراييني: التبصير فى الدين، ص٩١، الشهرستانى: الملل والنحل، جـ٢، ص٥٢ ـ٥٣). وهو مذهب ظهر فى أنطاكية فى أواخر القرن الرابع الميلادى يشير الى أن الطبيعتين الالهية والبشرية لم تتحدا اتحادا كاملا فى المسيح، وتطور هذا المذهب الى محاولة أربابه البرهنة على أن للمسيح طبيعة بشرية مكتملة، ونهى هذا المذهب عن تسمية العذراء بوالدة الإله واستبدل بها اسم والدة المسيح لأنها لم تلد إلها بل إنسانا، وفرض هذا المذهب نسطرويوس بطريرك القسطنطنية، وكان سورى الأصل (السيد الباز العرينى: الدولة البيزنطة، ص٤٤).

(٦) يعرف أقباط مصر باليعاقبة نسبة إلى يعقوب البرادعى Jacop Baradeus أسقف مدينة الرها الموتوفيزيتى فى النصف الثانى من القرن السادس الميلادى، وقالوا بالأقانيم الثلاثة سالفة الذكر الا أنهم قالوا انقلبت الكلمة لحما ودما فصار الإله هو المسيح وهو الظاهر بجسده (الاسفراييني: المصدر السابق والصفحة، الشهرستانى: المصدر السابق والجزء، ص٥٤، سيدة الكاشف: مصر فى فجر الإسلام، ص٦، (طبعة دار النهضة، القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٧٠)، محمد أبو زيد: الحياة الاجتماعية والاقتصادية فى الريف المصرى، ص٢٠ (رسالة دكتوراه، كلية البنات، جامعة عين شمس، ١٩٨٥).

الشام ينفون التشبيه كالمعتزلة، قال الشهرستاني: (ومن النسطورية من ينفى التشبيه، ويثبت القول بالقدر خيره وشره من العبد كما قالت القدرية)[1].

وكان غيلان الدمشقى[2] يقول بخلق القرآن فى الإسلام[3]، وهذا من مبادئ المعتزلة، وقد أخذ واصل بن عطاء آراءه من غيلان، قال البغدادى: (والواصلية، أتباع واصل بن عطاء، رأس المعتزلة، وداعيهم إلى بدعتهم بعد معبد الجهنى وغيلان الدمشقى)[4].

كان غيلان الدمشقى والجعد بن درهم هما الرافدان لحركة الاعتزال، وقد عد البغدادى غيلان والجعد من المعتزلة[5].

يقول القلقشندى عن الجعد بن درهم: (وممن علت رتبته فيهم الجعد بن درهم، اجتمع على مروان بن محمد، آخر خلفاء بنى أمية، وأخذ مروان عنه مذهبه فى القول بالقدر وخلق القرآن، وعلت رتبته عنده وبه سمى مروان المذكور الجعدى)[6].

وقد ذكر ابن نباته[7] أن: (الجعد مولى بنى مروان أول من تكلم بخلق القرآن من أمة محمد فى دمشق، ثم طلب فهرب إلى الكوفة)[8].

وحينما بدأت محنة خلق القرآن ذهب الخليفة المأمون إلى دمشق سنة ٢١٨هـ/ ٨٣٣م)، وامتحن الناس فى العدل والتوحيد، وكتب فى أشخاص الفقهاء من العراق وغيرها، فامتحنهم فى خلق القرآن، وكفر من يقول القرآن غير مخلوق، وكتب ألا تكتب

---

(١) الشهرستانى: الملل والنحل، جـ٢، ص٥٤.

(٢) هو غيلان بن يونس القدرى الدمشقى، كان أبوه مولى لعثمان بن عفغان، أخذ المذهب عن الحسن بن محمد بن الحنفية، وتكلم فى القدر، ودعا اليه وتكلم فى خلق القرآن، وكان يجمع بين القدر والإرجاء، وقتله الخليفة الأموى هشام بن عبد الملك (ابن قتيبة: المعارف، ص٤٨٤ (تحقيق: ثروت عكاشة، الطبعة الثانية، دار المعارف بمصر ١٩٦٩، ابن المرتضى: المنية والأمل، جـ١، ص٣٠ - ٣٢، القاسمى الدمشقى: تاريخ الجهمية والمعتزلة، ص٧٧٤، أحمد أمين: فجر الإسلام، ص٢٨٦).

(٣) البغدادى: الفرق بين الفرق، ص١٩٣ - ١٩٤.

(٤) المصدر السابق، ص٩٦.

(٥) البغدادى: المصدر السابق، ص١٤.

(٦) صبح الأعشى، جـ١٣، ص٢٥٢.

(٧) سرح العيون، ص١٦٢.

(٨) اليعقوبى: تاريخ اليعقوبى، جـ٣، ص١٩٤ (مطبعة القرى، النجف العراق، ١٣٥٨هـ).

شهادته، فقال كل بذلك إلا نفرا يسيرا[1].

وكان إسحق بن يحيى بن معاذ بن مسلم الختلى حاكم دمشق فى عهد المأمون، كما كان حاكمها فى عهد خليفتيه المعتصم والواثـق، وقد كتب له المعتصم إبان خلافته كتاباً أمره فيه بأن يمتـحن الناس الذين تولى إمرتهم بمبـدأ خلق القرآن، غير أنـه ترفق بهم، ولـم يأخذهم بالشدة، فيما يتعلق بإنفاذ الأمر الذى تلقاه، وقد عينه المتوكل سنة ٢٣٥هـ / ٨٤٩م حاكما على مصر.

ولم يجد المقـدسى (ت ٣٩١هـ / ١٠٠٠م) حينما زار الشـام إلا قليلا من المعتـزلة، وكانوا فى خفية [2].

وكيفـما كان الأمر، فـأن الحكومة لم تعمل ـ فـيما يبدو ـ سـوى القليل فى انقاذ المحنة سواء فى دمشق أو فى غيرها، لأن الأشارات الخاصة بها يسيرة جداً ومقتضية.

(١) أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، جـ٢، ص٢٨٣، باتون: أحمد بن حنبل والمحنة، ص١٠٦.
(٢) أحسن التقاسيم، ص١٧٩ (تحقيق: ميخائيل جان دوغويه، مطبعة بريل ليدن، ١٩٠٦).

فى المغرب

انتشر الاعتزال فى المغرب الأقصى منذ فترة مبكرة على يد عبد الله الحارث مبعوث واصل بن عطاء، الذى أجابه خلق كثير[١]، وقد قال واصل بن عطاء لأحد دعاته فى المغرب: (... الزم سارية المسجد سنة تصلى عندها حتى يعرف مكانك، ثم أفت بقولة الحسن سنة، ثم إذا كان يوم كذا وكذا من شهر كذا فابتدئ فى الدعاء للناس إلى الحق)[٢].

يقول البلخى: (وهنالك بلد تدعى البيضاء[٣] يقال إن فيها مائة ألف يعرف أهلها بالواصلية نسبة إلى واصل بن عطاء)[٤].

كان قبيلة أوربة[٥] على مذهب المعتزلة، ثم انتشر المذهب خصوصا فى أفريقية «تونس» التى أصبحت مركزاً للدعوة فى هذا العصر[٦]، ولم ينتشر الاعتزال بين عموم البربر لإحجامهم بطبعهم عن تقبل التأويلات النظرية والتدقيقات العقائدية التى جاء بها المعتزلة[٧].

وقد دفع الإعجاب بهذه الصفوة المغربية الاعتزالية شاعر المشرق صفوان الأنصارى المعتزلى إلى الإشارة شعراً بزعيم واصلية المغرب فيقول:

له خلف شعب الصين فى كل ثغرة
إلى سوسها الأقصى وحلف البرابر

---

(١) البلخى: فضل الاعتزال، ص٦٦ ـ ٦٧، عبد الجبار: طبقات المعتزلة ص٢٣٧، ابن المرتضى: المنية والأمل، جـ١، ص٣٥، نلينو: بحوث فى المعتزلة، ص١٩٦.

(٢) البلخى: المصدر السابق، ص٦٧، محمود إسماعيل: المعتزلة فى المغرب، ص٢ ـ ٤ (الرباط، ١٩٧٦م).

(٣) قال عنها ياقوت: كورة فى المغرب، ولم يزد على هذا (معجم البلدان، جـ١، ص٥٢٩، دار صادر بيروت، ١٣٩٧/ ١٩٧٧).

(٤) البلخى: المصدر السابق والصفحة.

(٥) من أهم قبائل البرانس، وكانت لها الزعامة زمن الفتح (حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص٣٦ (طبعة دار الفكر العربى).

(٦) البكرى: المغرب فى ذكر بلاد أفريقية والمغرب، ص١١٨، (باريس ١٩١١م).

(٧) محمود إسماعيل: المرجع السابق، ص٧.

رجـــــال دعاة لا يفـــــل عزيمهم

تهكـــم جبـــار ولا كيـــد مـــاكر[1]

وقد وفـدت المذاهب المختلـفة إلى القـيروان[2]، ثم آوى إليـها فـريق من المعتـزلة أهل الـرأس[3]، وقد وفد مذهب مالك إلى القيروان شـأنه شأن غيره من المذاهب، إذ رحل إليها أكثر من ثلاثين رجلا كلهم لقى مالك[4].

رحل كثير من فقـهاء المغرب إلى مصر والحجاز طلبا للمزيد من فـقة عالم دار الهجرة، ثم عادوا إلى بلادهم مـتأثرين بما سمـعوا[5]، ثم رحل أسد بن الفـرات، فقيه القـيروان إلى مـــصـــر[6]، وسـمع من على بن القاسم إمـام المالكيـة من مصـر وتأثر به، ودون خلاصة مشاهداته فى كتـاب مشهور فى تاريخ الفقة فى المغـرب اسمه «الأسدية»[7]، ثم قـدم أبو سعيد سحنون بن سـعيد إلى القيروان سنة ١٩١هـ/ ٨٠٦م[8]، ورحل إلى مصر لـيسمع من على بن القاسم، وأقام بالفسطاط زمنا، ثم عاد لبـلده، وجمع خلاصة دراساته وقراءاته المالكية فى أول كتـاب ظهر فى فقه مالك غير الموطأ وأسـماه (المدونة)، ويرجع إلى تحمس سحنون الـغريب لمذهب مالـك الفضل فى دخول الـناس فيه جـماعـات، وطار صيـته إلى الأندلس، فجاءه علماء قرطبة يسمعون منه، وبدأ مذهب مالك من ذلك الوقت يدخل بلاد الأندلس وينتشر فيها[9].

---

(١) الجاحظ: البيان والتبين، جـ١، ص٢٥.

(٢) القيروان: يقول عنها ياقوت أنها مدينة عظيمـة بأفريقية ليس بالمغرب مدينة أجل منها (معجم البلدان جـ٤، ص٤٢٠).

(٣) حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص٩١ (طبعة دار الفكر العربى).

(٤) القاضى عـياض: ترتيب المدارك، جـ٢، ص٢٦٣ (مخطوط) بـدار الكتب المصرية رقم (٩٦٧٣٠ح)، الدباغ: المرجع السابق والصفحة.

(٥) الدباغ: المصدر السابق والجزء والصفحة، حسن أحمد محمود: العالم الإسلامى، ص٢٥٣.

(٦) المالكى: رياض النفوس، ص١٨١، ١٨٤ (القـاهرة، ١٩٥١)، حـسن أحـمـد مـحمـود: قـيـام دولة المرابطن، ص٩١، العالم الاسلامى، ص٢٥٣.

(٧) الدباغ: معالم الإيمان، جـ٢، ص٨، حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطنى، ص٩١.

(٨) الدباغ: المصدر السابق والجزء، ص٥٠.

(٩) المالكى: رياض النفوس، ص٢٦٧، حسن أحمد محـمود: المرجع السابق، ص٩٢، العالم الإسلامى، ص٢٥٣، سعـد زغلول عبـد الحميد: تاريخ المغـرب العربى، جـ٢، ص٨٦ ـ ٨٧ (منشـأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٧٩م).

كره المتكلمون مذهب مالك[1]، وقد أفتى مالك بألا يصلى على القدرية، ولا تشهد جنائزهم ولا يناكحون، ولا يصلى خلفهم، ولا يحمل عنهم الحديث، ولا يسلم عليهم، ولا يعاد مرضاهم، ولا تجوز مشاهدتهم[2].

ولما انتشرت فى مدارس أفريقية محنة خلق القرآن، وآراء المعتزلة، كان المالكيون أشد الناس لهم حربا، وأكثرهم عنفا فى مقاومتهم، وتمسكوا بالكتاب والسنة وهزموا المعتزلة، ولم يبق لهم بالقيروان رأى ولا أتباع، ولم يجد الأمراء مفراً من النزول على رأى المالكية[3].

وإذا كان المعتزلة فى أفريقية قد تعرضوا لمحنة كبيرة لصالح المالكية التى تأخذ بظاهر القرآن وترفض التأويل وإقرار المتشابهات، إلا أن بعض الفقهاء المالكية مالوا لمبادئ المعتزلة، وبلغ الصراع الفكرى بين الطرفين مداه، فكفر بعضهم بعضا، وتبرأ المعتزلة من مخالفيهم حتى لو كانوا آباءهم أو أبناءهم[4].

فى الوقت الذى كان فيه مذهب الاعتزال يتعرض فى أفريقية للمحنة، كان هذا المذهب يحقق انتصارات فى المشرق حيث أصبح الاعتزال مذهب دولة بنى العباس الرسمى فى خلافة المأمون والمعتصم والواثق.

ولما كان الأغالبة فى أفريقية يتبعون مذهب بنى العباس سياسيا، فقد كان من الطبيعى أن تتبع إمارتهم الخلافة العباسية روحيا ومذهبيا، فيسود المعتزلة وتزداد قوتهم، فدارت الدائرة على المالكية وشيخهم سحنون (سراج القيروان) الذى علم أهل المغرب المذهب المالكى، واشتد تشنيعهم لتمسكه بالقول بعدم خلق القرآن حتى قرر فى النهاية ألا يفتى ولا يسمع أحدا ويلزم داره»[5].

---

(١) القاضى عياض: ترتيب المدارك، جـ١، ص١٩٨.

(٢) القاضى عياض: المصدر السابق والجزء، ص٢٠٥، حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص٩٣.

(٣) الدباغ: معالم الإيمان فى معرفة أهل القيروان، جـ١، ص٢٢، حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص٩٣ ـ ٩٤، الإسلام والثقافة العربية فى أفريقيا، ص٩٣ ـ ٩٤ (طبعة دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٨٦م).

(٤) الملطى: التنبيه والرد، ص١٢٠ ـ ١٢١، المالكى: رياض النفوس، جـ١، ص١١٤، ١٢٠ ـ ١٢١ (تحقيق حسين مؤنس، القاهرة، ١٩٥١م).

(٥) الدباغ: معالم الإيمان، جـ٢، ص٨٦ ـ ٨٨، على الشابى: مقدمة كتاب «طبقات علماء أفريقية وتونس» لأبو العرب تميم القيروانى، ص١٤ ـ ١٥ (الدار التونسية للنشر، ١٩٦٨م)، محمد الطالبى: الدورلة الأغلبية، ص٣٦٧ (ترجمة: المنجى الصيادى، دار الغرب الإسلامى، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م).

وفى عهد عبدالله بن إبراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب تولى أبو العباس (محمد بن الأسود الصدينى) القضاء بالقيروان، وهو الذى قال عنه القاضى عياض: «إنه كان خبيثا معتزليا»[١]، فعسف وظلم وامتحن الناس[٢].

ولم يبدأ انحسار هذا المد الاعتزالى الا منذ أن تولى المتوكل سنة ٢٣٢ هـ / ٨٤٧م الخلافة، حيث عمل على تطبيق السنة، وامتحن المعتزلة أشد الامتحان، فاضطروا الى التخفى والتستر[٣].

ولم يكن المغرب الأوسط بمنأى عن أحداث المعتزلة، فقد شهدت فترات من تاريخه وقائع الخلاف والتقارب بين المعتزلة وبين الإباضية[٤] الرستمية[٥] ومن الموضوعات التى شارك فيها الإباضية رأى المعتزلة موضوعات خلق القرآن وتأويل آياته[٦]، أما ما يتعلق بموضوعات أوجه الخلاف، فمنها مسألة القدر[٧].

وعلى الرغم مما قام به المعتزلة الواصلية من دور معادى لأئمة بنى رستم فى عهد عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم فقد حظوا بتسامح دينى الى أبعد الحدود، وحسبنا ما كان بين شيوخهم وزعماء الإباضية من محاورات على غرار ما كان يحدث بالشرق بين زعيمهم واصل بن عطاء، وبين أبى عبيدة مسلم بن أبى كريمة شيخ إباضية الشرق[٨].

---

(١) القاضى عياض: ترتيب المدارك، جـ١، ص٧٠ ـ ٧١، على الشابى: مقدمة المصدر السابق، ص١١

(٢) القاضى عياض: المصدر السابق، ج٢، ص٤١ ب.

(٣) الخشنى: طبقات علماء أفريقية، ص٢٥٧ (القاهرة، ١٣٧٢هـ)، محمود إسماعيل: المعتزلة فى المغرب، ص١٨ ـ ١٩.

(٤) الإباضية: أصحاب عبد الله بن إباض الذى خرج فى فى أيام مروان بن محمد، وقال: إن مخالفينا من أهل القبلة كفار غير مشركين ومناكحتهم جائزة، وموارثتهم حلال وغنيمة أموالهم عند الحرب حلال، وقد غلب مذهب الخوارج الإباضية على بلاد المغرب الأدنى، وانتشر بين قبائله وخاصة نفوسة وهوارة (الشهرستانى: الملل والنحل، جـ١، ص١٤١، محمود إسماعيل: الخوارج فى المغرب الإسلامى، ص٦٢).

(٥) نسبة الى عبد الرحمن بن رستم الفارسى الإباضى وإليه يعزى الفضل فى تكوين دولة للخوارج الإباضية كان حكمها فى أسرته من بعده (محمود إسماعيل: الخوارج فى المغرب الاسلامى، ص١٠٦).

(٦) بل: الفرق الإسلامية فى الشمال الأفريقى، ص١٤٣ (ترجمة عبد الرحمن بدوى، بنغازى ١٩٦٩م)، نلينو: بحوث فى المعتزلة ص٢٠٤ ـ ٢٠٦.

(٧) الشهرستانى: المصدر السابق والجزء، ص١٤٧.

(٨) الدرجينى: طبقات الإباضية، جـ١، ورقة ١٠٥ (مخطوط) بدار الكتب رقم (١٢٥٦١ح)، محمود إسماعيل: المرجع السابق، ص٢٢١.

وقد تشجع الواصلية الضاربون فى كنف الدولة الرستمية، وهبوا لمناوأة الإمامة الإباضية فى تاهرت اعتقادا منهم بخروج عبد الوهاب على الشريعة واغتصابه الامامة، ولم تقتصر حركتهم على واصلية الدولة الرستمية فحسب، بل ضمت كافة عناصرهم فى المغربين الأوسط والأقصى[1]، غير أن الغلبة كانت فى النهاية للإباضية فكسرت شوكة المعتزلة وظلوا ما بين مهاجر الى المغرب الأقصى أو باق فى تاهرت (عاصمة الإباضية الرستمية) الى أن حل الضعف بالإمامة الرستمية، فعادوا الى الحرب الكلامية مع المعتزلة[2].

وقد أذكى هذا التنافر بين الواصلية والإمامة الرستمية عوامل مذهبية وقبلية[3]، إذ لا يخفى لاعداء التقليدى بين الخوارج والمعتزلة ـ أو الواصلية ـ الناجم عن الخلاف الفكرى بينهما[4].

ولم يختلف دور المعتزلة فى المغرب الأقصى عن دورهم فى المغربين الأدنى والأوسط، فقد أصبحت دولة الأدراسة موطنا للمعتزلة، وكانت قبيلة أوربة التى ساندتها تدين بمذهب الاعتزال[5].

يقول الشهرستانى[6] وابن المرتضى[7]: (... وبالمغرب الآن منهم شرذمة قليلة فى بلد إدريس بن عبد الله الحسنى، والذى خرج بالمغرب فى أيام أبى المنصور، ويقال لهم الواصلية، واعتزالهم على أربع قواعد: الأولى: القول بنفى صفات البارى تعالى من العلم

---

(١) الدرجينى: طبقات الإباضية، جـ١، ورقة ٢٦ (مخطوط).

(٢) ابن الصغير المالكى: أخبار الأئمة الرستميين، ص٥٦، ٢٢٢ (نشر موتيلنسكى، باريس، سنة ١٩٠٧).

(٣) كانت قبيلة لواتة الإباضية على عداء مرير لبعض بطون زناتة الواصلية (محمود إسماعيل: الخوارج فى المغرب، ص١٢٠،

Masqueray, E: Chronique D, Abou Zakaria, P. 120 (Alger, 1887).

(٤) اختلف المعتزلة مع الخوارج فى مسألة مرتكب الكبيرة والرأى فى أصحاب صفين. (الشهر ستانى: الملل والنحل، جـ١، ص٥٥ ـ ٥٦).

(٥) مختار العبادى: دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس، ص٥٠، الإسكندرية، ١٩٦٨).

(٦) الشهرستانى: الملل والنحل، جـ١، ص٥٣ ـ ٥٦.

(٧) ابن المرتضى: المنية والأمل، جـ٢، ص١٥١ ـ ١٥٤.

والقـدرة والإرادة والحيـاة، والثانـية: القـول بالقدر، والـثالثـة: القول بالمـنزلة بين المنزلتين، والرابعة: قوله فى الفـريقين من أصحاب الجـمل وأصحاب صفين أن: أحـدهما مخطئ لا بعينه، كما أن أحد المتلاعنين فاسق لا محالة).

وكـان المعـتزلة يعـتبـرون أن عبـد الله ادريس الأكبـر من رجـال الطبـقة الثـالثـة من طبقاتهم[١].

كـانت مراكـز المعتـزلة فى المغرب الأقـصى فى طنجـة، وليلى، وايزرج، (مدينة قـرب تاهرت)[٢]، وبلغ عددهم وفقا للإحصاءات التى أوردها المؤرخون ٣٠ ألف معتزلى[٣].

وكـان إدريس الثـانى وراء تمرد الواصلـية عـلى عـبد الـوهاب الرسـتـمى سنة ١٩٥ هـ / ٨١١م[٤]، فمن المعـروف أن طنجة كانت مـعقلا لواصليـة المغرب[٥]، وأن أوربـة دانـت بمذهب الواصلية، كما أقـبلت بعض بطون زناتة على اعتناقه كذلك[٦]، وبديهى ألا تـقطع الصلة بين الواصلية الضاربين خارج تاهرت وبين معاقلهم فى دولة الأدارسة[٧].

ولقد ظـل المعتزلة فـى المغرب على اتصـال بمعتزلة الـشرق الى أن تغلب التـشيع بقـيام الدولة الفاطمـية الشيـعية الإمامـية سنة ٢٩٦ هـ / ٩٠٠ م ، ويخبـرنا المقدسى: أنه نظر فى كتب الفاطميين الشيعة فى شمال أفريقـيا فوجد أنهم يوافقون المعتزلة فى أكثر الأصول[٨]، ولـم يعثـر المقدسى فى الأندلس للمـعتزلة عـلى أثر، فقد كـان الأندلس جميـعا مـالكيين،

---

(١) ابن المرتضى: المصدر السابق، جـ١، ص٢٤.

(٢) اليعقوبى: البلدان، ص٨٠ (طبعة ليدن، ١٨٩١م)، سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربى، ص٣٣٧.

(٣) البكرى: المغرب فى ذكر بلاد أفريقية والمغرب، ص٦٧، ابن خلدون: العبر، جـ٦، ص١٢١ (القاهرة، ١٢٨٤هـ).

(٤) أبو زكريا: السـيرة وأخبار الأئمة ورقـة ١٩ (مخطوط) بدار الكتب المصرية رقم (٩٠٣٠ح)، مـحمد على دبوز: تاريخ المغرب الكبير جـ٣، ص٤٨٥ (القاهرة ـ ١٩٦٣م)، محمود إسماعيل: الخوارج فى المغرب، ص١٤٨.

(٥) أبو زكريا: المصدر السابق والصفحة، محمود إسماعيل: المرجع السابق والصفحة.

(٦) أبو زكريا: المصدر السابق والصفحة.

(٧) محمود إسماعيل: المرجع السابق والصفحة.

(٨) أحسم التقاسيم، ص٢٣٨.

وكانوا إذا وقفوا على معتزلى أو شيعى قتلوه[١]، ويرى بعض الباحثين المحدثين أن من أهم العوامل التى حملت الأندلسيين على الإعجاب بالمذهب المالكى موافـقته لطبيعتهم العقلية فهو مذهب بعتمد على النص، ولا يفسح المجال كثيرا للعقل[٢].

(١) المصدر السابق، ص٢٣٦.

(٢) منى حسن محمود: المسلمون فى الأندلس، ص٢٤٢ (طبعة دار الفكر العربى، القاهرة ١٩٨٦م).

خاتمة

خاتمة

ظهرت المعتزلة كفرقة دينية فى عهد الدولة الأموية، فى بداية القرن الثانى الهجرى - الثامن الميلادى. وفى العصر العباسى تكونت للاعتزال مدرستان كبيرتان هما: مدرسة البصرة، ومدرسة بغداد، وقد غلب على هذه الفرقة اسم المعتزلة، وأهل العدل والتوحيد، وهناك أسماء أخرى عديدة سموا أنفسهم بها، أو أطلقها الغير عليهم، نكاية بهم، كما أن هناك أسماء أخرى لهم مقتصرة على فرقة، أو مشتقة من عقيدة ثانوية من عقائدهم.

وقد اختلف مؤرخو الفرق حول الأصل التاريخى لنشأة المعتزلة، ولكن يبدو أن روح المعتزلة كانت لها جذور فى أحداث الفتن التى وقعت منذ حرب الجمل، ومن ثم فإن المعتزلة المتكلمين امتداد للمعتزلة السياسيين الذين وقفوا موقف الحياد فى النزاع بين أنصار على ومعاوية، ثم بين أنصار ذرية على والخلفاء الأمويين فيما بعد، وأن اسم الاعتزال مذهب ذو مبادئ لا مجرد انفصال من مجلس الى آخر.

وللمعتزلة أصول خمسة هى: التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وكانت هذه الأصول وليدة للمناقشات التى تقوم بينهم وبين مخالفيهم.

وقد ظلت البصرة مركزا لحركة الاعتزال حتى قامت العاصمة بغداد، واستقر بعض رجال الحركة فيها، وقد أخذ معتزلة بغداد الاعتزال عن معتزلة البصرة، وقد التف رجال الأعتزال حول الخليفة المأمون، وكان المأمون يميل إلى الأخذ بمذهب المعتزلة فقرب أتباع هذا المذهب إليه، ووافق المعتزلة فيما ذهبوا إليه من أن القرآن مخلوق، وعمد إلى تسخير قوة الدولة فى إرغام الناس على القول بخلق القرآن.

ولم تتضح معالم اعتناق المأمون لمبادئ المعتزلة إلا فى الفترة الأخيرة من سنوات حياته من سنة (٢١١هـ/ ٨٢٦م) إلى سنة (٢١٨هـ/ ٨٣٣م).

وبعد وفاة المأمون، عمل الخليفة المعتصم (٢١٨هـ/ ٨٣٣م - ٢٢٧هـ/ ٨٤١م) على حمل الناس على القول بخلق القرآن، وأمر المعلمين أن يعلموا الصبيان ذلك.

ولما تولى الواثق (٢٢٧ هـ / ٨٤١م - ٢٣٢هـ / ٨٤٦م) تعصب للقول بخلق القرآن عن علم وعقيدة.

كان الاعتزال فى البصرة مذهبا نظريا، أما فى بغداد فقد كان عمليا متأثرا بالدولة قريبا من الخلفاء.

خالف المعتزلة السلف فى فهم العقائد، وكانت طريقتهم فى فهمها عقلية خالصة، وعملوا على تطبيق الأحكام العقلية على العقائد الدينية، وكانت أصولهم الخمسة وما تفرع منها من آراء القاعدة الأساسية فى محاوراتهم مع النصوص سواء كانت قرآنا أو سنة، فكان ما يعارض مبادئهم من آيات يؤولونها، وما يعارضها من أحاديث ينكرونها، وقاموا بتأويل الآيات التى تثبت الرؤية لله، وآيات التجسيم والتشبيه، والآيات التى تقول بالجبر والقدر، وكان موقفهم من الحديث كثيرا ما يكون موقف المتشكك فى صحته، وأحيانا موقف المنكر له، لأنهم يحكمون العقل فى الحديث لا الحديث فى العقل، وقالوا عن الأحاديث التى توحى بالجبر أنها رواية آحاد، وخبر الواحد لا يؤخذ به فى أصول العلم، وذهب المعتزلة إلى جواز وقوع الكذب فى خبر المتواتر من الحديث.

أما موقفهم من الصحابة فقد وضعوهم فى موضع عامة الناس يخطئون ويصيبون، ويصدر عنهم ما يمدح ويذم، ولم يسلم بعض الصحابة من سب المعتزلة.

واتهم المعتزلة الفقهاء والمحدثين فى دينهم، فى وقت أن صارت لهم قوة فى الدولة العباسية، واستغلوا نفوذهم فى بلاط الخلافة، فأنزلوا بالفقهاء والمحدثين الاضطهاد والحبس زمن الخلفاء المأمون والمعتصم والواثق، وحملوهم على الأخذ بآرائهم وأقوالهم بالقوة.

وكان من الطبيعى أن يتخذ الفقهاء نفس الموقف وأن يكيلوا لهم الصاع صاعين حين تهيأت لهم الفرصة بعد زوال نفوذهم، وأفول نجمهم فى عصر الخليفة المتوكل، حيث أظهر السنة، ونهى عن القول بخلق القرآن، وأجرى الأرزاق على الفقهاء والمحدثين، وشن الفقهاء الغارة على المعتزلة وآرائهم.

وبالنظر فى عقيدة المعتزلة فى أوامر الدين ونواهيه، فإنهم يعتبرون من طائفة العقلانيين

الذين يقولون بسلطان العقل وفهمه لطبائع الأشياء وكثير من التهم التى وجهت إلى المعتزلة لم تصدر عن انصاف، بل كان التحيز رائد المتهمين، وليس من العدل أن ترمى المعتزلة جميعهم بضلالات بعضهم.

وقد أيد الأمام محمد عبده المعتزلة فيما ذهبوا إليه من حرية الفرد واختياره، وذهبوا إلى آراء جديدة وغريبة، وقالوا بما لم يجرؤ أحد غيرهم أن يقوله.

فتح المعتزلة النافذة الأولى التى دخل منها فلاسفة المسلمين إلى علوم اليونان، إذ دفعهم الجدال إلى استقراء الكتب اليونانية المترجمة إلى العربية مباشرة، أو عن طريق غير مباشر، وعمل المعتزلة على التوفيق بين الدين الإسلامى، وبين الفلسفة اليونانية، وذلك جعلهم يتأثرون بالفلسفة كثيراً، ويصبغون بها معظم أقوالهم، وتأثر المعتزلة بالفلسفة اليونانية فى آرائهم وتعاليمهم، وكانوا أكثر الطوائف الإسلامية تمثلا للفلسفة اليونانية واستخداما لها فى جدلهم الدينى، واستطاعوا أن يلائموا بين الثقافة الإسلامية والواضحة الثقافة الهيلينية المعقدة.

أدرك المعتزلة أثر الأدب فى إكمال الثقافة، وتنوير العقول، فأنكبوا عليه يدرسونه ويتزودون منه، وقد أسهم المعتزلة فى النهوض بالأدب، من حيث المعانى وقوة العقل وتوليد الأفكار العقلية، وجعلوا من موضوعاته الحيوان، والبخلاء، والقيان، والتجار، والمعلمين.. ألخ.

وقد ازدهر النثر فى هذا العصر، وامتد ليستوعب العلوم والفلسفة، وقد أبرز المعتزلة الاتجاه إلى المناظرات والجدل فى النثر العربى، واتسعت فى العصر العباسى المناظرات الكلامية، وحمل لواءها المعتزلة.

وقد عكس السمو العقلى الذى اختص به المعتزلة على نفوسهم طائفة من الصفات الخلقية التى من أبرزها الحرية العقلية والنظر إلى عامة الناس نظرة تشوبها روح السخرية والتهكم.

وقد تأثر كثير من الشعراء ببيئة المعتزلة، واستخدموا فى أشعارهم بعض ألفاظ المتكلمين ومصطلحاتهم، وكثير من الشعراء خصوا شعرهم للدفاع عن آراء المعتزلة.

ومن أشهر علماء المعتزلة فى بغداد: بشر بن المعتمر (ت ٢١٠هـ / ٨٢٥م)، المرداد (ت ٢٢٦هـ / ٨٤٠م)، وجعفر بن مبشر (ت ٢٣٤هـ / ٨٤٨م)، وجعفر بن حرب (ت ٢٣٦هـ / ٨٥٠م)، وثمامة بن الأشرس (ت ٢١٣هـ / ٨٢٨م)، وأحمد بن أبى دؤاد (ت ٢٤٠هـ / ٨٥٤م).

تركز الاعتزال فى زمن المأمون فى مسألة خلق القرآن، وسميت (بالمحنة)، وظلت هذه المسألة موضع اهتمام الدولة من سنة (٢١٨هـ / ٨٣٣م) إلى سنة (٨٣٤هـ / ٨٤٨م)، وحمل المأمون الناس على القول بخلق القرآن سنة (٢١٨هـ / ٨٣٣م) وامتحن القضاة والفقهاء والمحدثين، وتركزت رياسة المعارضة فى أحمد بن حنبل.

واقتدى المعتصم (٢١٨هـ / ٨٣٣م - ٢٢٧هـ / ٨٤١م) بأخيه المأمون فى حمل الناس على القول بخلق القرآن، واستمر فى المحنة.

ولما تولى الواثق (٢٢٧هـ / ٨٤١م) اقتدى بكل من المأمون والمعتصم فى القول بخلق القرآن، وتشدد فى المحنة، ولما اشتد نفور الناس من المحنة وعظم حنقهم عليها اتجهوا إلى الفتنة، فدبروا مؤامرة تزعمها أحمد بن نصر الخزاعى للخروج على الخليفة، وجمع حوله من أنكر القول بخلق القرآن، غير أن الخليفة قتله وصلبه فى بغداد، ولكن مع تعصب الواثق للاعتزال إلا أنه رجع عن القول بخلق القرآن قبل موته.

ولما بويع المتوكل بالخلافة سنة (٢٣٢هـ / ٨٤٦م) لم يتحمس للقول بخلق القرآن ففترت حركة الامتحان، وأبطل المتوكل هذا القول ونهى عن الجدال فيه وأظهر السنة.

وقد أخطأ المعتزلة فى المحنة لأنهم هدموا أعظم ركن من أركان مذهبهم وهو القول بحرية الفرد فى اختيار أفعاله فى الوقت الذى فرضوا فيه عقيدة خلق القرآن على الناس فرضا وأرغموهم على ذلك.

ولم يقتصر الأمر على محاكمة الولاة للناس وامتحانهم فى القول بخلق القرآن فى مصر. بل كانت مجالس الخاصة والعامة تردد هذه المسألة، فإذا جلس عالم مجلسا سأله السائل، هل القرآن مخلوق؟ ومن حقد على آخر، وأراد أن يدس له اتهمه بأنه يقول القرآن غير مخلوق.

وفى الشام قـام الخليفة المأمون بنفسه بامتحـان الناس فى دمشق فى عقائد المعـتزلة سنة (٢١٨هـ / ٨٣٣م)، غير أن الحكومة لم تعمل سوى القليل فى إنفاذ المحنة فى دمشق.

أما فى بغداد فـقد كان مسألة خلق القرآن هى المسـألة التى تركز فيها الاعتـزال فى عهد الخلفاء المأمون والمعتصم والواثق.

وقد كان لهذه المحنة أثرا كبيراً فى المشرق الإسلامى سـياسياً وفكرياً، فقد انتشر مذهـب الاعتـزال تحت ظل الدولة البويـهية فى العـراق وخراسـان وما وراء النهـر، وكان المعـتزلة مستضعفين فى البلاد التى غلب عليها أهل السنة.

وقد شـغل المعتـزلة مراكـز عالية فى الـقضاء مـثل القاضى عـبد الجبار (ت ٤١٤هـ / ١٠٢٣م) قاضى قضاة الرى وأعـمالها، غير أن المعتزلة لم يصلوا إلى درجـة من القوة يعتد بها إلا فى وزارة الصاحب بن عباد (٣٨٥هـ / ٩٩٥م)، وقد بذل الصاحب جهده فى نشر الاعتزال وحمل الناس على انتحاله متتبعا فى ذلك شتى الطرق من مناظرة بالحجة والإقناع إلى الترغيب والإغراء.

قـام السلطان مـحمـود الغـزنوى (ت٤٢١هـ / ١٠٣٠م) بمحاربـة المعتـزلة وحـبسـهم ونفاهم وأمر بلعـنهم على المنابر، ثم لجأ المعتزلة إلى خـوارزم ونشروا فيها مـذهبهم، وكان من علمائهم محمود الزمخشرى (ت٥٣٨هـ / ١١٤٣م).

وقد انتـشرت محنة خلق القـرآن فى أفريقيـا (تونس) وكان المالكيون أشـد الناس حربا لها، وتمسكوا بالكتاب والسنة وهزموا المعـتزلة، ولم يكن المغرب الأوسط بمنأى عن خضم أحداث المعتزلة، فقد شهدت فتـرات من تاريخه وقائع الخلاف والتقارب بين المعتزلة وبين الإباضـية، ولم يخـتلف دور المعـتزلـة فى المغرب الأقـصى عن دورهـم فى المغـربين الأدنى والأوسط، فقد أصبحـت دولة الأدارسة موطنا للمعتزلة، وكانت قـبيلة أوربة التى ساندتها تدين بمذهب الأعتزال.

ولقد ظـل المعتزلة فـى المغرب على اتصـال بمعتزلة الـشرق إلى أن تغلب التـشيع بقيام الدولة الفاطمية (٢٩٦هـ / ٩٠٠م).

الملاحق

ملحق رقم (١)

خطبة واصل بن عطاء التى جانب فيها الراء[1]

الحمد لله القديم بلا غاية، والباقى بلا نهاية، الذى علا فى دنوه، ودنا فى علوه، فلا يحويه زمان، ولا يحيط به مكان، ولا يؤوده حفظ ما خلق، ولم يخلقه على مثال سبق، بل أنشأه ابتداعا، وعد له اصطناعا، فأحسن كل شئ خلقه وتمم مشيئته، وأوضح حكمته، فدل على ألوهيته، فسبحانه لا معقب لحكمه، ولا دافع لقضائه، تواضع كل شئ لعظمته، وذل كل شئ لسلطانه، ووسع كل شئ فضله، لا يعزب عنه مثقال حبه وهو السميع العليم، وأشهد ألا اله إلا الله وحده لا مثيل له، الها تقدست أسماؤه وعظمت آلاؤه، علا عن صفات كل مخلوق، وتنزه عن شبه كل مصنوع، فلا تبلغه الأوهام، ولا تحيط به العقول، ولا الأفهام، يعصى فيحلم، ويدعى فيسمع، ويقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما يفعلون، وأشهد شهادة حق، وقول صدق، بإخلاص نية، وصدق طوية، أن محمد بن عبد الله عبده ونبيه، وخالصته وصفيه، ابتعثه إلى خلقه بالبينات والهدى ودين الحق، فبلغ مألكته[2]، ونصح لأمته، وجاهد فى سبيله، لا تأخذه فى الله لومة لائم، ولا يصده عنه زعم زاعم، ماضيا على سنته، موفيا على قصده، حتى أتاه اليقين. فصلى الله على محمد وعلى آل محمد أفضل وأزكى وأتم وأنمى وأجل وأعلى صلاة صلاها على صفوة أنبيائه، وخالصة ملائكته، وأضعاف ذلك، إنه حميد مجيد.

أوصيكم عباد الله مع نفسى بتقوى الله والعمل بطاعته، والمجانبة لمعصيته، فأحضكم على ما يدنيكم منه، ويزلفكم لديه، فإن تقوى الله أفضل زاد، وأحسن عاقبه فى معاد. ولا تلهينكم الحياة الدنيا بزينتها وخدعها، وفواتن لذاتها، وشهوات آمالها، فإنها متاع قليل، ومدة إلى حين، وكل شئ منها يزول.

---

(١) نوادر المخطوطات، جـ٢، ص١٣٤ ـ ١٣٦ (تحقيق: عبد السلام هارون، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٣٧١هـ/ ١٩٥١م، مطبعة السعادة بمصر).

(٢) المألكة: الرسالة.

فكم عـايتتم من أعاجـيبـها، وكم نصـبت لكم من حـبائلهـا، وأهلكت ممن جنح إليـها واعتـمد عليهـا، أذاقتهم حلوا، ومزجـت لهم سما. أين الملوك الذين بنوا المدائن، وشـيدوا المصانع، وأوثقوا الأبواب، وكـاثفوا الحجاب، وأعـدوا الجياد، وملكوا البلاد، واستـخدموا التلاد؟ قـبضتهم بمـخلبها، وطحنتـهم بكلكلها، وعضـتهم بأنيابها، وعـاصتهم من السـعة ضيقا، ومن العز ذلا، ومن الحياة فناء، فـسكنوا اللحود، وأكلهم الدود، وأصبحوا لا تعاين إلا مساكـنهم، ولا تجد إلا معالمهم، ولا تحس منهم من أحـد ولا تسمع لهم نبسـا، فتزودوا عافاكم الله فإن أفضل الزاد التقوى، واتقوا الله يا أولى الألباب لعلكم تفلحون. جعلنا الله وإياكم ممن ينتفع بمواعظه، ويعمل لحظه وسعادته، وممن يستـمع القول فيتبع أحسنه، أولئك الذين هداهم الله، وأولئك هم أولوا الألباب.

أن أحسن قـصص المؤمنين، وأبلغ مواعـظ المتقين كـتاب الله، الزكـية آياته، الواضـحة بيناته، فإذا تلى عليكم فاستمعوا له، وأنصتوا لعلكم تهتدون.

أعوذ بالله القوى، من الشيطان الغوى، إن الله هو السميع العليم.

بسم الله الفـتـاح المنان، قل هو الله أحـد، الله الصـمد، لم يلـد ولـم يولد، ولم يكن له كفوا أحد.

نفعنا الله وإياكم بالكتاب الحكيم، وبالآيات والوحى المبين، وأعاذنا وإياكم من العذاب الأليم. وأدخلنا وإياكم جنات النعيم. أقول ما به أعظكم، وأستعتب الله لى ولكم.

ملحق (٢)

كتاب المأمون الأول إلى إسحاق بن إبراهيم في امتحان القضاة والمحدثين[1]:

أما بعد، فإن حق الله على أئمة المسلمين وخلفائهم الاجتهاد فى إقامة دين الله الذى استحفظهم، ومواريث النبوة التى أورثهم، وأثر العلم الذى استودعهم، والعمل بالحق فى رعيتهم، والتشمير لطاعة الله فيهم، والله يسأل أمير المؤمنين أن يوفقه لعزيمة الرشد وصريحته، والإقساط فيما ولاه الله من رعيته برحمته ومنته، وقد عرف أمير المؤمنين أن الجمهور الأعظم والسواد الأكبر من حشو الرعية وسفلة العامة، ممن لا نظر له ولا روية ولا استدلال له بدلالة الله وهدايته، والاستضاءة بنور العلم وبرهانه فى جميع الأقطار والآفاق أهل جهالة بالله، وعمى عنه، وضلالة عن حقيقة دينه وتوحيده والإيمان به ونكوب عن واضحات أعلامه وواجب سبيله، وقصور أن يقدروا الله حق قدره، ويعرفوه حق معرفته، ويفرقوا بينه وبين خلقه، لضعف آرائهم ونقص عقولهم وجفائهم عن التفكير والتذكر، وذلك أنهم ساووا بين الله تبارك وتعالى وبين ما أنزل من القرآن، فأطبقوا مجتمعين، واتفقوا غير متعاجمين، على أنه قديم أول لم يخلقه الله ويحدثه ويخترعه، وقد قال الله عز وجل فى محكم كتابه الذى جعله لما فى الصدور شفاء، وللمؤمنين رحمة وهدى: (إنا جعلناه قرآنا عربيا)[2]، فكل ما جعله الله فقد خلقه، وقال: (الحمد لله الذى خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور)[3]، وقال عز وجل: (كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق)[4]، فأخبر أنه قصص لأمور أحدثه بعدها وتلابه متقدمها، وقال: (الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير)[5]، وكل محكم مفصل فله محكم مفصل، والله محكم كتابه ومفصله، فهو خالقه ومبتدعه.

---

(١) الطبرى: تاريخ الطبرى، جـ ٨، ص٦٣١ ـ ٦٣٤ (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، الطبعة الثانية، ١٩٧٦م)
(٢) سورة الزخرف، آية ٣
(٣) سورة الأنعام، آية ١
(٤) سورة طه، آية ٩٩
(٥) سورة هود، آية ١ ، ٢

ثم هم الذين حاولوا بالباطل فدعوا إلى قولهم، ونسبوا أنفسهم إلى السنة، وفى كل فصل من كتاب الله قصص من تلاوته مبطل قولهم، ومكذب دعواهم، يرد عليهم قولهم ونحلتهم. ثم أظهروا ـ مع ذلك ـ أنهم أهل الحق والدين والجماعة، وأن من سواهم أهل الباطل والكفر والفرقة، فاستطالوا بذلك على الناس، وغروا به الجهال حتى مال قوم من أهل السمت الكاذب، والتخشع لغير الله، والتقشف لغير الدين إلى موافقتهم عليه، ومواطأتهم على سيئ آرائهم، تزينا بذلك عندهم وتصنعا للرياسة والعدالة فيهم، فتركوا الحق إلى باطلهم، واتخذوا دون الله وليجة إلى ضلالتهم، فضلت بتزكيتهم لهم شهادتهم، ونفذت أحكام الكتاب بهم على دغل دينهم، ونغل أديمهم، وفساد نياتهم ويقينهم. وكان ذلك غايتهم التى إليها أجروا، وإياها طلبوا فى متابعتهم والكذب على مولاهم، وقد أخذ عليهم ميثاق الكتاب ألا يقولوا على الله إلا الحق، ودرسوا ما فيه، أولئك الذين أصمهم الله وأعمى أبصارهم، (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها)[1].

فرأى أمير المؤمنين أن أولئك شر الأمة ورؤوس الضلالة، المنقوصون من التوحيد حظا، والمخسوسون من الإيمان نصيبا، وأوعية الجهالة وأعلام الكذب ولسان أبليس الناطق فى أوليائه، والهائل على أعدائه، من أهل دين الله، وأحق من يتهم فى صدقه، وتطرح شهادته، ولا يوثق بقوله ولا عمله، فإنه لا عمل إلا بعد يقين، ولا يقين إلا بعد استكمال حقيقة الإسلام، وإخلاص التوحيد، ومن عمله والقصد فى شهادته أعمى وأضل سبيلا. ولعمر أمير المؤمنين أن أحجى الناس بالكذب فى قوله، وتخرص الباطل فى شهادته فى حكم الله ودينه من رد شهادة الله على كتابه، وبهت حق الله بباطله.

فأجمع من بحضرتك من القضاة، واقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين هذا إليك، فابدأ بامتحانهم فيما يقولون وتكشيفهم عما يعتقدون، فى خلق الله القرآن وإحداثه، وأعلمهم أن أمير المؤمنين غير مستعين فى عمله، ولا واثق فيما قلده الله، واستحفظه من أمور رعيته بمن لا يوثق بدينه وخلوص توحيده ويقينه، فإذا أقروا بذلك ووافقوا أمير المؤمنين فيه، وكانوا على سبيل الهدى والنجاة. فمرهم بنص من يحضرهم من الشهود على الناس

---

(١) سورة محمد، آية ٢٤

ومساءلتهم عن علمهم فى القرآن، وترك إثبات شهادة من لم يقر أنه مخلوق محدث ولم يره، والامتناع من توقيعها عنده، واكتب إلى أمير المؤمنين بما يأتيك عن قضاة أهل عملك فى مسألتهم، والأمر لهم بمثل ذلك، ثم أشرف عليهم وتفقد آثارهم حتى لا تنفذ أحكام الله إلا بشهادة أهل البصائر فى الدين والإخلاص للتوحيد، واكتب إلى أمير المؤ.. ن بما يكون فى ذلك أن شاء الله.

ملحق رقم (٣)

كتاب المأمون الثالث إلى إسحق بن إبراهيم يأمره بالتوسع في امتحان الناس:[١]

أما بعـد، فإن من حق الله على خلفائه فـى أرضه، وأمنائه على عبـاده، الذين ارتضاهم لإقامـة دينه، وحملهـم رعاية خلقـه وإمضاء حكمـه وسننه والائتمـام بعد له فى بـريته أن يجهـدوا لله أنفسهم، وينصـحوا له فيمـا استحـفظهم وقلدهم، ويدلوا عليه ـ تبارك اسـمه وتعالى ـ بفضل العلم الذى أودعهم، والمعرفة التى جعلها فيهم، ويهدوا إليه من زاغ عنه، ويردوا من أدبر عن أمره، وينهجوا لرعاياهم سمت نـجاتهم، ويقفوهم على حدود إيمانهم وسبيل فوزهم وعصمتهم، ويكشفوا لهم مغطيات أمورهـم ومشتبهاتها عليهم، بما يدفعون الريب عنهـم، ويعـود بالضـيـاء والبـينة على كـافـتـهم، وأن يؤثـروا ذلك من إرشـادهم وتبـصيـرهم، إذ كـان جامـعا لـفنون مصـانعـهم، ومنتظمـا لحظوظ عاجلتـهم وآجلتـهم، ويتذكروا الله مرصد من مساءلتهم عمـا حملوه، ومجازاتهم بما أسلفوه وقدموا عنده، وما توفيق أمير المؤمنين برويته، وطالعـه بفكره، فتبين عظيم خطره، وجليل ما يرجع فى الدين من وكفه وضرره، ما ينال المسلمون بينهم من القول فى القرآن الذى جعله الله إماما لهم، وأثرا من رسول الله صلى الله عليـه وسلم وصفيه مـحمد صلى الله عليه وسلم بـاقيالهم، واشتـباهـه على كثـير منهم، حـتى حسن عندهـم، وتزين فى عقـولهم ألا يكون مخلوقـا، فتعـرضوا بذلك لدفع خلق الله الذى بان به عن خلقه، وتـفرد بجلالته، من ابتـداع الأشياء كلها بتحكمته وإنشائها بقدرته، والتقدم عليها بأوليته التى لا يبلغ أولاها، ولا يدرك مداها، وكان كل شئ دونه خلقا من خلقه، و حدثا هو المحدث له، وإن كان القرآن ناطقا به ودالا عليه، وقاطعا للاختلاف فيه، وضـاهوا به قول النصارى فى دعائهم فى عيسى بن مريم: إنه ليس بمخلوق، إذ كان كلمة الله، والله عز وجل يقول: (انا جعلناه قرانا عربيا)[٢]، وتأويل

(١) الطبرى: تاريخ الطبرى، جـ٨، ص٦٣٤ ـ ٦٣٧

(٢) سورة الزخرف، آية ٣

ذلك أنا خلقناه كما قال جل جلاله: (وجعل منها زوجها ليسكن اليها)[١]، وقال: (وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا)[٢]، (وجعلنا من الماء كل شئ حى)[٣]، فسوى عز وجل بين القرآن وبين هذه الخلائق التى ذكرها فى شية الصنعة، وأخبر أنه جاعله وحده فقال: (بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ)[٤]،فدل ذلك على إحاطة اللوح بالقرآن، ولا يحاط الا بمخلوق، وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم: (لا تحرك به لسانك لتعجل به)[٥]، وقال: (ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث)[٦]، وقال: (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته)[٧]، وأخبر عن قوم ذمهم بكذبهم أنهم قالوا: (ما أنزل الله على بشر من شئ)[٨]، ثم أكذبهم على لسان رسوله فقال لرسوله: (قل من أمزل الكتاب الذى جاء به موسى)[٩]، فسمى الله تعالى القرآن قرآنا وذكرا وإيمانا ونورا وهدى ومباركا وعربيا وقصصا، فقال: (نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن)[١٠]، وقال: (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله)[١١]، وقال: (قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات)[١٢]، وقال: (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه)[١٣]، فجعل له أولا وآخرا، ودل عليه أنه محدود مخلوق.

وقد عظم هؤلاء الجهلة بقولهم فى القرآن الثلم فى دينهم. والحرج فى أمانتهم، وسهلوا

---

(١) سورة الأعراف، آية ١٨٩

(٢) سورة النبأ، آية ١١

(٣) سورة الأنبياء، آية ٣٠

(٤) سورة البروج، آية ٢١ ـ ٢٢

(٥) سورة القيامة، آية ١٦

(٦) سورة الأنبياء، آية ٢

(٧) سورة الأنعام، آية ٢١

(٨) سورة الأنعام، آية ٩١

(٩) سورة الأنعام، آية٩١

(١٠) سورة يوسف، آية ٣

(١١) سورة الاسراء، آية ٨٨

(١٢) سورة هود، آية ١٣

(١٣) سورة فصلت، آية ٤٢

السبيل لعدو الاسلام، واعترفوا بالتبديل والإلحاد على قلوبهم حتى عرفوا ووصفوا خلق الله وفعله بالصفة التى هى لله وحده وشبهوه به، والاشتباه أولى بخلقه. وليس يرى أمير المؤمنين لمن قال بهذه المقالة حظا فى الدين، ولا نصيبا من الإيمان واليقين، ولا يرى أن يحل أحدا منهم محل الثقة في أمانة، ولا عدالة ولا شهادة ولا صدقا فى قول ولا حكاية، ولا تولية لشئ من أمر الرعية، وإن ظهر قصد بعضهم، وعرف بالسداد مسدد فيهم، فان الفروع مردودة الى أصولها، ومحمولة فى الحمد والذم عليها، ومن كان جاهلا بأمر دينه الذى أمره الله به من وحدانيته فهو بما سواه أعظم جهلا، وعن الرشد فى غيره أعمى وأضل سبيلا.

فاقرأ على جعفر بن عيسى وعبد الرحمن بن إسحق القاضى كتاب أمير المؤمنين بما كتب به إليك، وانصصها عن علمهما فى القرآن، وأعلمهما أن أمير المؤمنين لا يستعين على شئ من أمور المسلمين إلا بمن وثق بإخلاصه وتوحيده، وأنه لا توحيد لمن لا يقر بأن القرآن مخلوق فان قالا بقول أمير المؤمنين فى ذلك، فتقدم اليهما فى امتحان من يحضر مجالسهما بالشهادات على الحقوق، ونصهم عن قولهم فى القرآن ، فمن لم يقل منهم أنه مخلوق أبطل شهادته، ولم يقطعا حكما بقوله، وإن ثبت عفافه بالقصد والسداد فى أمره. وافعل ذلك بمن فى سائر عملك من القضاة، وأشرف عليهم إشرافا يزيد الله به ذا البصيرة فى بصيرته، ويمنع المرتاب من إغفال دينه، واكتب الى أمير المؤمنين بما يكون منك فى ذلك إن شاء الله.

ملحق رقم (٤)

كتاب المأمون الرابع الى إسحق بن إبراهيم[1]

بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فقد بلغ أمير المؤمنين كتابك جواب كتابه كان إليك، فيما ذهب اليه متصنعة أهل القبلة وملتمسو الرئاسة، فيما ليسوا له بأهل من أهل الملة من القول فى القرآن، وأمرك به أمير المؤمنين من امتحانهم، وتكشيف أحوالهم وإحلالهم محالهم. تذكر إحضارك جعفر بن عيسى وعبد الرحمن بن إسحق عند ورود كتاب أمير المؤمنين مع من أحضرت ممن كان ينسب الى الفقه، ويعرف بالجلوس للحديث، وينصب نفسه للفتيا بمدينة السلام، وقراءتك عليهم جميعا كتاب أمير المؤمنين، ومسألتك اياهم عن اعتقادهم فى القرآن، والدالة لهم على حظهم، وإطباقهم على نفى التشبيه واختلافهم فى القرآن، وأمرك من لم يقل منهم إنه مخلوق بالمساك عن الحديث والفتوى فى السر والعلانية، وتقدمك الى السندى وعباس مولى أمير المؤمنين من امتحان من يحضر مجالسهما من الشهود، وبث الكتب الى القضاة فى النواحى من عملك بالقدوم عليك، لتحملهم وتمتحنهم على ما حده أمير المؤمنين، وتثبتك فى آخر الكتاب أسماء من حضر ومقالاتهم، وفهم أمير المؤمنين ما اقتصصت.

وأمير المؤمنين يحمد الله كثيرا كما هو أهله، ويسأله أن يصلى على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم، ويرغب الى الله فى التوفيق لطاعته، وحسن المعونة على صالح نيته برحمته. وقد تدبر أمير المؤمنين ما كتبت به من أسماء من سألت عن القرآن، وما رجع اليك به كل امرئ منهم، وما شرحت من مقالتهم.

فأما ما قال المغرور بشر بن الوليد فى نفى التشبيه، وما أمسك عنه من أن القرآن مخلوق وادعى من تركه الكلام فى ذلك واستعهاده أمير المؤمنين، فقد كذب بشر فى ذلك وكفر، وقال الزور والمنكر، ولم يكن جرى بين أمير المؤمنين وبينه فى ذلك ولا فى غيره عهد ولا نظر أكثر من إخبار أمير المؤمنين من اعتقاده كلمة الإخلاص، والقول بأن القرآن

(١) الطبرى: تاريخ الطبرى، جـ٨، ص٦٣٧ ـ ٦٤٠

مخلوق، فادع به إليك، وأعلمه ما أعلمك به أمير المؤمنين من ذلك، وأنصصه عن قوله في القرآن، واستتبه منه، فإن أمير المؤمنين يرى أن تستتيب من قال بمقالته، اذ كانت تلك المقالة الكفر الصراح، والشرك المحض عند أمير المؤمنين، فإن تاب منها فأشهر أمره، وأمسك عنه، وإن أصر على شركه، ودفع أن يكون القرآن مخلوقا بكفره وإلحاده، فاضرب عنقه، وابعث الى أمير المؤمنين برأسه، إن شاء الله.

وكذلك إبراهيم بن المهدى فامتحنه بمثل ما تمتحن به بشرا، فإنه كان يقول بقوله. وقد بلغت أمير المؤمنين عنه بوالغ، فإن قال: إن القرآن مخلوق فأشهر أمره واكشفه، والا فاضرب عنقه وابعث الى أمير المؤمنين برأسه، إن شاء الله.

وأما على بن أبى مقاتل، فقل له: ألست القائل لأمير المؤمنين: انك تحلل وتحرم، والمكلم له بمثل ما كلمته به، مما لم يذهب عنه ذكره!

وأما الذيال بن الهيثم، فأعلمه أنه كان فى الطعام الذى كان يسرقه فى الأنبار وفيما يستولى عليه من أمر مدينه أمير المؤمنين أبى العباس ما يشغله، وأنه لو كان مقتفيا آثار سلفه، وسالكا مناهجهم، ومحتذيا سبيلهم لما خرج الى الشرك بعد إيمانه.

وأما أحمد بن يزيد المعروف بأبى العوام، وقوله إنه لا يحسن الجواب فى القرآن، فأعلمه أنه صبى فى عقله لا فى سنه، جاهل، وأنه إن كان لا يحسن الجواب فى القرآن فسيحسنه اذا أخذه التأديب، ثم ان لم يفعل كان السيف من وراء ذلك، إن شاء الله.

وأما أحمد بن حنبل وما نكتب عنه، فأعلمه أن أمير المؤمنين قد عرف فحوى تلك المقالة وسبيله فيها، واستدل على جهله وآفته بها.

وأما الفضل بن غانم، فأعلمه أنه لم يخف على أمير المؤمنين ما كان منه بمصر، وما اكتسب من الأموال فى أقل من سنه، وما شجر بينه وبين المطلب بن عبد الله فى ذلك، فإنه من كان شأنه شأنه، وكانت رغبته فى الدينار والدرهم رغبته، فليس بمستنكر أن يبيع إيمانه طمعا فيهما، وإيثارا لعاجل نفعهما، وأنه مع ذلك القائل لعلى بن هشام ما قال، والمخالف له فيما خالفه فيه، فما الذى حال به عن ذلك ونقله الى غيره!

وأما الزيادى، فأعلمه أنه كان منتحلا، ولا كأول دعى كان فى الاسلام خولف فيه حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان جديرا أن يسلك مسلكه، فأنكر أبو حسان أن

يكون مـولى لزياد أو يكون مـولى لأحد من الناس، وذكـر أنه إنما نسب الى زياد لأمـر من الأمور.

وأما المعروف بأبى نصر التمار، فإن أمير المؤمنين شبه خساسة عقله بخساسة متجره.

وأما الفـضل بن الفرخان، فـأعلمه أنه حاول بالـقول الذى قاله فى القـرآن أخذ الودائع التى أودعها إياه عبد الرحمن بن إسحاق وغيـره تربصا بمن استودعه، وطمعا فى الاستكثار لما صار فى يده، ولا سـبيل عليه عن تقادم عـهده، وتطاول الأيام به، فقل لعبـد الرحمن بن إسحاق: لا جزاك الله خيرا عن تقويتك مثل هذا وائتمانك إياه، وهو معتقد للشرك منسلخ من التوحيد. وأما محمد بن حاتم وابن نوح والمعـروف بأبى معمر، فأعلمهم أنهم مشاغيل بأكل الربا عن الوقوف على التـوحيد، وأن أميـر المؤمنين لو لم يستحل محـاربتهم فى الله ومجـاهدتهم إلا لإربائهم، وما نزل به كتـاب الله فى أمثالهم، لاسـتحل ذلك، فكيف بهم وقد جمعوا مع الإرباء شركا وصار للنصارى مثلا!

وأما أحمد بن شجـاع، فأعلمه أنك صاحبه بالأمس، والمستخرج منه ما اسـتخرجته من المال الذى كان استحله من مال على بن هشام، وأنه ممن الدينار والدرهم دينه.

وأما سعـدويه الواسطى، فقل له: قبح الله رجـلا بلغ به التصنع للحـديث، والتزين به، والحرص على طلب الرئاسة فـيه، أن يتمنى وقت المحنة، فيـقول بالتقرب بها مـتى يمتحن، فيجلس للحديث!

وأما المعروف بسجادة، وإنكاره أن يكون سمع ممن كان يجالس من أهل الحديث وأهل الفقه القول بأن القرآن مخلوق، فأعلمـه أنه فى شغله بإعداد النوى وحكه لإصلاح سجادته وبالودائع التى دفعهـا اليه على بن يحيى وغيـره ما أذهله عن التوحيد وألهـاه، ثم سله عما كان يوسف بن أبى يوسف ومحمد ابن الحسن يقولانه، إن كان شاهدهما وجالسهما.

وأما القواريرى، ففيما تكشف من أحواله وقبوله الرشا والمصانعات، ما أبان عن مذهبه وسوء طريقته وسخافة عقله ودينه، وقد انتـهى الى أمير المؤمنين أنه يتولى لجعفر بن عيسى الحسنى مسائله، فتقدم الى جعفر بن عيسى فى رفضه، وترك الثقة به والاستنامة اليه.

وأمـا يحيى بن عـبد الرحـمن العـمرى، فـإن كان من ولـد عمـر بن الخطاب، فجـوابه

معروف.

وأما محمد بن الحسن بن على بن عاصم، فإنه لو كان مقتديا بمن مضى من سلفه، لم ينتحل النحلة التى حكيت عنه، وأنه بعد صبى يحتاج الى تعلم.

وقد كان أمير المؤمنين وجه اليك المعروف بأبى مسهر بعد أن نصه أمير المؤمنين عن محنته فى القرآن، فجمجم عنها ولجلج فيها، حتى دعا له أمير المؤمنين بالسيف، فأقر ذميما، فأنصصه عن إقراره، فإن كان مقيما عليه فأشهر ذلك وأظهره، إن شاء الله.

ومن لم يرجع عن شركه ممن سميت لأمير المؤمنين فى كتابك، وذكره أمير المؤمنين لك، أو أمسك عن ذكره فى كتابه هذا! ولم يقل إن القرآن مخلوق، بعد بشر بن الوليد وإبراهيم بن المهدى فاحملهم أجمعين موثقين إلى عسكر أمير المؤمنين، مع من يقوم بحفظهم وحراستهم فى طريقهم، حتى يؤديهم الى عسكرأمير المؤمنين، ويسلمهم الى من يؤمن بتسليمهم اليه، لينصهم أمير المؤمنين، فإن لم يرجعوا ويتوبوا حملهم جميعا عى السيف، إن شاء الله، ولا قوة إلا بالله.

ملحق رقم (٥)

كتاب أبى إسحاق بن هاورن (المعتصم) إلى كيدر والى مصر سنة ٢١٨هـ / ٨٣٣م[١]

بسم الله الرحمن الرحيم .. من أبى إسحاق ابن أمير المؤمنين الرشيد أخى أمير المؤمنين الى نصر بن عبد الله كيدر مولى أمير المؤمنين، سلام عليك.

فإنى أحمد اليك الله الذى لا إله إلا هو، وأسأله أن يصلى على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه. أما بعد فإن أمير المؤمنين أطال الله بقاءه كتب الى فيما أمرنى به من الكتاب الى قضاة عملى فى امتحان من حضرهم للشهادات، فمن أقر منهم بأن القرآن مخلوق، وكان عدلا قبلوا شهادته ومن دفع ذلك أسقطوا شهادته، ولم يرفعوا حكما بقوله، وامتحان أولئك القضاة بهذه المحنة فمن ترك منهم التشبيه وقال إن القرآن مخلوق أقره بموضعه، ومن دفع أن يكون القرآن مخلوقا أمرته باعتزال الحكم، وأن لا يعان بمثل ذلك فى جميع أهل الحديث هنالك، ومن يسمع منه أو يختلف اليه بسبب الفقه وترك الإذن لأحد منهم فى حديث أو فتوى إلا على انتحال هذه النحلة والقول بمثل هذه المقالة. والبلوغ من يعتقد ذلك ومراعاته مبلغ المحتسب للخير والكتاب اليه أكرمه الله بما يكون منك، وقد رأيت أن تمتحن القاضى هناك بالمحنة التى كتب بها أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه - ليعرف مذهبه وما عنده بأن القرآن مخلوق وترك التشبيه والشك فيه، فقدمت اليه فى امتحان من يحضره للشهادات بهذه المحنة ومن أقر منهم وكان عدلا قبلت شهادته، ومن دفع ذلك وامتنع منه أسقطت شهادته وإن أنكر القاضى أن يكون القرآن مخلوقا أمرته باعتزال الحكومة، وأوعزت بمثل ذلك الى أهلى الحديث ومن يسمع منه أو يختلف اليه بسبب الفقه. وكتبت الى القاضى قبلك بمثل الذى كتبت اليك. فاعلم ذلك وأعمل بما مثل به أمير المؤمنين منه وانته إليه، وابلغ من القيام به على حسب ما يلزمك، ويجب عليك، وأحضر ما تعمل به عنده من وجوه أهل عملك وصلحائهم، واكتب الى بما يكون من القاضى فى ذلك، ومنك على حقه وصدقة لأنهيه الى أمير المؤمنين إن شاء الله. والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

---

(١) الكندى: القضاة والولاة ص٤٤٥ - ٤٤٧ (طبعة مطبعة الآباء اليسوعين، بيروت، ١٩٠٨).

المصادر والمراجع

مصادر الكتاب

أولا: المصادر المخطوطة:

١ـ الثعالبي: (ت ٤٢٩ هـ/ ١٠٣٧ م) أبو منصور عبد الملك الثعالبي.
- (تحفة الوزراء).
-مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم (٦٣٣٣هـ)
- مطبعة دار الكتب المصرية قسم التصوير، ١٩٥١.

٢ـ ابن الجوزي: (ت ٥٩٧ هـ/ ١٢٠٠م) أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي.
-(شذور العقود في تاريخ العهود).
-مخطوط بدار الكتب تحت رقم ٩٤٤ تاريخ.

٣ـ الدرجيني: (ت منتصف القرن السابع الهجري) أبو العباس أحمد.
-طبقات الإباضية جـ١ ، جـ٢.
-مخطوط بدار الكتب تحت رقم ١٢٥٦١ح.

٤ـ الرازي: (ت ٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م) فخر الدين محمد بن عمر الخطيب الرازي.
-نهاية العقول في دراية الأصول.
-مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٧٤٨ توحيد.

٥ـ أبو زكريا: (ت في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري)، يحيى بن أبي بكر.
- السيرة وأخبار الأئمة.
-مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٩٠٣٠ ح.

٦ـ سبط بن الجوزي: (ت ٦٥٤ هـ/ ١٢٥٦م)، شمس الدين أبو المظفر يوسف.
-مرآة الزمان في تاريخ الأعيان.
- مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٥١ تاريخ.

٧ـ السيوطي: (ت ٩١١ هـ/ ١٥٠٥م) عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين.

-(كتاب الأوائل).

- مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٩١ تاريخ.

٨ـ ابن طاهر الخزرجي: (ت ٦١٣هـ / ١٢١٦م) جمال الدين أبو الحسن على بن طاهر الجزرجي.

-(أخبار الدول المنقطعة).

-مخطوط مصور بدار الكتب المصرية تحت رقم ٨٩٠ تاريخ.

٩ـ القاضي عياض: (ت ٥٤٤ هـ / ١١٤٩م) عياض بن موسى اليحصبي.

- ترتيب المدارك وتعريب المسالك لمعرفة أعيان مذهب مالك ـ مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٩٦٧٣٠ ح (أربعة أجزاء).

١٠ـ القزويني: (ت ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م) زكريا بن محمد بن محمود.

- (آثار البلاد وأخبار العباد).

- مخطوط بدارز الكتب المصرية تحت رقم (٢ تاريخ م).

١١ـ القضاعي: (ت ٥٥٤هـ / ١٠٦٢ك)، أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن محمد.

- (عيون المعارف وفنون أخبار الخلائف).

- مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٧٧٩ تاريخ.

١٢ـ الكتبي: (ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م) ابن شاكر.

- (عيون التواريخ).

- مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ١٤٩٧ تاريخ.

١٣ـ المقدسي: (ت ٦٠٠ هـ / ١٢٠٣م)، تقد الدين أبي محمد عبد الغنى بن عبد الواحد الجماعيلي.

- (كتاب المحنة).

- مخطوط بدارز الكتب المصرية تحت رقم ٣٤٥ تاريخ، فى ثلاثة أجزاء.

١٤ـ النسفي: (٨٠٥ هـ / ١٤٠٢م) أبو المعين.

- (بحر الكلام).
-مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥١٤ عقائد تيمور.
١٥ـ أبو الوليد بن الشحنة: (ت ٥١٨ هـ / ١١٢٤م)، محب الدين أبو الوليد محمد بن الشحنة.
-(روضة المناظر فى أخبار الأوائل والأواخر).
- مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٤٥ م والفن (تاريخ).

ثانيا: المصادر العربية:

١ـ الآمدى: (ت ٦٣١ هـ / ١٢٣٣م)، سيف الدين.
- غاية المرام فى علم الكلام (تحقيق: حسن محمود عبد اللطيف، القاهرة، ١٣٩١هـ / ١٩٧١م، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مطابع لأهرام التجارية).
٢ـ اين الأبار: (ت ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م)، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبى بكر.
- اعتاب الكتاب - (حققه وعلق عليه وقدم له الدكتور: صالح الأشتر، الطبعة الأولى ١٣٨٠هـ/ ١٩٦١م، طبعة مجمع اللغة العربية، دمشق).
٣ـ الأبشيهى: (ت ٨٥٠هـ/ ١٤٤٦م)، شهاب الدين محمد بن أحمد أبى الفتح الأبشيهى.
- المستطرف من كل فن مستظرف (طبعة الحلبى، القاهرة، ١٩٥٢م).
٤ـ ابن الأثير: (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٨م)، على بن أحمد بن أبى الكرم.
- الكامل فى التاريخ ١٢ جزء (طبعة دار الفكر، بيروت ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م)، وطبعة أخرى ١٢ جزءا (القاهرة ـ ١٣٠٣هـ).
٥ـ ابن الأخوة: (ت ٧٢٩هـ/ ١٣٢٩م)، محمد بن محمد بن أحمد القرشى.
- معالم القربة فى أحكام الحسبة (تحقيق: د. محمد محمود شعبان، وصديق أحمد عيسى المطيعى، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٦م).
٦ـ الاسفراييني: (ت ٤٧١هـ/ ١٠٧٨م)، أبو المظفر.

- التبصير فى الدين، وتمييز الفرقة الناجية عن فرق الهالكين (تحقيق: محمد زاهد الكوثرى، الطبعة الأولى، مطبعة الأنوار، القاهرة ١٣٩٥هـ/ ١٩٤٠م).

٧ـ الأشعرى: (ت ٣٣٠هـ/ ٩٤١م). أبو الحسن على بن إسماعيل.

- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين (تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، الطبعة الثانية، طبعة مكتبة دار النهضة المصرية، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م).

- الإبانة عن أصول الديانة (دار الكتاب العربى ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م).

- كتاب اللمع فى الرد على أهل الزيغ والبدع (نشر وتصحيح الأب ريتشارد يوسف مكارثى ـ المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٥٢م).

- رسالة فى استحسان الخوض فى علم الكلام (نشر وتصحيح الأب ريتشارد يوسف مكارثى ـ المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٥٢م).

٨ـ الأصفهانى: (ت ٣٥٦هـ/ ٩٦٧م)، أبو الفرج على بن الحسين بن أحمد.

- الأغانى ٢١ جزءاً (تحقيق: إبراهيم الإبيارى، طبعة الشعب ـ ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م).

٩ـ ابن أبى أصيبعة: (ت ٦٦٧هـ/ ١٢٧٠م)، موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم.

-عيون الأنباء فى طبقات الأطباء (تحقيق: نزار رضا، بيروت، دار مكتبة الحياة، بدون تاريخ).

١٠ـ الأنبارى: (ت ٥٧٧هـ/ ١٨٨١م)، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد الأنبارى.

-نزهة الألبا فى طبقات الأدبا (تحقيق: إبراهيم السامرائى، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٥٩م).

١١ـ الإيجى: (ت ٧٥٦هـ/ ١٣٥٥م)، عبد الرحمن بن أحمد عضدالدين.

– المواقف (طبعة بولاق، القاهرة ١٩١٣م).
١٢ـ الباقلانى: (ت ٤٠٣هـ/ ١٠١٢م)، أبو بكر محمد الطيب.
– إعجاز القرآن (تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٤م).
١٣ـ البخارى: (ت ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م)، أبو عبدالله محمد بن أبى الحسن إسماعيل بن إبراهيم.
– صحيح البخارى (مطبعة الحلبى، القاهرة، ١٣٧٨هـ).
١٤ـ البستى: (ت ٣٥٤هـ/ ٦٩٥م)، محمد بن حيان بن أحمد أبى حاتم التميمى.
– كتاب المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين (القاهرة ـ الطبعة الثانية، بدون تاريخ).
١٥ـ البسوى: (ت ٢٧٧هـ/ ٨٩٠م)، أبو يوسف يعقوب بن سفيان.
– كتاب المعرفة والتاريخ (تحقيق: دكتور أكرم ضياء العمرى، المجلد الأول، مطبعة الإرشاد ببغداد، ١٣٩٤هـ/ ١١٠٠م).
١٦ـ ابن بشكوال: (ت ٤٩٤ هـ/ ١١٠٠م)، أبو القاسم خلف بن عبد الملك.
–كتاب الصلة (الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦م).
١٧ـ ابن بطوطة: (ت ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م)، محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتى الطنجى.
–تحفة النظار (طبعة بولاق بالقاهرة، ١٩٣٩م).
١٨ـ البغدادى: (ت ٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م)، عبد القاهر بن طاهر.
– الفرق بين الفرق (الطبعة الأولى ـ دار الآفاق الجديدة ـ بيروت، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م).
١٩ـ البغوى: (ت ٥١٦هـ/ ١١٢٢م)، أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوى.
–شرح السنة (تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وزهير الشاويش، ١٥ جزءاً، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م، دار بدر، القاهرة).

٢٠ـ البكرى: (ت ٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م)، أبو عبيد الله بن عبد العزيز.
-المغرب فى ذكر بلاد أفريقية والمغرب (باريس سنة ١٩١١م).
٢١ـ البلخى: (٣٤٠هـ/ ٩٥١م). أبو زيد أحمد بن سهل البلخى.
-البدء والتاريخ (طبعة ١٨٩٩م ـ مطبعة برطرند، أعادت طبعة بالأوفست مكتبة المثنى ببغداد لصاحبها: قاسم محمد الرجب).
٢٢ـ البلخى: (ت ٣١٩هـ/ ٩٣١م)، أبو القاسم.
-فصل الاعتزال (تحقيق: فؤاد سيد، الدار التونسية للطباعة ١٩٧٤م).
٢٣ـ البيهقى: (ت ٣٢٠هـ/ ٩٣٢م)، إبراهيم بن محمد البيهقى.
- مناقب الإمام الشافعى (دار التراث، الطبعة الأولى، القاهرة ١٣٩١هـ).
- المحاسن والمساوئ (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، مكتبة نهضة مصر، ١٩٦١م).
٢٤ـ البيهقى: (٤٥٨هـ/ ١٠٦٥م)، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقى.
- الاعتقاد على مذهب السلف، أهل السنة والجماعة (صححه ونشره أحمد محمد مرسى، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦١م).
٢٥ـ التنوخى: (ت ٣٨٤ هـ/ ٩٩٤م)، أبو على المحسن بن على التنوخى.
- المستجاد من فعلات الأجواد (تحقيق الشيخ يوسف البستانى، القاهرة، دار العرب، ١٩٨٥م).
- جامع التواريخ المسمى: نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة (تحقيق: عبود الشالجى، بيروت ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م).
- الفرج بعد الشدة (تحقيق: عبود الشالجى، بيروت، دار صادر، ١٩٧٨م).
٢٦ـ التوحيدى: (ت ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م)، على بن محمد بن العباس أبو حيان التوحيدى.
- الإمتاع والمؤانسة (صححه وضبطه: أحمد أمين، وأحمد الزين، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٢م).

- المقابسات (تحقيق وشرح: حسم السندوبى، نشر المكتبة التجارية الكبرى، الطبعة الأولى عام ١٩٢٩م).

٢٧ـ ابن تيمية: (ت ٧٢٨هـ/ ١٣٢٧م)، أبو العباس تقى الدين أحمد بن عبد الحليم.

- اقتضاء الصراط المستقيم، مخالفة أصحاب الجحيم (تحقيق: محمد حامد الفقى، الطبعة الثانية، مكتبة السنة المحمدية، القاهرة، ١٣٦٩هـ).

-بيان موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول (طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ).

- منهاج السنة النبوية فى نقض كلام الشيعة والقدرية (طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ).

٢٨ـ الثعالبى: (ت ٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م)، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبى.

- يتيمة الدهر فى محاسن العصر (تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، القاهرة، مطبعة السعادة، الطبعة الثانية، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م).

٢٩ـ الجاحظ: (٢٥٥هـ/ ٨٦٩م)، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ.

- البخلاء (تحقيق: طه الحاجرى، دار المعارف، مصر، ١٩٨١م، الطبعة السادسة).

- البيان والتبيين (تحقيق: عبد السلام هارون، الطبعة الرابعة، مكتبة الخانجى بالقاهرة، أربعة أجزاء، ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م).

- الحيوان (تحقيق: عبد السلام هارون، الطبعة الثانية، مطبعة مصطفى البابى الحلبى، سبعة أجزاء، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م).

- العثمانية (تحقيق: عبد السلام هارون، دار الكتاب العربى، ١٩٥٥م).

- كتاب البرصان والعرجان والعميان والحولان، (تحقيق: عبد السلام هارون، بغداد، دار الرشيد، ١٩٨٢م).

- كتاب التبصر بالتجارة، (تحقيق: حسن حسنى عبد الوهاب، بيروت، دار

الكتاب الجديد، ١٩٦٦م).
- المحاسن والأضداد، (مصر ـ المطبعة الجمالية، ١٣٣٠هـ ، طبعة ثانية).
٣٠ـ الجرجاني: (ت ٤٨٢هـ/ ١٠٧٨م)، على بن محمد بن على.
- كتاب التعريفات (تحقيق: إبراهيم الإبياري، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٨٥م).
٣١ـ ابن الجوزي: (ت ٥٩٧هـ ١٢٠٠)، أبو الفرج بن على بن محمد بن على.
- مناقب الإمام أحمد بن حنبل (الطبعة الأولى، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٤٩هـ).
-تلبيس إبليس (مطبعة النهضة ـ مصر، ١٩٢٨م).
- أخبار الأذكياء (تحقيق: محمد موسى الخولي، مطابع الأهرام التجارية، ١٩٧٠م).
- أخبار الظرفاء والمتماجنين (تقديم: محمد بحر العلوم، النجف، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٧م).
- أخبار الحمقى والمغفلين (الطبعة الثانية ١٩٨٣م، زاهد القدسي، القاهرة). - المنتظم في أخبار الملوك والأمم (حيدر آباد، ١٣٥٧هـ الطبعة الأولى، عدد مجلداته ٦ الأجزاء (٥ - ٦- ٧ - ٨ - ٩ - ١٠).
٣٢ـ الجويني: (ت ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م)، إمام الحرمين.
- الكافية في الجدل (تحقيق: دكتورة فوقية حسين محمود، مطبعة عيسى الحلبي بالقاهرة، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م).
٣٣ـ الجهشياري: (ت٣٣١هـ/ ٩٤٣م)، أبوعبد الله محمد بن عبدوس الجهشياري.
- الوزراء والكتاب (حققه ووضع فهارسه: مصطفى السقا، إبرهيم الإبياري، عبد الحفيظ شلبي، الطبعة الأولى - القاهرة ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م).
٣٤ـ ابن حجة الحموي: (٨٣٧هـ/ ١٤٣٣م)، تقي الدين أبو بكر بن على بن محمد بن حجة الحموي.

- ثمرات الأوراق فى المحاضرات.
(طبعة الحلبى ـ القاهرة، ١٩٥٢م).
٣٥ـ ابن أبى الحديد: (ت ٤٠٤هـ/ ١٠١٣م)، الشريف محمد بن أبى أحمد الحسينى.
- شرح نهج البلاغة ـ عشرون جزءا (تحقيق: محمد أبو الفضل إبرهيم، دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابى الحلبى)، الطبعة الثانية (١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م)، الى (١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م).
٣٦ـ ابن حزم: (ت٤٥٦هـ/ ١٠٦٣)، أبو محمد على بن أحمد بن سعيد.
- الفصل فى الملل والأهواء والنحل، (مطبعة صبيح ـ القاهرة ١٣٤٨هـ).
- جمهرة أنساب العرب (الطبعة الأولى ـ القاهرة، ١٩٦٢م).
٣٧ الحسن البصرى: (ت١١٠هـ/ ٧٢٨م)، الحسن بن أبى الحسن البصرى.
- رسالة فى القدر (ضمن رسائل العدل والتوحيد جـ١ ـ طبع دار الهلال، تحقيق: محمد عمارة، ١٩٧١م).
٣٨ـ الحصرى: (ت ٤٥٤هـ/ ١٠٦٢م)، أبو إسحاق ابراهيم بن على الحصرى القيروانى.
- زهر الآداب وثمر الألباب (تحقيق: على محمد البجاوى، جزءان، الطبعة الأولى ـ مطبعة عيسى البابى الحلبى ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٣م).
-جمع الجواهر فى الملح والنوادر (تحقيق: على محمد البجاوى، القاهرة ـ مطبعة البابى الحلبى، ١٩٥٣م).
٣٩ـ الخشنى: (ت٣٦١هـ/ ٩٧١م) أبو عبد الله محمد بن حارث بن أسد القيروانى.
- قضاة قرطبة (الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦م).
- طبقات علماء أفريقية (القاهرة، ١٣٧٢هـ).
٤٠ـ الخطيب البغدادى: (ت٤٦٣هـ/ ١٠٧١م)، أبو بكر أحمد بن على.
-تاريخ بغداد، ١٤ جزءا(المكتبة السلفية، المدينة المنورة ـ بدون تاريخ)، وطبعة أخرى (دار الكتاب العربى ـ بيروت ـ لبنان).

٤١ـ ابن خلدون: (ت٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م)، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون.
- العبر وديوان المبتدأ والخبر، ٧ أجزاء، (منشورات مؤسسة الأعلى للمصبو، بيروت، لبنان ١٣٩١هـ/ ١٩٧٧١م)، وطبعة أخرى (القاهرة ١٢٨٤هـ).
- المقدمة (نشر المكتبة التجارية بالقاهرة)، وطبعة أخرى (الطبعة الأولى ـ دار العلم، بيروت، لبنان، ١٩٧٧٨م).
٤٢ـ ابن خلكان: (ت ٦٨١هـ ١٢٧١م)، شمس الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان.
٥ أجزاء، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٤٨م، وطبعة أخرى (تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت ـ لبنان).
٤٣ـ خليفة بن خياط: (ت٢٤٠هـ/ ٨٥٤م).
- تاريخ خليفة (تحقيق: دكتور أكرم ضياء العمرى، طبع ونشر دار طيبة، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م)، (فى جزأين).
٤٤ـ الخوانسارى: (ت١٣١٣هـ/ ١٨٩٥م)، الميرزا محمد باقر الموسوى الأصبهانى.
- روضات الجنات فى أحوال العلماء السادات جـ ٥ ـ طهران.
٤٥ـ الخياط: (ت٣٠٠هـ/ ٩١٢م)، عبد الرحمن محمد أبو الحسين.
- الانتصار والرد على بن الروندى الملحد.
(تحقيق: نيبرج ـ طبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، ١٩٢٥م).
٤٦ـ الدار قطنى: (ت٣٨٥هـ/ ٩٩٥م)، أبو الحسن على بن عمر الدار قطنى البغدادى.
- الضعفاء والمتروكون.
تحقيق: موفق بن عبد الله بن عبد القادر، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
٤٧ـ الدارمى: (ت٢٨١٠هـ/ ٨٩٣م)، أبو سعيد عثمان بن سعيد.

- الرد على الجهمية.
طبعة ليدن، ١٩٦٠م.
٤٨ـ الدباغ: (ت٦٩٦ه/ ١٢٩٦م)، عبد الرحمن بن محمد بن عبدالله الأنصارى.
- معالم الإيمان فى معرفة أهل القيروان (جـ ١، ٢، ٣، تونس، ١٣٢٠هـ وطبعة أخرى، نشر مكتبة الخانجى بمصر والمكتبة الفينيقية بتونس).
٤٩ـ الدميرى: (ت٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م)، كمال الدين محمد بن موسى بن على.
- حياة الحيوان الكبرى، جزءان (القاهرة، المطبعة الخيرية ـ ١٣٠٩هـ).
٥٠ـ الديار بكرى: (ت ٩٦٦هـ/ ١٥٥٩م)، حسين بن محمد بن الحسن الدياربكرى.
تاريخ الخميس.
المطبعة الوهبية ـ القاهرة، ١٢٨٣هـ.
٥١ـ الدينورى: (ت٢٨٢هـ/ ٨٩٥م)، أبو حنيفة أحمد بن داود.
- الأخبار الطوال. تحقيق: عبد المنعم عامر، مراجعة: الدكتور جمال الدين الشيال، القاهرة ١٩٥٩م، أعادت طبعه بالأوفست مكتبة المثنى، بغداد.
٥٢ـ الذهبى (ت٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)، الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد الذهبى.
- ميزان الاعتدال فى نقد الرجال، ٤ أجزاء، تحقيق: على محمد البجاوى، الطبعة الأولى، مطبعة عيسى الحلبى، القاهرة، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٣م.
- العبر فى أخبار من غبر، ٣ أجزاء، تحقيق: صلاح الدين المنجد، الكويت، ١٩٦٠م.
٥٣ـ الرازى: (ت٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م) فخر الدين محمد بن عمر الخطيب الرازى.
- اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، تحقيق على سامى النشار، طبعة دار النهضة المصرية، القاهرة، ١٣٥٦هـ/ ١٩٧٨م، وطبعة أخرى (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٢م).
- مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، القاهرة ١٣٢٧هـ/ / ١٩٠٩م.
- محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين،

راجعه وقدم له: طه عبد الرؤف سعد، الناشر مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة.
- أساس التقديس فى علم الكلام، مطبعة مصطفى البابى الحلبى بمصر، ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م.
٥٤ـ ابن رشد: (ت ٥٩٥هـ/ ١١٩٨م)، محمد بن أحمد.
- تهافت التهافت، طبعة القاهرة، ١٩٠٣م.
-مناهج الأدلة فى عقائد الملة، تقديم وتحقيق: دكتور:محمود محمد قاسم، طبعة القاهرة، ١٩٦٤م.
٥٥ـ الراغب الأصبهانى:(ت٥٠٢هـ/ ١١٠٨م)، أبو القاسم حسنين بن محمد الراغب الأصبهانى.
- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء، دار مكتبة الحياة، بيروت، بدون تاريخ.
٥٦ـ الرمانى: (ت٣٨٦هـ/ ٩٩٦م)، أبو الحسن على بن عيسى.
- النكت فى إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله أحمد، ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، الطبعة الثانية، مصر ١٩٦٨م.
٥٧ـ الزركلى: خير الدين الزركلى.
- الأعلام، قاموس تراجم، ١٠ أجزاء.
الطبعة الثالثة، بيروت ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م، وطبعة أخرى (الطبعة السادسة، بيروت، ١٩٨٤م).
٥٨ـ الزمخشرى: (ت ٥٢٨هـ/ ١٢٠٩م)، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل. مطبعة مصطفى الحلبى، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٦٦م.
- أساس البلاغة، مطابع دار الشعب، القاهرة، ١٩٦٠م.

٥٩ـ السبكي: (ت ٧٧١هـ/ ١٣٦٩م)، أبو نصر تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي.

– طبقات الشافعية الكبرى، الطبعة الأولى، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٣٨٣هـ / ١٩٦٤م، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، ومحمود محمد الطناحي.

– قاعدة في الجرح والتعديل وقاعدة في المؤرخين، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الطبعة الثانية، القاهرة ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م).

٦٠ـ السمعاني: (ت٥٦٢هـ/ / ١١٦٢م)، أبو سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي.

الأنساب، اعتنى بنشره المستشرق د. س. مرجليوت، أعادت طبعه بالأوفست مكتبة المثنى ببغداد (بدون تاريخ).

٦١ـ السيوطي (ت٩١١هـ/ ١٥٠٥م)، جلال الدين بن عبد الرحيم.

– بغية الوعاة، القاهرة، ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م.

–تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، تحقيق: د. أحمد عمر عاشم، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م).

– تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة.

– الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية للكتاب ١٩٧٥م.

طبقات الحفاظ، تحقيق: علي محمد عمر، القاهرة، ١٩٧٣.

٦٢ـ الشافعي: (ت ٢٠٤هـ/ ٨١٩م)، محمد بن إدريس.

– الرسالة، تحقيق: محمد سيد كيلاني، الطبعة الثانية، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م).

الفقه الأكبر، إعداد: محمد محمود فرغلي، مؤسسة روز اليوسف، ١٤٠٦هـ.

الأم، أشرف على طبعه وتصحيحه: فحمد زهدى النجار، نشر فكتبة الكليات الأزهرية، فطبعة شركة الطباعة الفنية المتحدة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٦١م.

٦٣ـ ابن شاكر الكتبى: (ت٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م)، فحمد بن شاكر.

– فوات الوفيات، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، فطابع دار صادر، ١٩٧٣م، ١٩٧٤م.

٦٤ـ الشهرستانى: (ت ٥٤٨هـ/ ١١٥٣ك) أبوالفتح فحمد بن عبد الكريم.

– الملل والنحل، فطبعة صبيح، القاهرة، ١٣٤٨هـ، ٤ أجزاء.

–نهاية الإقدام فى علم الكلام، أكسفورد، ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م.

٦٥ـ الشيبانى:(ت٢٨٧هـ/ ٩٠٠م) أبو بكر عمرو بن أبى عاصم الضحاك بن فخلد الشيبانى.

– كتاب السنة، جزءان، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، المكتب الإسلافى، دفشق وبيروت.

٦٦ـ الشريف المرتضى: (ت ٤٢٦هـ/ ١٠٤٤م)، على بن الحسين الموسوى.

– غرر الفوائد ودرر القلائد، المعروف بأمالى المرتضى، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، جزءان، مطبعة الحلبى، القاهرة، ١٩٥٤م.

– رسالة فى إنقاذ البشر فن الجبر والقدر، ضمن رسائل العدل والتوحيد، جـ١، تحقيق: فحمد عمارة، طبع دار الهلال، ١٩٧١م.

٦٧ـ الصاحب بن عباد: (ت ٣٨٥هـ/ ٩٩٥م)، إسماعيل بن عباد بن العباس.

– الإبانة عن فذهب أهل العدل، تحقيق: فحمد حسن آل ياسين، الطبعة الثانية، بغداد، سنة ١٩٦٣م.

–رسائل الصاحب بن عباد، تحقيق: عبد الوهاب عزام، وشوقى ضيف، طبعة القاهرة، ١٣٣٦هـ.

٦٨ـ ابن الصغير المالكى: (عاش بين ٢٤٠هـ/ ٢٨٠هـ)/ (٨٥٥م/ ٨٩٤م).

-أخبار الأئمة الرستميين، نشر فوتيلنسكى، باريس، سنة ١٩٠٧.
٦٩ـ الصفدى: (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م)، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى
- الوافى بالوفيات، تحقيق: إحسان عباس وآخرين، دار النشر، فرانز شتاينر بفسبادن جـ٧، طبعة ١٣٨٩هـ/ ١٩٧٤م، جـ١٢، طبعة ١٣٩٩هـ/ ١٩٣٧م.
٧٠ـ الصولى: (ت٣٣٥هـ/ ٩٤٦م)، أبو بكر فحمد بن يحيى.
- أخبار أبى تمام، تحقيق: خليل فحمود عساكر وآخرين، طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م.
٧١ـ الطبرى: (ت٣١٠هـ/ ٩٢٢م)، أبو جعفر فحمد بن جرير.
- تاريخ الأفم والملوك، تحقيق: فحمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة دار المعارف، الطبعة الثانية، ١٩٧٦م.
- جافع البيان عن تأويل آى القرآن، الطبعة الثانية، فطبعة فصطفى البابى الحلبى، القاهرة، ١٩٥٤م.
٧٢ـ طاش كبرى زادة: (ت٩٦٨هـ/ ١٥٦٠م)، أحمد بن فصطفى
- ففتاح السعادة وفصباح السيادة، تحقيق: كافل كافل بكرى، وعبد الوهاب أبو النور، طبعة دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٩٦٨م.
٧٣ـ ابن الطقطقى: (ت٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م)، فحمد بن على بن طباطبا.
- الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الإسلافية، طبعة دار صادر، لبنان، بدون تاريخ.
٧٤ـ الطوسى: (ت٦٧٢هـ/ ١٢٧٤م)، نصر الدين الطوسى.
- أساس التقديس فى علم الكلام ـ فطبعة فصطفى الحلبى ـ فصر ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م.
٧٥ـ ابن طيفور: (٢٨٠هـ/ ٨٩٣ ـ ٨٩٤م)، أبو الفضل أحمد بن طاهر.
- تاريخ بغداد، صححه فحمد زاهد الكوثرى (١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م).

٧٦ـ العامرى: (ت١٠٩٠هـ/ ١٢٠٧م)، محمد كمال الدين بن محمد الغزى العامرى.
- النعت الأكمل لأصحاب الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: محمد مطيع الحافظ، ونزار أباظة، دار الفكر بدمشق، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
٧٧ـ ابن عبد البر: (ت٤٦٣هـ-١٠٧٠/ م)، أبو عمر يوسف بن عبد البر النمرى القرطبى الأندلسى.
- جامع بيان العلم وفضله، الطبعة الأولى، الناشر: المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، ١٣٨٨هـ، وطبعة أخرى (المطبعة المنيرية بمصر ١٣٤٦هـ، جزءان).
٧٨ـ القاضى عبد الجبار: (ت٤١٥هـ/ ١٠٢٤م)، عبد الجبار بن أحمد الهمذانى.
-شرح الأصول الخمسة، تحقيق: عبدالكريم عثمان، مطبعة مكتبة وهبة بالقاهرة ١٩٦٥م، الطبعة الأولى.
- فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، تحقيق: فؤاد سيد، طبعة الدار التونسية للنشر، ١٩٧٤م، (جزءان)، دار التراث، القاهرة، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.
- المحيط بالتكليف، تحقيق: عمر السيد عزمى، نشر الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة (بدون تاريخ).
- تنزيه القرآن عن المطاعن، بيروت، دار النهضة الحديثة، (بدون تاريخ)، وطبعة أخرى (المطبعة الجمالية بمصر، ١٣٢٩هـ).
- المختصر فى أصول الدين، ضمن رسائل العدل والتوحيد، جـ١، تحقيق: محمد عمارة، طبع دار الهلال، ١٩٧١م.
- المغنى فى أبوات التوحيد والعدل ـ مراجعة دكتور: إبراهيم مدكور، إشراف: دكتور/ طه حسين، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٠م/ ١٩٦٥م، ويشمل:
جـ٤ :رؤية البارئ، تحقبق: محمد مصطفى حلمى، وأبو الوفا الغنيمى التفتازانى، ١٩٦٥م.
جـ٥ :الفرق غير الإسلامية، تحقيق: محمود محمد الخضيرى، ١٩٦٥م.

جـ ٦ :(القسم الأول) ـ التعديل والتجوير، تحقيق: أحمد فؤاد الأهوانى ـ ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م.
جـ٦ : (القسم الثانى) ـ الإرادة ـ تحقيق: الأب ج.ش قنوانى (بدون تاريخ).
جـ٧: خلق القرآن ـ تحقيق: إبراهيم الإبيارى، ١٩٦١م.
جـ٨: المخلوق، تحقيق: توفيق الطويل، وسعد زايد، (بدون تاريخ).
جـ٩ : التوليد، تحقيق: توفيق الطويل، وسعد زايد، ١٩٦٤م.
جـ١١ : التكليف تحقيق: محمد على النجار، وعبد الحليم النجار، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م.
جـ١٢ : النظر والمعارف، تحقيق: إبراهيم مدكور، ١٩٦٢م.
جـ١٣ : اللطف، تحقيق: أبو العلا عفيفى، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م.
جـ١٤ : الأصلح، استحقاق الذم، التوبة، تحقق: مصطفى السقا، ١٣٨٥م / ١٩٦٥م.
جـ١٥ : التنبؤات والمعجزات، تحقيق: محمود الخضيرى، ومحمود قاسم، ١٣٨٥م/ ١٩٦٥م.
جـ١٦ : إعجاز القرآن، تحقيق: أمين الخولى، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م.
جـ١٧ : الشرعيات، تحقيق: أمين الخولى، ١٩٦٢م.
جـ٢٠ : فى الإمامة (القسم الأول والثانى)، تحقيق: عبد الحليم محمود، سليمان دنيا.
٧٩ـ ابن عبد ربه: (ت٣٢٨هـ/ ٩٣٩م)، أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسى.
- العقد الفريد، تحقيق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م، جـ١، جـ٢.
٨٠ـ ابن عربى: (ت٦٣٨هـ/ ١٢٤٠م)، الشيخ محيى الدين.
- فصوص الحكم، تحقيق وتعليق: أبو العلا عفيفى، طبعة القاهرة،

١٩٤٦م.
٨١ـ ابن العبرى: (ت٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م)، غرغوريوس الملطى.
- تاريخ مختصر الدول، الطبعة الثانية، ١٩٥٨م، بيروت ـ لبنان.
٨٢ـ العسقلانى: (ت٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م)، أحمد بن على بن حجر.
- فتح البارى، مطبعة مصطفى الحلبى، القاهرة، ١٣٧٨هـ.
٨٣ـ ابن العماد الحنبلى: (١٠٨٩هـ/ ١٦٧٩م)، أبو الفلاح عبد الحى بن العماد.
- شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، ٨ أجزاء، دار المسيرة، بيروت، طبعة ثانية، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، وطبعة أخرى (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت).
٨٤ـ الغزالى: (ت٥٠٥هـ/ ١١١١م)، أبو حامد محمد بن محمد.
- إحياء علوم الدين، مطبعة مصطفى البابى الحلبى، مصر، ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م.
- المستصفى من علم الأصول، المطبعة الأميرية ببولاق، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٢٢هـ.
- المنقذ من الضلال، الطبعة الخامسة، نشر دار الكتب الحديثة، ١٣٨٦هـ وطبعة أخرى، (دمشق ١٣٨٦هـ وطبعة أخرى، (دمشق ١٣٢٥هـ/ ١٩٣٣م).
- كتاب فضائح الباطنية للرد عليهم، نشر وتحقيق: عبد الرحمن بدوى، القاهرة، ١٩٦٤م.
- تهافت الفلاسفة، طبعة القاهرة، ١٩٠٣.
- إلجام العوام عن علم الكلام ـ ضمن مجموعة من رسائل الإمام الغزالى ـ نشر مكتبة الجندى، طبع شركة الطباعة الفنية المتحدة بالقاهرة.
- كتاب الاقتصاد فى الاعتقاد، الطبعة الأولى، مكتبة الحسين التجارية، مطبعة حجازى، القاهرة (بدون تاريخ).

٨٥ـ ابن عساكر: (ت٥٧١هـ/ ١١٧٥م)، أبو القاسم على بن الحسن بن هبة الله الشافعي- تهذيب تاريخ دمشق الكبير، هذبه ورتبه: الشيخ عبد القادر بدران، دار المسيرة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، (٧ أجزاء).
- تبين كذب المفترى فيما نسب الى الإمام أبى الحسن الأشعرى، تقديم: محمد زاهد الكوثرى، طبع المطبعة التوفيقية بدمشق، ١٣٤٧هـ.
٨٦ـ أبو الفدا: (ت٧٣٢هـ/ ١٣٣١م)، الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل أبو الفدا المختصر فى أخبار البشر ـ تاريخ أبى الفدا ـ دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان، (بدون تاريخ).
٨٧ـ ابن فورك: (ت٤٠٦هـ/ ١٠١٥م)، أبو بكر محمد بن الحسين.
- مشكل الحديث وبيانه، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
٨٨ـ القاسم الرسى: (ت٢٤٦هـ/ ٩٥٧م)، الإمام القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل.
- كتاب أصول العدل والتوحيد، ضمن رسائل العدل والتوحيد، جـ١، تحقيق: محمد عمارة، طبع دار الهلال، ١٩٧١م.
٨٩ـ ابن قتيبة: (ت٢٧٦هـ/ ٨٨٩م)، أبو محمد عبد الله بن مسلم.
- تأويل مختلف الحديث فى الرد على أعداء الحديث، دار الجيل، بيروت، تحقيق: محمد زهدى النجار، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.
- عيون الأخبار، ٤ أجزاء (طبعة دار الكتب المصرية، ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٥م)، وطبعة أخرى (المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والنشر١٩٦٣م).
- المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، الطبعة الرابعة، دار المعارف، ١٩٨١م.
- الإمامة والسياسة، مطبعة مصطفى الحلبى، مصر، الطبعة الثالثة، ١٩٦٣م.
- تأويل مشكل القرآن، شرح وتحقيق: أحمد صقر، الطبعة الأولى، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٤م.
٩٠ـ القرمانى: (ت١٢٨٢هـ/ ١٨٦٥م)، أبو العباس أحمد بن يوسف بن أحمد

الدمشقي.
- كتاب أخبار الـدول وآثار الأول فى التاريخ، عالم الكتب، بيروت (بدون تاريخ).
٩١ـ القفطى: (ت٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م) الوزير جـمال الدين أبى الحسن على بن القاضى الأشرف يوسف.
-أخـبار العلمـاء بأخـبار الحكمـاء، دار الآثار للطبـاعـة والنشر والتـوزيع، بيروت، لبنان، (بدون تاريخ).
٩٢ـ القلقشندى: (ت٨٢١هـ/ ١٤١٨م)، أبى العباس أحمد.
-صـبح الأعـشى، طبع بـالمطبـعـة الأمـيـرية بالقـاهرة، ١٤ جـزءا، ١٣٣٧هـ/ ١٩١٨م.
- مآثر الإنافة فى معـالم الخلافة، تحقيق: عبد الستـار أحمد فراج، الكويت، ٣ أجزاء، سلسلة التراث العربى رقم (١١)، ١٩٦٤م.
٩٣ـ القيروانى: (ت٣٣٣هـ/ ٩٤٤م)، أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم القيروانى.
- طبـقات علمـاء أفريقـيـة وتونس، تقديم وتحـقيـق: على الشابى، وتعـيم حسن، الدار التونسية للنشر، ١٩٦٨م.
٩٤ـ ابن قيم الجوزية: (ت٧٥١هـ/ ١٣٥٠م)، شمس الدين محمد بن أبى بكر.
- زاد المعاد فى هدى خير الـعباد، المطبعة المصرية ومكتـبتها، (بدون تاريخ) ٤ أجزاء.
- مـختـصـر الصـواعق المرسلة على الجـهـمـيـة والمعطـلة، مكة المكرمـة، ١٣٤٨هـ/ ١٩٢٩م.
- اجتمـاع الجيوش الإسلامية عـلى غزو المعطلة والجهميـة، طبعة دار الفكر العربى للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠١هـ، القاهرة.
- أعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: محـمد محيى الدين عبد الحميد، الطبعة الثانية، مطبعة السعادة بمصر، ١٩٥٥م.

-شفاء العليل فى مسائل القضاء والقدر والحكم والتعليل، مطبعة دار الكتاب العربى، مصر، بدون تاريخ.
٩٥- ابن كثير: (ت٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م)، عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن عمر.
- البداية والنهاية، ١٤ جزءا (القاهرة ١٩٣٢م)، وطبعة أخرى، الطبعة الرابعة، مكتبة المعارف، بيروت، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.
- الباعث الحثيث، تحقق:أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
٩٦- الكندى: (ت٣٠٥هـ/ ٩١٧م)، يوسف بن عمر.
- الولاة والقضاة، طبع بمطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٨م.
٩٧- المالكى: (نهاية القرن الرابع الهجرى)، أبو بكر عبدالله بن أبى عبدالله.
- رياض النفوس فى طبقات علماء القيروان وأفريقية وزهادهم وعبادهم ونساكهم وسير أخبارهم، نشره وعلق عليه وقدم له: د. حسين مؤنس، القاهرة، ١٩٥١م.
٩٨- المبرد: (ت٢٨٥هـ/ ٨٩٨م)، أبو العباس محمد بن يزيد.
- الكامل فى اللغة والأدب، نشر مكتبة المعارف، بيروت، جزءان (بدون تاريخ).
٩٩- المقبلى: (ت١١٠٨هـ/ ١٦٩٦م)، صالح المقبلى.
- العلم الشامخ فى إيثار الحق على الآباء والمشايخ، القاهرة، ١٣٣١هـ/ ١٩١٢م.
١٠٠- أبو المحاسن: (ت٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م)، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى.
- النجوم الزاهرة، طبعة دار الكتب، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والطباعة والنشر، القاهرة ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م.

١٠١ـ المقدسى: (ت٣٩٠هـ/ ٩٩٩م)، شمس الدين أبو عبد الله محمد.
- أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، تحقيق: ميخائيل جان دوغويه، مطبعة بريل ليدن، ١٩٠٦م.
١٠٢ـ المراكشى: (ت٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م)، عبد الواحد.
- المعجب فى تلخيص أخبارالمغرب، من لدن فتح الأندلس الى آخر عصر الموحدين، تحقيق: محمد سعيد العريان، القاهرة، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م.
١٠٣ـ ابن المرتضى: (ت٨٤٠هـ/ ١٤٣٦م)، أحمد بن يحيى.
- المنية والأمل، تحقيق: عصام الدين محمد على، طبعة دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٨٥م، (جزءان).
١٠٤ـ مسكوية:(ت ٨٤٥ هـ - ١٤٤١م) أبو على أحمد بن محمد - تجارب الأمم، القاهرة، ١٩١٥م.
١٠٥ ـ المسعودى: (ت ٣٤٦ هـ ـ ٩٥٦م) أبو الحسن على بن الحسين بن على.
ـ التنبيه والإشراف، تصحيح: عبد الله إسماعيل الصاوي، دار الصاوي للطبع والنشر والتأليف، القاهرة، ١٣٥٧ هـ / ١٩٣٨م).
- مروج الذهب ومعادن الجوهر، جزءان، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، دار الكتاب اللبنانى بيروت، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.
١٠٦ـ مسلم: (ت ٢٦١هـ/ ٨٢١م)، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى النيسابورى.
- صحيح مسلم، الطبعة الأولى، عيسى الحلبى، ١٣٧٤ه.
١٠٧ـ الملطى: (ت ٣٧٧هـ/ ٩٨٧م)، محمد بن أحمد أبو الحسن.
- التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، تحقيق: محمد زاهد الكوثرى،مكتب نشر الثقافة الإسلامية،و القاهرة، ١٩٤٩م.
١٠٨ـ المقريزى: (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م)، تقى الدين أحمد بن على.
- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار صادر ـ بيروت، طبعة جديدة

بالأوفست عن طبعة بولاق ١٢٧٠هـ (جزءان).
- اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق: جمال الدين الشيال، طبعة القاهرة، ١٩٦٨م.
١٠٩ـ المنذرى: (ت ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م)، الإمام الحافظ زكى الدين عبد العظيم بن عبد القوى.
- الترغيب والترهيب، ٤ أجزاء، مطبعة وزارة الأوقاف، القاهرة، ١٩٧٦م.
١١٠ـ ابن نباتة المصرى: (ت٧٦٨هـ/ ١٣٦٦م)، جمال الدين محمد بن محمد.
- سرح العيون على رسالة بن زيدون ـ المطبعة الوطنية بالإسكندرية، ١٩٢٠م.
١١١ـ ابن النديم: (ت ٣٨٥هـ/ ٩٩٥م)، محمد بن إسحاق ـ الفهرست، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان، (بدون تاريخ).
١١٢ـ أبونعيم الأصبهانى: (٤٣٠هـ/ ١٠٣٨م)، أبو نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهانى.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ١٠ أجزاء، طبعة القاهرة،١٩٣٢م/ ١٩٣٨م)، وطبعة أخرى ـ طبعة دار الكتاب العربى بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م).
١١٣ـ النوبختى: (ت٣١٠هـ/ ٩٢٢م)، أبو محمد الحسن بن موسى.
- فرق الشيعة، منشورات دار الأضواء، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
١١٤ـ النويرى: (٧٣٢هـ/ ١٣٣٢م)، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويرى.
- نهاية الأرب فى فنون الأدب، (مطبعة دار الكتب المصرية ـ بالقاهرة، ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٥م).
١١٥ـ النيسابورى:(٤٠٠هـ/ ١٠٠٩م)، أبو رشيد سعيد بن محمد.
- ديوان الأصول، تحقيق: محمد عبد الهادى أبو ريدة، مطبعة دار الكتب، ١٩٦٩م.

- المسائل فى الخلاف بين البصريين والبغداديين، تحقيق: معن زيادة، ورضوان السيد، معهد الإنماء العربى، الجماهيرية العربية الليبية، الطبعة الأولى، ١٩٧٩م.

١١٦ـ واصل بن عطاء: (ت ١٣١هـ/ ٧٤٨م)، أبو حذيفة واصل بن عطاء الغزال.

- خطبة واصل بن عطاء التى جانب فيها الراء، ضمن نوادر المخطوطات، جـ٢، تحقيق: عبدالسلام هارون، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٣٧١هـ/ ١٩٥١، مطبعة السعادة بمصر.

١١٧ـ ابن الوردى: (ت٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م)، زين الدين عمر مظفر بن الوردى.

- تتمة المختصر فى أخبار البشر(تاريخ بن الوردى) أحمد رفعت البدراوى، الناشر: دار المعرفة،و بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، ١٣٨٩هـ/ ١٩٧٠م.

١١٨ـ الوشاء (ت٣٢٥هـ/ ٩٣٦م)، أبو الطيب محمد بن إسحق بن يحيى.

- الظرف والظفاء، تحقيق: كمال مصطفى، الطبعة الثانية، مطبقة الخانجى ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٣م.

١١٩ـ الوطواط: (ت٧١٨ هـ/ ١٣١٨م)، أبو إسحق إبراهيم بن يحيى بن على الكتبى.

- غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائص الفاضحة، طبعة بيروت، دار صعب، (بدون تاريخ).

١٢٠ـ اليافعى: (ت٧٧٦٨هـ/ ١٣٦٦م)، أبو محمد عبد الله بن أسعد بن على بن سليمان اليافعى اليمنى.

- مرأة الزمان ـ بيروت، ١٩٧٠م.

١٢١ـ ياقوت الحموى: (ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م) شهاب الدين أبو عبد الله الحموى الرومى.

- معجم الأدباء، مطبوعات دار المأ مون، طبع القاهرة، الطبعة الأخيرة(بدون تاريخ)، وطبعة أخرى (دار إحياء التراث العربى ـ بيروت).

- معجم البلدان ٥ مجلدات، دار إحياء التراث العربى، بيروت ـ لبنان،

طبعة أخرى (بيروت ـ دار صادر ـ ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م).

١٢٢ـ يحيى بن الحسين: (ت٢٩٨هـ/ ٩١٠م)، الإمام يحيى بن الحسين بن القاسم.

- رسائل العدل والتوحيد، جـ٢، تحقيق: محمد عمارة، طبع دار الهلال، ١٩٧١م.

١٢٣ـ اليعقوبي: (٢٨٢هـ/ ٨٩٥م)، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح.

- تاريخي اليعقوبي، مطبعة الغرى، النجف، ١٣٥٨، (ثلاثة أجزاء).

- كتاب البلدان (طبعة ليدن ١٨٩١م).

١٢٤ ـ اليمنى:(ت٨٥٥هـ/ ١٤٥١م)، الحسين بن عبد الرحمن الأهذل اليمنى.

- كشف الغطاء عن حقائق التوحيد، نشر: أحمد بكير، طبع مطبعة الاتحاد العام التونسى للشغل، تونس، ١٩٦٤م).

ثالثا: المراجع العربية الحديثة:

١ـ إبراهيم أحمد العدوى: الدكتور

تاريخ العالم الإسلامى، جـ١ (عصر البناء والانطلاق)، الناشر: مكتبة الأنجلو المصرية، مطبعة جامعة القاهرة، ١٩٨٣م.

٢ـ إبراهيم مدكور : الدكتور

فى الفسلفة الإسلامية منهج وتطبيقه، جـ٢، دار المعارف، ١٩٨٣م.

٣ـ أبو الوفا الغنيمى التفتازانى: الدكتور

علم الكلام وبعض مشكلاته، دار الثقافة الجامعية للطباعة والنشر بالقاهرة، ١٩٧٩م.

٤ـ أحمد أمين:

فجر الإسلام ـ الطبعة الرابعة عشر ١٩٨٦م، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

ضحى الإسلام جـ ٣، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة السادسة، القاهرة

١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م.
ظهر الإسلام جـ١، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة السادسة، القاهرة ١٣٦٤هـ/ ١٩٤٥م، جـ٤ الطبعة الخامسة، ١٩٨٢م.
٥ـ أحمد شلبى: الدكتور
التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية، جـ٢، الطبعة الرابعة، ١٩٧٣م، مكتبة النهضة المصرية.
٦ـ أحمد فريد الرفاعى: الدكتور
عصر المأمون، ٣ مجلدات (الطبعة الأولى، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م).
٧ـ أحمد فؤاد الأهوانى: الدكتور
الفسلفة الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٥م.
٨ـ أحمد محمود صبحى: الدكتور
فى علم الكلام جـ١ (المعتزلة)، ـ الطبعة الرابعة،و مؤسسة الثقافة الجامعية ـ الإسكندرية، ١٩٨٢م.
٩ـ إحمد محمد الحوفى: الدكتور
الفكاهة فى الأدب ـ أصولها وأنواعها ـ القاهرة، مكتبة نهضة مصر، ١٩٥٦م.
١٠ـ أحمد مختار العبادى: الدكتور
دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس، الإسكندرية، ١٩٦٨م.
١١ـ ألبير نصرى نادر: الدكتور
الفرق الإسلامية السياسية والكلامية ـ المطبعة الكاثوليكية، بيروت (بدون تاريخ).
فلسفة المعتزلة (طبعة الاسكندرية جـ١).
١٢ـ السيد الباز العرينى: الدكتور

الدولة البيزنطية ـ دار النهضة المصرية، ١٩٦٠م.

١٣ـ السيد عبد العزيز سالم: الدكتور

تاريخ الدولة العربية، الناشر: مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، (بدون تاريخ).

المغرب الإسلامي ـ كتاب الشعب، عدد ١٣٨ ـ ١٣٩، القاهرة، ١٩٦١م.

١٤ـ بدرى محمد فهد:

العامة فى بغداد فى القرن الخامس الهجرى، (مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٦٧م).

١٥ـ بدوى طبانة: الدكتور

الصاحب بن عياد ـ سلسلة أعلام العرب، عدد ٢٧، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م).

١٦ـ جرجى زيدان:

تاريخ التمدن الإسلامى (طبعة راجعها وعلق عليها د. حسين مؤنس، مطابع دار الهلال، ١٩٥٨م، ٥ أجزاء).

١٧ـ جمال الدين الشيال: الدكتور

تاريخ الدولة العباسية (مطبعة رويال، ١٩٦٧م).

١٨ـ جمال الدين القاسمى الدمشقى:

تاريخ الجهمية والمعتزلة، الطبعة الثالثة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٠٤٥هـ/ ١٩٨١م.

موعظة المؤمنين فى إحياء علوم الدين (جزءان)، تقديم وتحقيق: عاصم بهجة البيطار، دار النفائس، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م).

١٩ـ حسن إبراهيم حسن: الدكتور

تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى (٣أجزاء) الطبعة العاشرة، مكتبة النهضة، ١٩٨٣م ـ ١٩٨٥م.

٢٠ـ حسن أحمد محمود: الدكتور
الإسلام والثقافة العربية فى أفريقيا، دار الفكر العربى، ١٩٨٦م.
قيام دولة المرابطين، دار الفكر العربى.
الإسلام والحضارة العربية فى آسيا الوسطى بين الفتحين العربى والتركى، دار النهضة العربية، ١٩٨٦م.
العالم الإسلامى فى العصر العباسى، بالاشتراك مع الدكتور: أحمد إبراهيم الشريف، دار الفكر العربى، الطبعة الثالثة، ١٩٧٧م.
تاريخ الغرب الإسلامى، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٦٨م.
٢١ـ حسنى زينة:
العقل عند المعتزلة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
٢٢ـ حسين مؤنس: الدكتور
فتح العرب للمغرب، القاهرة ١٩٤٧ .
فجر الأندلس، القاهرة ١٩٥٩ .
٢٣ـ خليل داود الرزو:
الحياة العلمية فى الشام فى القرنين الأول والثانى للهجرة (دارالآفاق الجديدة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٧١م).
٢٤ـ رشيد يوسف عطا الله:
تاريخ الآداب العربية، تحقيق: دكتور/ على نجيب عطوى، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، (الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، بيروت ـ لبنان، جزءان).
٢٥ـ رمزية محمد الأطرقجى: الدكتورة
بناء بغداد فى عهد أبى جعفر المنصور، النجف، ١٩٧٥م.
الحالة الاجتماعية فى بغداد من ١٤٥هـ/ ٢٣٢م، (الطبعة الأولى، ١٩٨٢،

مطبعة الجامعة ببغداد.
٢٦ـ زهدى حسن جار الله:
المعتزلة (مطبعة مصر، القاهرة ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م).
٢٧ـ سامى الكيلانى:
النسفس الإنسانية فى أدب الجاحظ (مصر، دار المعارف ١٩٦١م، سلسلة اقرأ، عدد ٢٢٦).
٢٨ـ سعد زغول عبد الحميد: الدكتور
تاريخ المغرب العربى، جـ٢ (تاريخ دولة الأغالبة والرستميين وبنى مدرار والأدارسة حتى قيام الفاطميين (منشأة المعارف،الإسكندرية، ١٩٧٩م).
٢٩ـ سليمان دنيا: الدكتور
التفكير الفلسفى فى الإسلام (الطبعة الأولى، نشر مكتبة الخانجى بمصر، ١٩٦٧م).
٣٠ـ سيدة الكاشف: الدكتورة
مصر فى فجر الإسلام، الطبعة الثانية، دار النهضة القاهرة، ١٩٧٠م.
٣١ـ شاكر مصطفى: الدكتور
فى التاريخ العباسى، جزاءن (مطبعة الجامعة السورية، دمشق، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م).
٣٢ـ شوقى ضيف: الدكتور
العصر العباسى الأول (الطبعة السادسة، دار المعارف بمصر، ١٩٦٦م).
العصر العباسى الثانى (الطبعة الثانية، دار المعارف بمصر، ١٩٧٥م).
الفن ومذاهبه فى النثر العربى (دار المعارف، الطبعة الثامنة، ١٩٦٠م).
البلاغة ـ تطور وتاريخ، طبع دار المعارف.
٣٣ـ صابر طعيمة: الدكتور
دراسات فى الفرق (الشيعة، النصيرية، الباطنية، الصوفية، الخوارج)،

(مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م).
٣٤ـ صلاح الدين المنجد: الدكتور
بين الخلفاء والخلعاء في العصر العباسي (بيروت، دار الكتاب الجديد، ١٩٨٠م).
٣٥ـ طه محمد الحاجري:
الجاحظ، (دار المعارف ـ مصر، الطبعة الثالثة، ١٩٧٦م).
٣٦ـ عامر النجار: الدكتور
علم الكلام ـ تعريفه وعوامل نشأته، (دار المعارف، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م)، مصر
٣٧ـ عبد الحكيم بلبع: الدكتور
أدب المعتزلة (الطبعة الثالثة، دار انهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ١٩٧٩م).
النثر الفني وأثر الجاحظ فيه (طبعة القاهرة، ١٩٥٥م).
٣٨ـ عبد الحليم محمود: الدكتور
دلائل النبوة ومعجزات الرسول. دار الإنسان للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م).
٣٩ـ عبد العزيز الدوري: الدكتور
دراسات في العصور العباسية المتأخرة (مطبعة السريان، بغداد، ١٩٤٥م).
٤٠ـ عبد الفتاح السرنجاوي:
النزعات الاستقلالية في الخلافة العباسية.
(القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٩٤٥م).
٤١ـ عبدالله سلوم السامرائي: الدكتور
الغلو والفرق الغالية في الحضارة الإسلامية، (طبع الدار العربية، بغداد، الطبعة الثانية، ١٩٨٢م).

٤٢ـ عبدالله علام: الدكتور
الدولة الموحدية فى المغرب فى عهد عبد المؤمن بن على.
(مطابع دار المعارف بمصر، ١٩٧١م).
٤٣ـ عبد المتهم ماجد: الدكتور
العصر العباسى الأول (مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٣م)، وطبعة أخرى (الطبعة الثالثة، ١٩٨٤م).
٤٤ـ عبدالمتعال الصعيدى:
المجددون فى الإسلام من القرن الأول الى القرن الرابع عشر (١٠٠ ـ ١٣٧٠م)، (المطبعة النموذجية ـ مصر (بدون تاريخ)، الناشر: مكتبة الآداب).
٤٥ـ عز الدين فراج: الدكتور
فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوربية (طبع ونشر دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٧٨م).
٤٦ـ عصام الدين عبد الرؤوف: الدكتور
الدولة العباسية (الناشر: مكتبة نهضة الشرق، جامعة القاهرة، ١٩٨٥م، المطبعة التجارية الحديثة بالقاهرة).
الدولة الإسلامية المستقلة فى الشرق ـ طبع دار الفكر العربى، بدون تاريخ).
٤٧ـ عصام الدين محمد على: الدكتور
بواكير الثقافة الإسلامية وحركة النقل والترجمة ـ من أواخر القرن الأول حتى منتصف القرن الرابع.
(الإسكندرية، منشأة المعارف، ١٩٨٦م).
٤٨ـ على إبراهيم حسن: الدكتور
التاريخ الإسلامى العام (مطبعة النهضة المصرية، القاهرة، طبعة بدون

تاريخ).
٤٩ـ علي بو ملحم:
المناحي الفلسفية عند الجاحظ (بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، ١٩٨٠م).
٥٠ـ علي حسني الخربوطلي: الدكتور
تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي (القاهرة، ١٩٥٩م).
الحضارة العربية الإسلامية (القاهرة، ١٩٦٢م).
٥١ ـ علي حبية: الدكتور
العباسيون في التاريخ (مطبعة الإرشاد، القاهرة، ١٩٨٠م)
٥٢ـ علي سامي النشار: الدكتور
نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، جـ ١ (الطبعة الثالثة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٥م).
٥٣ـ علي مصطفى الغرابي: الدكتور
أبو الهذيل العلاف (الطبعة الأولى، مطبعة حجازي، القاهرة، ١٣٦٩هـ/ ١٩٤٩م).
تاريخ الفرق الإسلامية (الطبعة الأولى، ١٩٤٨م، الناشر: المكتبة الحسينية بالقاهرة، مطبعة السعادة).
٥٤ـ عمر فروخ:
تاريخ الأدب (الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٦٨م).
٥٥ـ فاروق عمر: الدكتور
الخلافة العباسية في عصر الفوضى العسكرية (منشورات مكتبة المثنى ببغداد ـ العراق، الطبعة الثانية، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م).
بحوث في التاريخ العباسي (بغداد، ١٩٧٧م).
العباسيون الأوائل، جزءان، بيروت، بدون تاريخ.

٥٦ـ فتح الله خليف: الدكتور
فلاسفة الإسلام (الناشر: دار الجامعات المصرية، الإسكندرية، بدون تاريخ).
٥٧ـ فيصل بدير عون: الدكتور
فكرة الطبيعة في الفلسفة الإسلامية مع بيان مصادرها، (مكتبة الحرية الحديثة، جامعة عين شمس، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٠م).
٥٨ـ محمد أبو زهرة:
أبو حنيفة ـ حياته وعصره ـ آراؤه الكلامية وفقهه، (طبع دار الفكر العربى، الطبعة الثانية، ١٣٦٩هـ/ ١٩٤٧م).
أحمد بن حنبل «حياته وعصره» (طبع دار الفكر العربى).
الشافعى ـ حياته وعصره ـ آراؤه وفقهه (دار الفكر العربى، ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م).
ابن حزم ـ حياته وعصره ـ آراؤه وفقهه (دار الفكر العربى، ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٤م)
تاريخ المذاهب الإسلامية، جـ١ (فى السياسة والعقائد)، (دار الفكر العربى ـ ١٩٧١م).
تاريخ الجدل (الطبعة الثانية، ١٩٨٠م ـ دار الفكر العربى).
٥٩ـ محمد أحمد الخطيب: الدكتور
الحركات الباطنية فى العالم الإسلامى ـ عقائدها وحكم الإسلام فيها (مكتبة الأقصى ـ عمان ـ الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م).
٦٠ـ محمد البهى: الدكتور
الجانب الإلهى فى التفكير الإسلامى (القاهرة، مكتبة وهبة، (جزءان)، الطبعة الثانية:
جـ١ ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٨م.

جـ٢ ١٣٧١هـ/ ١٩٥١م.
٦١ـ محمد بن تاويت:
الأدب المغربى، بالاشتراك مع محمد الصادق عفيفى (دار الكتاب اللبنانى ـ بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٦٩م).
٦٢ـ محمد الخضرى:
تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة العباسية)، (الطبعة العاشرة، مطبعة الاستقامة، القاهرة، بدون تاريخ).
٦٣ـ محمد جمال الدين سرور: الدكتور
تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق، (مطبعة دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٦٥م).
الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية خلال القرنين الأول والثانى بعد الهجرة (دار الفكر العربي، مصر، ١٩٦٠م).
٦٤ ـ محمد ضياء الدين الريس: الدكتور
النظريات السياسية الإسلامية.
(دار التراث ـ القاهرة ـ الطبعة السابعة، ١٩٧٩م).
٦٥ـ محمد عاطف العراقى: الدكتور
تجديد فى المذاهب الفلسفية والكلامية
(الطبعة الرابعة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٩م).
٦٦ـ محمد عبد الله عنان:
- عصر المرابطين والموحدين فى المغرب والأندلس ـ القسم الأول والثانى (القاهرة، ١٩٦٤م).
٦٧ـ محمد عبد المنعم خفاجى: الدكتور
- الحياة الأدبية فى العصر العباسى (القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٥٤م).
٦٨ـ محمد عبد الهادى أبوريدة: الدكتور

- إبراهيم بن سيار النظام وآراؤه الكلامية والفلسفية، (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م).

٦٩ـ محمد عبده: الإمام

- رسالة التوحيد (مطابع دار الشعب، القاهرة، بدون تاريخ).

٧٠ـ محمد عزيز نظمى سالم: الدكتور

- إبراهيم بن سيار النظام (مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٣م).

٧١ـ محمد على دبوز: الدكتور

- تاريخ المغرب الكبير، جـ٢، ٣(القاهرة، ١٩٦٣م).

٧٢ـ محمد عمارة: الدكتور

- المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية (طبعة المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت الطبعة الأولى، ١٩٧٢م).

- المعتزلة والثورة (طبعة المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٧م).

- الدين والدولة (طبعة الهيئة المصرية العامة لكتاب، ١٩٨٦م).

- الإسلام والمستقبل (طبعة دار الشروق، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م).

٧٣ـ محمد عويس: الدكتور

- المجتمع العباسى من خلال كتابات الجاحظ (دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٧م).

٧٤ـ محمد كرد على:

- الإسلام والحضارة العربية، جزءان (القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٣٤٥هـ/ ١٩٣٦م).

٧٥ـ محمد مصطفى هدارة: الدكتور

- اتجاهات الشعر العربى فى القرن الثانى الهجرى، (مصر، دار المعارف،

١٩٦٣م).
- المأمون الخليفة العالم ـ سلسلة أعلام العرب رقم ٥٩ ـ الدار المصرية للتأليف والنشر).
٧٦ـ محمود إسماعيل: الدكتور
- المعتزلة فى المغرب حتى قيام الدولة الفاطمية (الرباط، ١٩٨٦م).
- الخوارج فى المغرب (دار العودة، بيروت، بدون تاريخ).
٧٧ـ مجيد عبد الحميد ناجى:
- الأثر الإغريقى فى البلاغة العربية من الجاحظ الى ابن المعتز (العراق ـ مطبعة الآداب ـ النجف، ١٩٧٦م).
٧٨ـ مصطفى السباعى: الدكتور
- السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى (الطبعة الأولى، مكتبة العروبة، القاهرة، ١٣٨٠هـ)
٧٩ـ مصطفى عبدالرازق: الشيخ
- تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٦٣هـ/ ١٩٤٤م).
٨٠ـ منى حسن محمود: الدكتورة
- المسلمون فى الأندلس (دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٨٦م).
٨١ـ موافى: عثمان
- التيارات الأجنبية فى الشعر العربى منذ العصر العباسى حتى نهاية القرن الثالث الهجرى (الإسكندرية، مؤسسة الثقافة الجامعية، ١٩٧٣م).
٨٢ـ نشأت العنانى: الدكتور
- فن السخرية فى أدب الجاحظ (الطبعة الأولى، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م).
٨٣ـ وديعة طه النجم:

- الجاحظ والحاضرة العباسية (بغداد، مطبعة الإرشاد، ١٩٦٥م).
- الشعر فى الحاضرة العباسية (الكويت، شركة كاظمة، ١٩٧٧م).
منقولات الجاحظ عن أرسطو فى كتاب الحيوان، (الكويت، منشورات معهد المخطوطات العربية، ١٩٥٨م).
٨٥ـ يوسف كرم: الدكتور
- تاريخ الفلسفة اليونانية (الطبعة الرابعة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر عام ١٩٨٥م).
٨٦ـ يحيى هويدى: الدكتور
- دراسات فى علم الكلام والفلسفة الإسلامية، دار الثقافة للطباعة والنشر، ١٩٧٩م، القاهرة).

رابعا: مراجع إفرنجية مترجمة:

١ـ الدومبيلي: العلم عند العرب وأثره فى تطور العلم العالمى (ترجمة: دكتور عبد الحليم النجار، دكتور محمد يوسف مريس، الطبعة الأولى، ١٩٦٢).
٢ـ أوتوير بتزل: مذهب الجوهر الفرد عند المتكلمين الأولين فى الإسلام (ترجمة د. محمد عبد الهادى أبو ريدة، وهو مطبوع كذيل لكتاب مذهب الذرة عند المسلمين، دار النهضة المصرية القاهرة، ١٩٤٦م).
٣ـ أولبرى: د. لاس.
مسالك الثقافة الإغريقية الى العرب (ترجمة د. تمام حسان، مطبعة وزارة الثقافة والإرشاد القومى، نشر عالم الكتب، القاهرة).
٤ـ بالنثيا: آنخل جنثالث.
تاريخ الفكر الأندلسى (ترجمة د. حسسين مؤنس، القاهرة، ١٩٥٥م).
٥ـ بل: (ألفرد).
الفرق الإسلامية فى الشمال الإفريقى (ترجمة: د. عبد الرحمن بدوى، بنغازى، ١٩٦٩م).

٦ـ بول كـراوس: التراجم الأرسططاليسية المنسوبة الى ابن المقفع (ترجمة د. عبد الرحمن بدوى، القاهرة، ١٩٦٥م، ضمن مجموعة التراث اليونانى فى الحضارة الإسلامية، دار النهضة العربية).

٧ـ بينيس: مذهب الذرة عند المسلمين (ترجمة د. عبد الهادى أبو ريدة، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٤٦م).

٨ـ جولـد تسهير: العقيدة والشريعة فى الإسلام (ترجمة: على حسن عبد القادر وآخرين، طبع القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٤٦م).

٩ـ دى بور: تاريخ الفلسفة فى الإسلام (ترجمة: د. محمد عبد الهادى أبو ريدة، طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٣٨م).

١٠ـ صلاح الدين: خودابخش

الحضارة الإسلامية (ترجمة: د. على الخربوطلى، القاهرة، ١٩٦٠م).

١١ـ غورديه، لويس

فلسفة الفكر الدينى بين الإسلام والمسيحية (تعريب: صبحى الصالح، وفريد جبر، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٨م).

١٢ـ فيليب حتى: تاريخ العرب (ترجمة: د. نافع مبروك القاهرة، ١٩٥٣م).

١٣ـ كارل بروكلمان:

– تاريخ الشعوب الإسلامية (ترجمة: نبيه أمين فارس، ومنير البعلبكى، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٥٣م).

– تاريخ الأدب العربى (ترجمة: د. السيد يعقوب بكر، ود. رمضان عبد التواب، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٧م، جـ٤).

١٤ـ كريمر: فون

الحضارة الإسلامية ومدى تأثرها بالمؤثرات الأجنبية (ترجمة: طه بدر ـ طبعة دار الفكر العربى، القاهرة).

١٥ـ ليفى بروفنسال: الإسلام فى المغرب والأندلس (ترجمة: د. السيد عبد العزيز

سالم، والأستاذ محمد صلاح الدين حلمى، القاهرة، ١٩٥٨م.
١٦ـ ماكس ما يرهوف: بحث فى تاريخ التعليم الفلسفى (ضمن كتاب التراث اليونانى فى الحضارة الإسلامية، ترجمة: د. عبد الرحمن بدوى، طبعة دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٥م).
١٧ـ محمد الطالبى: الدكتور
الدولة الأغلبية (نقله الى العربية الدكتور: المنجى الصيادى، دار الغرب الإسلامى، ١٩٨٥م، الطبعة الأولى).
١٨ـ هاملتون جب: دراسات فى حضارة الإسلام (ترجمة: إحسان عباس وآخرين، نشر دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٤م).
١٩ـ هل جوزيف
الحضارة العربية (ترجمة: إبراهيم العدوى، سلسلة ألف كتاب، القاهرة، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م).
٢٠ـ ولتر. م. باتون: أحمد بن حنبل والمحنة (ترجمة: عبد العزيز عبد الحق، طبع دار الهلال، القاهرة، ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م).
٢١ـ يعقوب ليسر: الدكتور
خطط بغداد فى العهود العباسية الأولى، (ترجمة: صالح أحمد العلى، مطبعة المجمع العلمى العراقى، ١٩٨٤م).
٢٢ـ يوليوس فلهوزن: الخوارج والشيعة (ترجمة: عبد الرحمن بدوى، طبعة القاهرة، ١٩٥٨م).

خامسا: المقالات:

١ـ أسعد طلس:
- الحياة الاجتماعية فى القرنين الثالث والرابع.
(مجلة المجمع العلمى العراقى ـ المجلد الثانى ـ بغداد ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م).
٢ـ حسن إبراهيم حسن:
- المأمون وعلى الرضا

(مجلة كلية الآداب ـ المجلد الأول ـ الجزء الأول ـ مايو ١٩٣٤م

٣ ـ طه محمد الحاجرى:

- الجاحظ مؤرخ الحياة العربية الشعبية.

(بغداد ـ مجلة المورد ـ المجلد الثانى عشر ـ العدد الأول ١٩٨٣م).

٤ـ عبد السلام محمد هارون:

- الجاحظ والمعلمون.

(القاهرة: مجلة الكتاب ـ دار المعارف للطباعة والنشر، ١٩٤٦م).

٥ـ محمد عبد الهادى شعيرة: الدكتور

- الممـالك الحليفة، أو ممـالك ما وراء النهر والدولة الإسلامـية الى أيام المعتصم.

(مجلة كلية الآداب ـ جامعة فاروق الأول ـ المجلد الرابع ١٩٤٨م).

٦ـ محمد عمارة: الدكتور

- المعتزلة.

(مجلة الكويت ـ الكويت ـ الأعداد: ١٢،١٣، ١٦، ١٨

- الشك المنهجى عند الجاحظ

(الكويت ـ مجلة العربى ـ العدد ٢٢٧ ـ أكتوبر ١٩٧٧م).

٧ـ مصطفى عبد الحميد: الدكتور

- نظرية الجاحظ فى الترجمة.

(العراق ـ مجلة المورد ـ المجلد السابع ـ العدد ٤ ـ ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٨م).

٨ـ هيفاء عكارى الرافعى:

- السخرية فى أدب الجاحظ.

(العراق ـ مجلة المورد ـ المجلد الحادى عشر ـ العدد الثانى ١٩٨٢).

سادسا: الرسائل العلمية:

١ـ صباح إبراهيم البطروخ

- محمد بن عبد الملك الزيات (الوزير الأديب).

(رسالة ماجستير مقدمة إلى معهد الدراسات الإسلامية ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م).
٢ـ صلاح عبد الهادى مصطفى الحيدرى
- المجتمع العراقى فى العصر العباسى الأول.
(رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الآداب ـ جامعة الإسكندرية ١٩٧١م).
٣ـ فتحى أحمد محمد رضوان
- مشكلة خلق القرآن بين المعتزلة وأهل الفلسفة
(رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الآداب ـ جامعة الزقازيق ١٩٨٧م).
٤ـ محمد أبو زيد
- الحياة الاجتماعية والاقتصادية فى الريف المصرى من الفتح العربى الى نهاية العصر الفاطمى.
(رسالة دكتوراه مقدمة الى كلية البنات ـ جامعة عين شمس، ١٩٨٥م).
٥ـ مختار حسن طه المخلص
- المجتمع العباسى فى مؤلفات الجاحظ.
(رسالة ماجستير مقدمة الى معهد الدراسات الإسلامية ١٩٨٦م).
٦ـ مجاهد مصطفى بهجت
- التيار الإسلامى فى شعر العصر العباسى الأول.
(رسالة دكتوراه ـ مقدمة لجامعة الأزهر ـ سنة ١٩٧٥م).
٧ـ مليحة محمد رحمة الله
- الحالة الاجتماعية فى العراق فى القرنين الثالث والرابع بعد الهجرة.
(رسالة دكتوراه مقدمة الى كلية الآداب ـ جامعة القاهرة، سنة ١٩٦٨م).

سابعا: المعاجم ودوائر المعارف والموسوعات:

١ـ دائرة المعارف الإسلامية (مترجمة).
القاهرة ـ دار الشعب ـ المجلد العاشر.
٢ـ الموسوعة الفلسفية المختصرة

(نقلها عن الإنجليـزية: فؤاد كامل، جلال العـشرى، وعبد الرشـيد الصادق، راجعـها وأشـرف عليـها د. زكى نجـيب محـمود ـ مكتـبة الأنجلو المصـرية ١٩٨٢م).

٣ـ الموسوعة العربية الميسرة

(بيروت ـ دار نهضة لبنان للطبع والنشر، ١٩٨١م).

٤ـ لويس المعلوف

– المنجد فى اللغة والأعلام

(بيروت ـ دار المشرق، ١٩٨٤، ط٢٧).

٥ـ المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

٦ـ لسان العرب:

(بيروت ـ دار لسان العرب ـ بدون تاريخ).

٧ـ الأب روفائيل نخلة اليسوعى:

غرائب اللغة العربية

(بيروت ـ المطبعة الكاثوليكية، ١٩٦٠م ـ الطبعة الثانية)،

٨ـ الأطلس التاريخى للعالم الإسلامى فى العصور الوسطى

(القاهرة ـ دار الفكر العربى ١٩٦٠م).

٩ـ دائرة معارف القرن العشرين

محمد فـريد وجدى ـ دار المعرفة ـ بيروت لبنان، ١٠ أجزاء ـ الطبـعة الثالثة ١٩٧١.

١٠ـ الموسوعة القرآنية

تقاسـيم تصنيـفها: إبـراهيم الإبيارى، عـبد الصبـور شاهين، ٥ مـجلدات ـ مطابع سجل العرب ـ القاهرة، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٩م.

١١ـ معجم ألفاظ القرآن الكريم

(٢ مـجـلد)، الطبـعــة الثـانـيـة ـ الهـيـئــة المصـرية للتـأليف والنـشـر ـ ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

ثامنا: المراجع الاجنبية:

1- Bowen: harold

- The lile and times "Ali ibn isa " , " The good vizier" (CAMBRIDGE, 1928).

2-Canon sell: rev.

-The umayyad and the abbasid khalifates(1914).

3- Dozy:

Histoire des musulmans d'espayne, ed: levi peovencal (Leiden,1976).

4- Forstner: martin.

- Des kalifat des abbsiden al-musta' in (mainz 1968).

5-Gabrieli: francesco.

- Al - ma'mune gli' alidi (Leipzig, 1929).

6- Gibb: h.a.r.

-The arab conquests in cenrral asia (2 vols london, 1923).

7- GILMAN, ARTHUR.

- The saracens from the earliest times to the fall of bagdad (New york, 1886).

8- Graham hough:

- Style and stylisties (London, 1969).

9- Hamilton:

- Mohammedanism (Mentor 1955).

10- Mac donald:

- Development of muslim theology, jurisprudince and constitutional theouy. (New york 1903).

11- Masqueray, E:

-Chronique D'abo zakaria, (Alger,1878).

12- Muir: sir william

- The caliphate, its rise, decline and fall (1915).

13- Nicholson a.Rinold:

- Literary history of the arabs (Cambridge, 1953).

14- Noldeke: theodor

- Sketches from eastern history (london 1953).

15- Sourdel, Ddominique

- Le vizirat "abbasede (2vols - danas 1959).

16-Sykes, percy

-Ahistory of persia (2 vols - third Edition london, (19958).

17- Watt,w.m:

- The political attitude of the mu'tazilah" (l.r.a.s 1963).

18-Wensinck a.i.,:

the musim greed, (Cambridge, 1932).

great scholars was mahnoud el - khawarizmi.

The problem of the criation of quaran spread also in tunista..

But it was severely fought back by the malqees, who were sticking to the Holy Quaran and sonnaad they could defeat moutazela. middle morco was not far away from the troubles. there, during different periods, disputes and agreements took place between moutazela and abadia. moutazels played simelar role in the far moroco. the state of addaressa was a refuge for moutazela, and the tribe of croga was mainly moutazela. moutazela of the west were in contact with those lf the east

until the sheia prevailed with the establishment of fatime state (296 h \900 A. D.).

to the extent that it was used by people to trap thier foes ; accusing them of denying the creation of quaran.

In el-sham the khaliph mamoun was examining the people himself in the creeed of moutazela in the year (218h\833 A.D.). But a little was done by the government to but the trial into action.

In bagdad the question of the creation of quaran was the central topic during the reign of mamoun,motassem, and wathiq.

The severs trial had a great political and intellectual impact in the eastern part of islamic world.

The credo prevailed during the buihi state in Iraq and khorassan and beyond the river. But in the countries where sonna was prevailing, moutazela were wesk and inferior.

** Moutazela occupied important posts in jurisprudence. Judge abd-el gabar (died 414h\1023 A.D.), Who worked as a judge of irrigation was an eminent example of the moutazels. But their power came into climax of the moutazels. But their power came into climax in the goverment of el-saheb ibn aiad (385h\995Z A.D.). Saheb did his best to prevail eitezal and to make people follow its creed. His manner varied from peaceful persuasion to the use of violence.

During the era of sultan mahumoud el - Qurnawi (Died in 42ih\1030a.d.) moutazela were prosecuted. sultan Mahoud sent them into prison, fought, and expelled them and they resorted to khowarizm. there they worked to spread their creed. among their

ponency was concentrated in Ahmed Ibn Hanbal.

EL- Moutassem (218 H / 833 A.D. - 227 H. 841 A.D.) followed the steps of his brother Mamoun. He also obliged people to admit the creation of Quaran.

** When wathiq came into reign (227h\841 A.D.) He foloowed his two predecessors, and even he was more strict. When it reached the brem and the people could not suffer any more trouble and compulsion , they made a conspiracy , led by Ahmed Ibn Nasr ELEkhozaii, who gathered those people who uejected to admit the creation of Quaran. But the conspiracy was discovered and the khaliph killed the traitor and crossified him in Bagdad. Before his death wathiq renouced his belief in the creation of Quaran.

When Motawkel became the khaleph in (232h\836 A.D.), he was not interested in the cause of the creation of Quaran and so the severe trial lost its power. He made some reforme, of which he renounced arguements and disputes and called for a regain of sonna.

** The greatest fault of moutazela is that they demolished one of the important pillars of their creed, namely, the freedom of the indivedual to choose at a time they forced people to admit the creation of Quaran.

The cause of the creation of Qugram was not confined to the irials held to pwople to admit it, but it included the public amd private mietings and it became a familiar question among people

cerned with and interested in literature. In Literature, they were mainly interested in meanings, power of reason and degenerating idea The familiar topics were animals, misers merchants, tutors.... etc.

** Prose flourished during this epoch and it included sciences, and philosophy. Moutazela showed interest in debates and dialectics in Arabic prose wrtings. verbal debates were common during the Abassi era. while they were retaining a kind of intellectual sublimity and with sarcasm amd irrespect.

Many of the poets were influenced by Moutazela and they used many poets dedicated their poetry to defende moutazela and their views.

among the famous names of scientists and echolars of moutazela one can refer to Beshr Ben EL Moutamer (died in 210 H / 825 A.D.), EL - Marded (d ied in 226 H / 840 A.D), Gafar Ben Mobasher (Died in 234 H / 848 A.D.) Gafar Ben Hard (Died in 236 H / 850 A.D.) Theomama Ben EL - Ashras (Died in 213 H / 828 A.D.) and Ahmed Ben Abi Dawood (Died in 240 H: 854 A.D.).

** During the reign of EL - Mamoun Eitezal was Confined to the topic of the creation of Quara, Which was called the severs trial. This topic was the main interest of the state from (218 H. / 833 A.D.) to (234 H / 848 A.D.) Manoun forced the people to admit the creation of Quaraan in the year (218 H / 833 A.D.) Heexamined, for this, the judges, religious scholars and the op-

the power of moutazela was gradually diminishing and sonna tok the advantage to fight the vocation of the creation of Quaran. Also, religious scholars regained their prestige during that era and they had the chance to attack moutazela.

** Looking into the creed of moutazels, one would find that it mainly intellectual. They believed in the power of reason. Many of the accusations directed to them were unfair and the offences were sweeping to their various trends.

Emam Mohamed Abdou agreed upon their call for the freedom of the individual and his right to choose.

** They came up with new outlookls and unusual views that nobody dare to declare before them.

Moutazela paved the way to Moslim philosophers to read Greek sciences. They read greek books in their original form or translated to Arabic. Moutezala tried to haromize between Ilam and Greek philosophy and this made them come under the influence with philosophy in general and this appeare in their statements and pronouncemnts.

** In brief, it can be said that moutazela were most influenced by the greek philosophy, and they used it in their religious dialectics. They could create a kind of haromny between the simple and clear slamic culture with the complicated Helenistic culture.

** Moutazela realised the effect of literature on bulding up the culture and on illuminating minds, and so they were deeply con-

whether they were Quran, or sonna (tradition of the prophet). They twere alluding the holy texts according thier own belief and rejecting the Hadeth (sayings of the prophet) which contradict their creeds.

** They were interpreting the texts, in their way, to prove their belief in seeing Allah, and the texts of personification and embadment, and those of obligation and disteny. They expressed their suspecion in many of the hadith to the extent that sometinms they rijected some of them, specially those sayings concerning the obigation as came down through one source only. They went as far as announcing their doubts in the authenticity in some of these saying some of them denied the unanimity and Quias (applying the same verdict on similar cases).

As for their view concerning the followers of the prophit, they placed them on equal terms with ordinary people, who may be right or wrong, and could be praised or attacked and some of them were severly attacked by moutazels.

When the moutazela had the power in their hands, they began to act intolerably towards religioud scholars, ans acuse them even in the authenticity of their creed during the reigh of Ed-Mamoun, El-Moutasem and El-Watheq, religiors scholas were sent to prison and wer forced to follw the creeds and views of moutazela..

It was natural that the religious scholars united against this bad intolerance of moutasela. During the reign or El-Motawakil

ination. These principles were drawn from the discussionl between them and their opponents.

Basra continred to be the center of this movement till the capital was establisned in Bagdad where some of the advocates of the movement were settled, and hence the moutazala of Bagdad began to separate from those in Basra and they began to approach the caliph Mamoun who had tendency to follow this belief and so he brought the moutazala closer to him. He agreed to their creed that the holy Quran was created and used the power of the state to force the people to admit thes creed.

The Al-Mamun's belief in the creed of moutazala was anounced but during the closing years of hes life (211 h. \ 826A.D.) - (218 H.\ 833 A.D.). After the death of Mamoun, his successor Al-Mutasim (218H.\ 833 A.D.- 227H.\ 841 A.D.). Forced the people to admit the creation of Quran and ordered the tutors to teach this to their disciples.

when El-Wathik came into reign (227 H.\841A.D. - 232H \ 846 A.D.), he became fanatic to the same creed.

El-eitizal or separation was a the only a verbal creed in Basra, but in Bagdad, being near the state and close to kalipgs, it became a practical one.

Moutazala contradicted their ancestors in their understanding of the creeds. Their own approach was purily in tellectual, and they worked to apply intellectual judgements to religious creeds. The live principles were the base of their treatment of the texts

CONGLUSTON

AS A RELIGIOUS SECIT, El- Moutazala appeared during the era of the umayyad calephate state, namely at the beginning of the second century of higra, the 8 th century A.D.) During abbaaid era, two schools of moutazala were established in Basra and Baghdad. This sect was given many titles as moutazala and the people of justice and oneness and given to them by others to attacl or criticize them. There are also titles many other tekles gave given to one of their many parties or excluded to one of their sub-beliefs.

Historians of the sects lifferentiated among themselves around the historical origination of this sect. It seems that the spirit of moutazala had its roots in the seditions that took place since the camel war, so the talking moutazala are considered as a contiuation

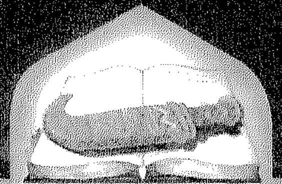
of the political moutazala who were nonaliegned in the dispute between the supporters of all and those Muawiya and later between the supporters of the offspring of Ali and those of Umayyad caliphs the name of separation or Eitezal is given for a sect with certain principles and not a mere separation from one parth to join another.

There are five principles for moutazala. These principles are oneness, justice, promising and threateing, middle postion between the extremes, asking for the good and forbiding the abom-

El-Moutazela in Bagdad and their influence on intellectual and potitcal life from the reign of Kaliph El-Mamoun until the death of El-Moutawkel

ALa - Allah. (198 - 247 h) (813 - A.D.)

Dr. ahmad Shawki Ibraheem Al-Amarraji



المعتزلة فى بغداد وأثرهم فى الحياة الفكرية والسياسية

قد لعب الفكر الاعتزالي دورا هاما في صياغة الفكر الإسلامى وفي التأثير في المجتمع منذ أواخر القرن الأول الهجرى، ولم ينفك هذا التأثير بإيجابياته وسلبياته يقوى إلى أن بلغ أوجه في القرن الثالث الهجري، وكان المعتزلة يقدمون العقل على النص اذا ما بدا اختلاف بينهما.

وقد قسمت كتابي هذا الى أربعة فصول. تحدثت في الفصل الأول عن نشأة المعتزلة كفرقة دينية، وعن الأصل التاريخي لهذا النشأة، ووضحت مبادئ المعتزلة الدينية وهي أصولهم الخمسة التي قامت عليها حركة الاعتزال، وأثر هذه الأصول في اراء المعتزلة ثم تحدثت عن انتشار هذه المبادئ في بغداد.

وفي الفصل الثاني تناولت بالبحث أثر المعتزلة في الحياة السياسية مع بيان محنة خلق القران في عصر المامون وأثرها في الحياة السياسية في بغداد، ومحنة خلق القران في عهد المعتصم، ومحنة خلق القران في عهد الواثق، ثم نهاية المحنة في خلافة المتوكل على الله، وأثر المعتزلة في الفكر السياسي.

اما في الفصل الثالث فقد وجهت اهتمامى الى دراسة أثر المعتزلة في الحياة الفكرية، ووضحت موقف المعتزلة من الكتاب والسنة، ثم المعتزلة والفقهاء، وتحدثت عن المعتزلة وحركة الترجمة عن الفكر الإغريقي، ومدى تأثر المعتزلة بهذا الفكر، وانعكاس ذلك على أفكارهم، ثم وضحت أثر المعتزلة في الحياة الأدبية، وأشهر علماء المعتزلة في بغداد.

وخصصت الفصل الرابع لدراسة أثر المعتزلة في العالم الإسلامي سياسيا وفكريا، ووضحت هذا الأثر في بغداد والمشرق، وفي مصر والشام، وفي المغرب.

من مقدمة المؤلف

MADBOULI BOOKSHOP مكتبة مدبولى

6 Talat Harb SQ. Tel: 5756421 ٦ ميدان طلعت حرب - القاهرة - ت: ٥٧٥٦٤٢١